F R A N Z K A F A

رسائل

فرانز كافكا

22.7.2017

رسائل إلى ميلينا

ترجمة: هبة حمدان



رسائل

فرانز كافكا

رسائل إلى ميلينا

ترجمة: هبة حمدان
مراجعة وتدقيق: محمّد حنّون



رسائل إلى ميلينا



الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail: alahlia@nets.jo
الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12
هاتف 00962 6 4638688، فاكس 00962 6 4657445
ص. ب: 7855، عمّان 11118، الأردنّ
الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين،
بجانب البنك المركزيّ الأردنيّ، مكتب القاصة، بناية 34

◆

رسائل إلى ميلينا / رسائل
فرانز كافكا / الجمهوريّة التشيكيّة
ترجمة: هبة حمدان / الأردنّ
مراجعة وتدقيق: محمّد حنّون / الأردنّ

◆

الطبعة الأولى، 2017
حقوق الطبع محفوظة

◆

تصميم الغلاف: **زهير أبو شايب، عمّان، هاتف 00962 7 95297109**
®
الصفّ الضوئيّ: **إيمان زكريّا خطّاب، عمّان، هاتف 00962 7 95349156**
خطوط الغلاف: **زهير أبو شايب، عمّان**

◆

الترقيم الدولي: ISBN 978-6589-09-019-9

مقدمة المترجمة

فرانز كافكا أحد أفضل الكتاب في القرن العشرين، وأحد أفضل أدباء الألمانية في فن الرواية والقصة القصيرة.يهودي الديانة لكنه لم يكن يوماً صهيونياً، فقد كان متصالحاً مع الديانات الأخرى، وهو ما سنراه واضحاً من خلال رسائله لميلينا. رغم ذكر ديانته اليهودية عدداً من المرات.

تتميز هذه الترجمة بكونها ترجمة مكتملة، لم يتم حذف أي من الحقائق التي ذكرت بالرسائل الأصلية. ليتسنى للقارئ أن يعيش قصة حب كافكا وميلينا، ويترقبها لحظة بلحظة،وليستشعر حضور روحيهما بين ثنايا سطورها، فيحس بما أحس به كافكا من توتر وخوف ولهفة وحب وشوق للقاء، وكما سيسمع صوت ميلينا في ردها على رسائل كافكا -رغم عدم وجود هذه الرسائل- فيسمع همساتها وكلماتها في خيل له حضورها، ليعيش معهما أجمل لحظات حبهما، فيحزن عند اقتراب نهايتها ويعيش معه اللحظات بترقب.

يتمكن القارئ بأن يحس بتناقض كبير في أقوال كافكا، لتوتره الدائم وقلقه، بسبب نشأته مع والد مسيطر وغياب دور أمه عن حياته -لعملها لوقت طويل خلال اليوم- مما جعله فريسة سهلة للخوف، فأثر ذلك بشكل كبير على شخصيته وعلاقاته مع من حوله ، فلم يكن يوما منفتحا لأحد، وبدا اضطراب شخصيته واضحاً في رواياته العديدة.

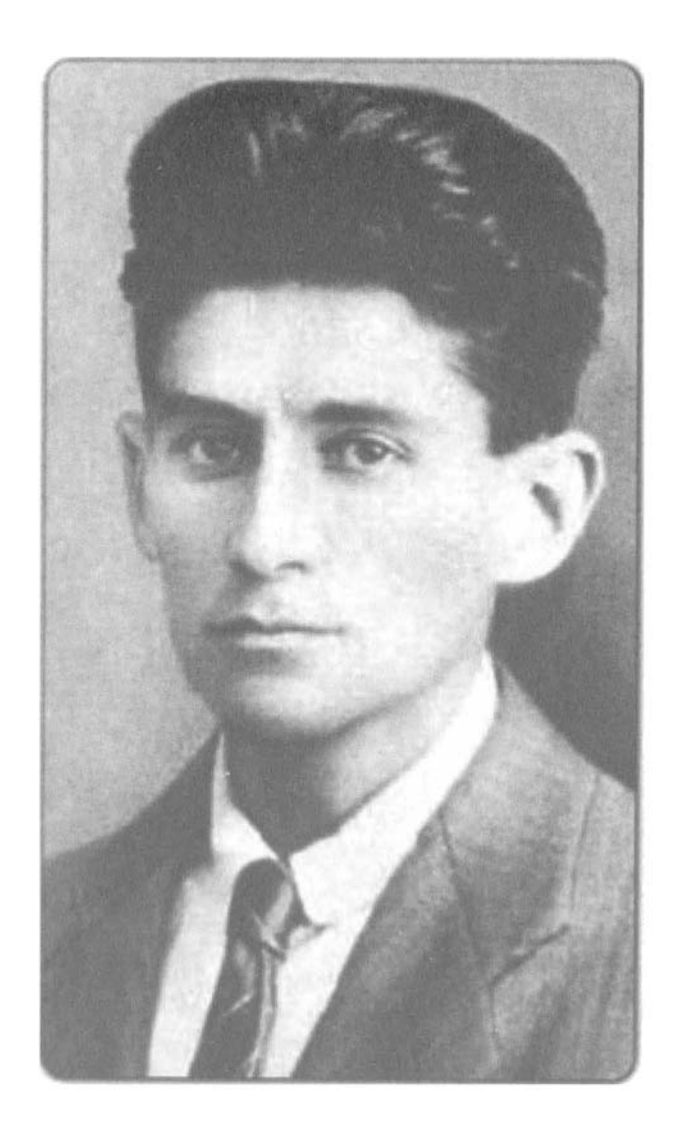
لم يتصرف كافكا يوماً على سجيته مع الناس، فكان يحب الوحدة ويعيش في أحلام اليقظة كارهاً أن يقاطعها أحد. حتى التقى بمن أسرت قلبه، «ميلينا» تلك الفتاة الألمانية - المسيحية، والتي تعرف عليها بداية كمترجمة لكتبه ورواياته للغة التشيكية، أحب عملها جداً ولقبها بشعلة النار، فهمته كما لم يفعل غيرها واستطاعت أن تجذب قلبه وروحه، فتعلق بها جداً وبدأ يبوح لها بمكنونات قلبه، حتى تطورت علاقتهما إلى شعلة حب متبادلة، فكانت رسائله لميلينيا تغدق بكلمات روحية وحب عذري، لتتجرد أمامها من كل التكلفات، فتغدو أشبه بسمفونية حب جميلة تراقص الروح قبل الأذن؛ كانت رسائله لها مختلفة ولا تشبه رسائله مع أحد، فقد كانت الأجمل، فميلينا كانت له الحب العاصف، والمستقبل المزهر، والملاك الحارس، تخيل وجودها معه رغم غيابها الجسدي، أحب فيها الحياة والجمال، أحب اسمها كثيراً لتجده يناديها في رسائله وكأنها أمامه يحادثها، وتغنى به في إحدى رسائله وكأنه اسم أسطوري ليعشقه. أعلمها بكل تفاصيل حياته وما كان يحدث خلال يومه، لتجدها حاضرة في يومه ومرافقة له في نزهاته.

لكن بعد المسافات بينهما وزواجها ترك بصمة في علاقتهما؛ ليؤثر سلباً عليها وليؤدي أخيرا إلى نهايتها. لكنه استمر بملاحقة أخبارها وتتبع مقالاتها في المجلات والصحف، وكأن روحها ظلت ترصده وتلاحقه. مرض كافكا مرضاً شديداً في آخر مراحل علاقته بميلينا حتى قضى عليه، فتوفي شاباً بعمر 40 عاماً.

«حياة الكِتاب تبدأ بعد موت مؤلفه، أو بالأغلب بعد وفاته بفترات، فأولئك الرجال التواقون يحاربون من أجل قصصهم وحتى بعد موتهم، لكن حينها فقط يترك الكتاب لوحده، ويبدأ يستمد القوة من ضربات قلبه»

قال كافكا لميلينا، وهذا ما حدث معه فقد اشتهرت كتبه بعد وفاته، ونشرت بكثرة لتدرس بالجامعات لتعيش رواياته وقصصه حياتها من ضربات قلب روحه، فمازالت رسائله لميلينا تنبض بالحب والعشق إلى يومنا هذا، وكأنه توقع ما سيحدث معه وهو ما حدث فعلا فمازالت روحه المعذبة المحبة تطوف في كلماته لتكون أحد أساطير الحب في عصرنا هذا.

هبة حمدان





تصدير

«إن السهولة في كتابة الرسائل قد جلبت الدمار إلى أرواح الناس، كتابة الرسائل هي لحظات من تلاقي الأشباح فهي استحضار لشبح المتلقي وشبح المرسل ليتجسدا في كلمات الرسالة، وأحيانا في سرب من الرسائل، تتداخل سراً في كلمات الرسالة التي نكتبها ولتكون شاهدة على ما جاء فيها» مازال شبح كافكا أو بالأصح أشباحه تطارد *رسائله إلى ميلينا*. لم تتجرد مشاعر كافكا يوما كما فعل في رسائله لميلينا «تستطيع كلماتي أن تتجرد أمامك تماماً كما لا يمكن لها أن تفعل مع غيرك» كتب فرانز لميلينا، «أقول لك الحقيقة كما لا يمكن لأحد أن يفعل» «أستطيع أن أستشف الحقيقة كما تبدو لي أو لك، أستطيع أن أميز الحقائق من خلالك».

رغم العقبات التي وجدت بين فرانز وميلينا كاختلاف الدين والقومية فكافكا من براغ- سيد يهودي وميلينا ألمانية- تشيكية، إلا أنهما استطاعا أن يحولا هذه العقبات والاختلافات إلى توافق روحي بعيد عن كل ما يحكم الأجساد من اختلافات؛ ربما لأنهما كأنا يعشقان الاختلاف ويستمتعان بإيجاد التوافق الروحي كما يظهر في رسائلهما. كانت علاقتهما متينة وعميقة إلى حد الخيال، لدرجة أن كافكا أعطى محبوبته كل مفكراته ماعدا الأخيرة التي كان مازال يخط فيها كلمات شوقه لها «لطالما كانت–م– وفقط –م– هي من تنير لي العتمة».

كأن اختصاص ميلينا ككاتبة هو ما ميزها عن النساء الأخريات في حياة كافكا وعلى الرغم من أن أغلب رسائلها قد أتلفت إلا أنك تستطيع سماع صوتها أو حتى صدى كلماتها في رسائل كافكا. كان أول من نشر كتاب رسائل إلى ميلينا هو «ويلي هاس»صديق مشترك بين ميلينا وكافكا، ائتمنته ميلينا على الرسائل قبل الحرب الألمانية، فقام هاس بنشرها في عام 1952. «لدي كل الثقة أن ميلينا ما كانت لتعترض على نشر الرسائل بعد وفاتها» قال هاس. وبعد سنوات عديدة قالت جانا كيرنا -ابنه ميلينا- «أنها على ثقة أن أمها وكافكا ما كأنا ليوافقا على نشر رسائلهما» لتثير جدلا حول كلام هاس؛ لكن بذلك الوقت كانت الرسائل قد نشرت وضمت إلى مجموعة كافكا الكتابية.في كتابات لميلينا في مقالها «رسائل لأشخاص مميزين» ذكرت أنها تعلم أن الفن ليس كاملا. إننا نحتاج إلى أكثر من بيان خطي لنعلم «طالما أننا نستطيع أن نضع إصبعنا على الجرح؛إذن يجب أن نصدق أن الجراح موجودة، وهي أعمق مما نعتقد، الجراح عميقة جداً».

قلق هاس من أن الرسائل ستفتح جراحاً غير جراح كافكا ولذلك قرر أن يحذف عدداً من الفقرات والرسائل التي علم أنها ستجرح أناساً آخرين مازالوا على قيد الحياة في وقت النشر -بما فيهم نفسه. فقام سهوا بنشر الرسائل مجزأة ورتبها حسب الترتيب الأبجدي متجنبا تواريخها مما خلق مجالا للشك في ترتيبها وفي تفاصيلها، كما ذكر محرر الكتاب.

في عام 1986 قام ميشيل مولير وجورجين بور بإصدار نسخة ألمانية عن الكتاب ذاكرين كل الفقرات والتفاصيل التي قام هاس بإلغائها، فتميزت بمحتوى جوهري، غافلين عن أربع نقاط جوهرية فقط؛ لينشرا كتابا طائشاً وغير قانوني؛ فأعطته الإضافات الجديدة طابعاً إنسانياً وتسلسلاً زمنياً ومحتوى غنياً بالمشاعر يداعب قلوب القراء وعقولهم.

كانت هذه الطبعة المعروفة بطبعه بورن-مولير، مادة جديدة على تاريخ الترجمة تعطي طابعاً مهيباً شاعرياً وإنسانياً لكافكا.

ولدت ميلينا جيسينسكا في براغ في العاشر من شهر آب لعام 1896م، كان والدها جان جيسينسكي جراح أسنان معروف وبروفيسوراً في جامعه براغوز شارلي، ومتحدثاً رسمياً في القومية التشيكية ومعادياً للسامية. أما في المنزل فقد كان قليل الصبر، سريع الغضب، أنانياً ذا طباع أبوية مستبدة. لم يعرف الكثير عن والدتها -ميلينا هيجزلاروفا- التي توفيت من فقر الدم عندما كان عُمر ميلينا 13 ربيعا. لم تنسَ ميلينا الفرق بين طبيعة والدتها الحنونة ووالدها القاسي المتسلط والذي زاد قسوة مع علاقاته النسائية المتعددة ولعبه القمار. لا تخفي ميلينا حقيقة أنها أحبت والدها لكن علاقتها معه كانت متقلبة ما بين حب لوالدها وألم لقسوته مما جعل العلاقة بينها متأرجحة.

تلقت ميلينا الدراسة في أرقى المدارس الأجنبية وأفضلها سمعة -مدرسة مينيرفا للبنات -حيث التقت بصديقتيها ستيسا وجارميلا اللاتي تم ذكرهن في أكثر من رسالة. بعد أن انتهت من دراستها المدرسية دخلت المدرسة الطبية ولكنها سرعان ما تركتها، كما فعلت في المعهد الموسيقي أيضاً. كرست قضاء وقتها آنذاك مع أصدقائها وذكر اسمها عدد من المرات بفضائح محلية، كما أدمنت على الأدوية التي كانت تسرقها من عيادة والدها، وأمضت أوقاتها مع الرجال. فأنفقت أموال والدها على الملابس والأزهار والهدايا. لقد كانت متمردة، متحررة، جريئة، مسرفة، مغرمة بكل ما يتعلق بالجمال والموضة.

في الطبعة الأولى لكتاب رسائل إلى ميلينا؛ وصف ويلي هاس ميلينا في شبابها بقوله:

«كان يخيل لمرافقيها وكأنها امرأة نبيلة من القرن السادس عشر أو السابع عشر تضفي على اللحظة طابعاً ايطالياً قديماً وكأنها تعيش في رواية قديمة مع دوق جسور مقدام، ذكي ليتخذ قراراته بنفسه. لكن طبيعتها المتهورة كانت تطفو عندما يسوقها قلبها... ولطالما هذا ما حدث في شبابها. كانت غامضة وطيبة إلى حد الخيال تأسر القلوب بغموض عجيب، لم يعلم أصدقاؤها سرها لكنهم أجمعوا أنها غامضة محبوبة بطبيعتها».

كانت تصرفاتها المتحررة والطائشة مبررة، حيث استنفد والدها وقته على علاقاته المتعددة، وانغمست ميلينا بحياتها محاولة أن تشق طريقها في خيالاتها الروحية بعيداً عما يحدث حولها. انعكفت على القراءة واتبعت الفن بشوق كبير. لطالما احتقرت البرجوازية في المجتمع التشيكي في براغ، وكونت صداقات مع كل من الطبقات الألمانية والألمانية-اليهودية. وبعد ذلك بفترة بسيطة وجدت حبها الأول الكبير -إرنست بولاك- وعلى الرغم من أنه لم يكن كاتباً إلا أنه كان ذو علاقات عديدة مع الكتاب مثل فرانز ويرفيل وغيره حيث كانوا يجتمعون في مقهى أركو. وهو نفسه من قدم ميلينا إلى فرانز كافكا.

علاقتها مع بولاك أغضبت والدها بشدة فأدخلها مصحة في فيليسافين لعدة أشهر حتى وصلت السن القانوني للزواج. وبعد خروجها من المصحة تزوج الحبيبان مباشرة وانتقلا للعيش في فيينا. لبولاك كان انتقالهما إلى فيينا ليس أكثر من تركه لمقهى أركو إلى المقهى المركزي أو إلى هيرينهوف بعد ذلك؛ لم تستطع ميلينا الاندماج في المجتمع بالسهولة التي اعتادت عليها، حتى اعتنقت هي وزوجها نظرية الحب الحر ل «أوتو غروس» (والذي كان كافكا يعشقه إلى حد التبجيل) حددت ميلينا علاقاتها أكثر مما فعل زوجها فعانت الأمرين بسبب علاقاته العديدة فقالت

مرة: «أنا أدفع ثمن هذه الحياة وحدي» . (لم تستطع ميلينا ممارسة حياتها تحت هذه الشرائع من الاختلاطات الفكرية في المجتمع الأدبي في فيينا خلال السنوات الجامحة بعد عام 1918م) وفقا لما قاله هاس.

عانى الزوجان من مشاكل مالية جعلت حياتهما في فيينا صعبة جداً، وبمحاولات منها لتحسين أوضاعهم المادية قامت ميلينا بتعليم اللغة التشيكية، كما عملت أيضاً في كحاملة للأمتعة في محطة القطار. ثم بدأت الكتابة بشكل جزئي عن براغ، فنشر أول مقال لها (رسالة من فيينا) في تريبونا في شهر 30 كانون الأول 1919م. كما حاولت العمل في الترجمة سنة 1920م ففي عامها الثالث والعشرين نشرت أول كتاب لها بالطبعة التشيكية « The Stoker الفحام» للكاتب فرانز كافكا. كان هذه العمل هو السبب الرئيسي لتبادل الرسائل بينهما والذي كان ما بين شهري نيسان وتشرين الأول من عام 1920م. كأنا قد تقابلا مرتين فقط في تلك الفترة حتى قامت ميلينا بزيارته حين علمت بمرضه، وبعد ذلك اعتمدت على ماكس برود لنقل أخباره لها.

في ذلك الوقت انتهت علاقة ميلينا بزوجها ايرنست بولاك وعادت إلى براغ عام 1925م وأعادت علاقتها جزئياً بوالدها. واستمرت بكتابة مقالات في مجلات الموضة، وصفحات التسلية، واشتركت في مجموعة من محبي الفن تسمى ديفيتسيل؛ تضم المهندس المعماري البارز آنذاك - غاروميير كريجكار- والذي أصبح زوج ميلينا الثاني وأنجبت منه ابنتهما جان عام 1928م. عانت ميلينا خلال حملها مضاعفات جانبية أدت إلى شلل جزئي برجلها اليسرى والذي لم تتعافَ منه إطلاقاً، مكوثها في المصح وبعده في المنزل والعلاجات الطبية واستمرار تناولها لمسكنات الآلام أدى إلى إدمان ميلينا على دواء المورفين لتخفيف آلامها فلم تعد تستطيع الكتابة فطردت من عملها وأنهى إدمانها علاقتهما الزوجية.

على الرغم من كل العقبات التي رافقت ميلينا وقتها، إلا أنها وجدت صديقاً من الحزب الشيوعي والذي ساعدها على التخلص من إدمانها وممارسة حياتها، فعادت للكتابة مرة أخرى ولكن بصحيفة الحزب الشيوعي. فعملت في مقالات عديدة في الصحيفة مع زميلها -ايفزن كلينجر- ولكنهما تركا الحزب بالنهاية بعد إدانة وإعدام زينوفيف وكامينيف عام 1936م.

انضمت ميلينا إلى موظفي الصحيفة الديمقراطية الليبرالي pritomnost بريتومنوست، فكتبت مقال «لن يكون هناك اتحاد» كتبت فيه عن التهديد المتفاقم من ألمانيا النازية. كما عملت في لجان الإغاثة للاجئين، وعندما احتلت براغ ساعدت ميلينا الكثير من اليهود ومن ضمنهم كلينجر للهروب إلى بولندا. وبعد أن أغلق الجيش النازي صحيفة بريتومنوست، استمرت بالكتابة في الصحافة الخفية حتى اعتقالها في عام تشرين الأول عام 1939م، قام النازيون بإلحاقها بمخيم المعتقلين الذين ساعدوا اليهود وتم ترحيلهم إلى رافنسبورك. وعلى الرغم من كل المصاعب التي واجهتها ميلينا في معتقل رافنسبورك من مشاكل صحية وحرصها على الاهتمام بابنتها وعلى التواصل معها، فإن إصرارها على مقاومة الاحتلال، جعلها مثالا يحتذى به لعديد من المعتقلين ومثالاً للقوة، حتى وفاتها في 17-مايو-1944م بعد عملية فاشلة بالكلى» كما قالت مارغريت بوبير نيومان.

كأن فرانز كافكا في السادسة والثلاثين عندما ترجمت ميلينا كتابه «The Stoker الفحام» ونشر في تريبونا.كما قام بنشر مجموعتين قصصيتين من القصص القصيرة «التأمل» «طبيب البلد» وأيضاً «الحكم»، «التحول»، «وفي المستعمرة الجزائية». على الرغم من كل هذه القصص كان كافكا غير مشهور، ولم يكن يحاول أن يعزز من شهرته. «لا أحد غيره من المؤلفين

الذين عملنا معهم مثله، كان نادراً ما يسأل أو يستفسر عن شيء، إنه نادر الوجود» كما كتب عنه الناشر كيرت وولف، «لم أشعر إطلاقا أنه يكترث بنشر الكتاب كما يفعل غيره من كتبه، إنه حقا لا يكترث».

لقد مر كافكا بعدد من المصائب في حياته جعلته غير مبال هكذا. فأسلوب والده الفزع دوماً، والذي كان سبب فسخ كافكا لخطوبته من محبوبته فيليس بووير مرتين بسبب توتر والده الدائم، وارتبط بجولي ووهرايزك على الرغم من اعتراض والده. كما أن كافكا عانى من مرض السل عام 1917م، فقلصت شركة التأمين التي عمل بها مهامه. ثم اضطر إلى مغادرة البلد أملا بالحصول على علاج، وفي عام 1920 م سافر إلى ميران حيث كتب رسالته الأولى إلى ميلينا، فتحولت علاقته المهنية معها إلى علاقة تذهب النوم من عينيه. كتب إلى ماكس برود عام 1920م قائلاً:

«صحتي ستتحسن إذا استطعت النوم فقط، صحيح أنني اكتسبت بعض الوزن، لكن الأرق لا يطاق، وهذا طبعا بسبب عدد من الأسباب، أولها مراسلاتي مع فيينا؛ إنها شعله نارية كما لم أر مسبقا، لكن هذه النار لا تشتعل إلا له هو؛ لكن في نفس الوقت هي رقيقة، شجاعة، ذكية، هي مضحية أو يمكنك القول إنها تستحق التضحية»

«هو» يقصد بها زوج ميلينا إيرنست بولاك، مع أن كافكا أعجب بزوج ميلينا -وليس فقط بسبب نجاحاته مع النساء – فاختلط إعجاب كافكا ببولاك بإعجابه به كرجل مع كرهه له لوعيه بمعاناة ميلينا إضافة على شعوره بالذنب لما تمر به.

ومن جانبه احتفظ بولاك بمسافة بعيداً عن كافكا، إلا أننا نستشعر وجوده في رسائل كافكا، كوجود خفي لـ «كلام» في قصة القلعة.

إن آخر رواية كتبها كافكا كانت نابعة من علاقته مع ميلينا. لكن كما قال ماكس برود في سيرته الذاتية:

«تذكر قصص العشق في الروايات على أنها قصص مريرة، لكن الواقع أرحم وأكرم من الروايات، لطالما قيدت الروايات حقيقة مشاعر كافكا الفياضة، لكن الحقيقة أن سعادة لا مثيل لها كانت ملازمة له وهو يخط بكلماته في رسائله لتشع كل كلمة بحب دفين. لطالما صرخت مشاعره نشوة وحماسة وامتناناً حين كنت أسلمه رسائل ميلينا (التي أتلفت للأسف)».

لقد كانت هذه النشوة التي شعر بها ما هي إلا تعبير جسدي دفين حبيس منذ 29 يونيو إلى 4 تموز 1920م في فيينا، والستة أسابيع التالية لها في حدود مدينة جموند، كانت فيينا تمثل فترة التنكر للحب الذي دام أربع ليال في لقاءات مسروقة في منتصف الليل، أما جموند فكانت فترة الخوف من فقدان هذا الحب.

الرسائل بحد ذاتها لم تكن تمثل مراحل علاقتهم، ولكنها كانت هي الحب بينهم. وهذا ما فسره استمرار كتابة الرسائل بينهم، وهوسهم بمكتب البريد والطوابع وغيرها، بالإضافة إلى بعض الترتيبات الحياتية بينهما، فإن تبادلهما للرسائل كانت سبب وجودهم بالحياة. فقد شعر كافكا وكأنه هو المرتبط بزواج غير سعيد، ولطالما شعرت ميلينا بمرضه في رئتيها، ولكن من الواضح أنهما كأنا يشعران بالشفقة على بعضهما مما يتعرضان به في حياتهما، حتى تحولت مراسلاتهما إلى هوس يقض النوم من عينيهما. توقف كافكا عن المراسلة لفترة بسيطة حين ذهب للعلاج إلى جبال تاترا، فكتب إلى ماكس برود قائلاً:

«بالكاد أستطيع النوم، لكن ما يهدئ من روعي شيئان، أولهما كان هناك ألم قوي يعتصر قلبي، حتى حلمت بحلم جميل» حلمت بطفل جميل

يجلس على يساري، لم أعلم أكان طفلي أم لا، لكن ذلك لم يضايقني، وكانت ميلينا تجلس على يميني وأنا أخبرهما أني وجدت محفظتي الضائعة ولم أهتم بأن أفتحها لأتأكد من وجود المال فيها أم لا، فقد كان يكفيني لحظتها وجود الطفل وميلينا معي».

لقد تخيل الفرح في أحلامه، والشغف والحب الذي بدأ في أحلامه أصبح حقيقة، لم ينسَ العشيقان تلك الأيام الأربع التي أمضياها في فيينا، لقد كانت هذه الأيام هي ذريتهما وروحهما التي تستحق العزاء.

فيليب بوهيم

رسائل إلى ميلينا

(إبريل 1920م)
ميران - أونترميه
بنسيون أوتوبورج

عزيزتي السيدة ميلينا،

وأخيراً توقف المطر الذي استمر ليومين وليلة كاملة، أعلم أنه لربما كان توفقه مؤقتا ولكنها مناسبة تستحق الاحتفال، واحتفالي هو بكتابة رسالة لك. أن تمطر السماء ليس بالشيء الغريب هنا، ولكنها لي كذلك فأنا ببلد غريب يبهج القلب، إذا لم تخنّي ذاكرتي حين التقيتك أول مرة كان لقاءً سريعاً، شبه صامت، كنتِ ما زلت غريبة في فيينا وأذكر أنك كنتِ تستمتعين في غربتك، هل ما زلتِ تفعلين ذلك؟ رغم صعوبة حياتك فيها، هل تستمتعين؟ لربما أن استمتاعك ببلد غريب بهذه الصعوبات هي دلالة سيئة، فسعادة كهذه غير موجودة.

أعيش بحال جيدة هنا، لا يمكن لجسدي أن يتحمل عناية أكثر مما يمكن له أن يعيش، تطل شرفة غرفتي على حديقة مسورة مزهرة، النباتات غريبة هنا، فالزهور تزهر ببطء، والبحيرات متجمدة، الجو غريب هنا»، ومع ذلك فالشرفة مشرقة دوماً، أم أن علي القول إنها معتمة بسبب السحاب الذي يملأ السماء أغلب أيام الأسبوع، تزورني السحالي والطيور أزواجاً، ياه، كم أرغب أن تشاطري ميران معي «لقد كتبتِ لي مسبقا أنك تتنفسين بصعوبة، صدقيني هنا في ميران سيتحسن حالك كثيرا»

مع حبي وتحياتي

ف. كافكا

(إبريل 1920م)
ميران – أونترميه
بنسيون أوتوبورج

عزيزتي السيدة ميلينا،

كتبت لك رسالة من براغ ورسالة أخرى من ميران، ولكني لم أتلق رداً عليهما، أعلم أن رسائلي لا تستحق الرد السريع، إن كان صمتك دلالة على حسن حالك وسعادتك، التي يمكنك أن تعبري عنها بسطر في رسالة، فإنني مرتاح لذلك.

ومع ذلك فمن المحتمل أنَّ كلماتي أزعجتك «فكيف تستطيع يداي الحمقاوان أن تكتبا ما يضمر قلبي» لا أتحمل ضياع لحظات السكون التي أعيشها حين أقرأ كلماتك. هل تمرين بوقت عصيب؟ إذا كان توقعي أنني أغضبتك هو السبب فأرجو أن يكون صحيحا ، أكثر من أن يكون هناك احتمال ثان. عزيزتي أريد أن تكوني سعيدة فحسب كيف لي أنْ أنصحك، كيف لي ذلك؟ لم لا تغادري فيينا لبعض الوقت؟ فأنت لست بلا بيت كبعض الناس، إلا تذكرين كم تحمستِ في رحلتك إلى بوهيميا؟ إذا كنتِ لا ترغبين بالذهاب إلى بوهيميا لسبب ربما لا أعلمه، فلم لا تذهبين إلى ميران؟ هل زرتها من قبل؟

ليس لي إلا انتظار أحد الأمرين أن تواصلي صمتك الذي يعني «لا تقلق أنا بخير» أو بضعة أسطر.

مع ودي

كافكا

لا أستطيع تذكر وجهك، أو ملامحك، أذكر رؤيتك تبتعدين بين مقاعد المقهى، ثوبك، وجسدك المبتعد هو ما يجول في ذاكرتي.

ميران (إبريل 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا،

تنكبين على الترجمة في جو فيينا الممل، لا أستطيع إلا الشعور بالخجل والحماس، هل تسلمت رسالة من وولف، لقد ذكر لي مراسلات عن قصة كتبتها اسمها «القتلة» لم أكتب أي رواية بهذا الاسم، لقد قال أنها موجودة في كتيب، لا أذكر أني كتبت رسالة مثلها، هنالك خطأ ما، ولكنه قال أنها أفضل قصصي، إذن لربما كتبتها وأنا لا أذكر.

استشعرت من آخر رسالتين منك أن أمورك على ما يرام، وكذلك لزوجك، أتمنى لكما الحياة السعيدة كلاكما، يعودني عصر يوم أحد كنت أجر قدميَّ متكئاً على جدار منزل في فرانزنسكويه حيث التقيت بزوجك الذي كان بمثل حالي وكلانا مصاب بالصداع، وكلانا خبير بالصداع، ولكن لكل منا سببه، لا أذكر هل أكملنا طريقنا سوياً أم افترقنا، ولكن كلا الاحتمالين يؤول إلى مآل سيء، لكن هذا من الماضي ويجب أن يبقى في أعماق الماضي. هل يعاملك بلطف في المنزل؟

مع حبي وتحياتي

ف. كافكا

عزيزتي السيدة ميلينا،

إذن هي الرئة، ظللت طوال اليوم أردد ذلك في ذهني، لم أستطع أن أفكر بشيء آخر، ليس الأمر وكأنني لم أنتبه لذلك. تخاطر لي من كلماتك أنك لربما مصابة به بدرجة خفيفة، آه.. هذا ما أتمناه، ولكن أغلب سكان أوروبا الغربية يعانون من أمراض الرئة، هذا ما عرفته من ثلاث سنوات بعد إصابتي به، يجب أن أعترف أن مرضي جلب لي الخير أكثر من السوء. بدأ مرضي منذ ثلاث سنوات حين أصبت بنزيف في منتصف الليل، لقد كنت متحمسا حينها كحماس شخص بشيء جديد، وفي نفس الوقت كنت خائفاً، نهضت من سريري يومها (بدلاً من أن أستلقي في فراشي، والذي علمتُ لاحقاً أنه من خطوات علاجي)، فتحت النافذة وانحنيت خارجاً، ثم جلستُ في حوض الاستحمام، وتمشيت بالغرفة، وجلست فوق السرير والنزيف مازال مستمراً، لكني لم أكن تعيساً جداً، فهذه أول مرة منذ أكثر من 3 أو 4 سنوات منذ جافاني النوم، ها أنا أنام في سريري، شريطة أن يتوقف النزيف، وفعلا توقف، ولم أنزف من حينها، نمت ليلتها كاملة. وتأكيداً على ذلك، أذكر حضور الخادمة صباحاً (كنت أسكن حينها في شقة قريبة من قصر شيونبورن)، فتاة طيبة جداً، وصريحة أكثر، عندما وقعت عيناها على الدماء قالت لي: آه يا سيدي، لا أعتقد أنك ستعيش طويلا». أحسست يومها بالتحسن، فذهبت إلى المكتب وذهبت إلى الطبيب بعد الظهيرة. والباقي ليس مهماً جداً.

ما أود قوله: «ليس مرضك هو ما يزعجني، لقد كنت أقاطع نفسي لأعود بذاكرتي وأتذكر نعومتك وضعفك، أحاول أن أفهم كيف لفتاة

مثلك أن تكون بمثل قوة فتاة ريفية، لا لست بمريضة، لا يمكنك ذلك. إنها مجرد نزلة رئوية، ليس مرض السل لا يمكنه أن يكون»، ما زلت مصراً ليس هذا ما يزعجني، وإنما الأعراض التالية للمرض. بهذه اللحظة سأتجاهل باقي رسالتك، وأكمل بأن أكثر ما كان يضايقني هو الشاي والتفاح من حبتين إلى 8 يومياً، ومازلت لا أفهم كيف يكون فيهم العلاج، هذا ما لم يتمكن أحد من شرحه لي، في هذه اللحظة سأتجاهل ذلك(مع أنه تجاهل مؤقت، فلا يمكن لأحد أن ينسى هذا النوع من العذاب)، فما توصلت له، أن سبب مرضي هو أن عقلي لم يعد يحتمل المزيد، فالآلام والهموم أنهكت ثاقلي، فهو يقول: «لقد غلب على أمري، أتمنى لو كان هناك من يهتم بأن يواصل الأمور عني، يجب أن أجد من يخفف عني ثقلي، هذا ما سيجعل الأمور تستمر لوقت أطول قليلا»، عندئذ تطوعت رئتي والتي لم تكن لتخسر الكثير. الأحاديث بين عقلي ورئتي والتي جرت من غير علمي كم هي مرعبة.

ماذا تنوين أن تفعلي الآن، حقيقة أن يهتم بك أحد أمر مفروغ منه، أي شخص يهتم بك يعلم أنه يجب إحاطتك ببعض الاهتمام، وأن تكوني أهم من كل شيء آخر، هل تجدين العزاء في كلامي؟ سأرد عنك، لا.

لست بمزاج يسمح لي بالمزاح، ولن أستطيع المزاح حتى تخبريني كيف ستخططين لحياتك صحية بعد ذلك. لن ألح عليك مجدداً على مغادرة فيينا، أنا أفهم الآن، ولكن هنالك أماكن جميلة حول فيينا، والتي تؤمن العلاجات والنقاهة التي لربما تحتاجين لها. لن أكتب لك عن شيء آخر اليوم، فليس هنالك شيء أهم لأراسلك عنه، سأحتفظ بالباقي للغد، بالإضافة إلى شكري العميق على نشر كتابي kmen والذي يشعرني بالحماسة والخجل -الفرح والحزن. لا- هنالك شيء آخر، إذا قمتِ بتضييع دقيقة أخرى بالترجمة سأعتبر أنك تقومين بلعني، ففي وقت الحساب لا يوجد

وقت للجدل، ستكون حقيقة واحدة هي أنني حرمتك من نومك وبهذا ستثبت إدانتي، وهذا ما سأستحقه. وبذلك فأنا أحمي نفسي حين أطلب منك التوقف.

Ka Frank.

ميران (نهاية شهر إبريل 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا، أرغب اليوم أن أحدثك عن أمر آخر لكني لا أستطيع، ليس لأنه يزعجني، ولكن إن كان كذلك سأكتب عن شيء آخر، في هذه الأوقات يجب أن يهيئ لك مقعداً مريحاً في الحديقة تحت ظلال الأشجار، وبجانبه كوب من الحليب، وأرضى أن يكون حتى في فيينا، بعيداً عن الجوع وفي هدوء وسلام. هل هذا شيء مستحيل، إلا يوجد أحد ليعتني بك؟ كيف شخّص الطبيب حالتك؟

لقد شعرت بالإحباط عندما أخرجت ترجمة الكتاب من الظرف الكبير، فهي لم تكن رسالة منك!! كيف لي أن أسعد بسماع صوت كتاب أعلم ما فيه جيداً في حين كنت أنتظر سماع صوتك!!

لماذا دخل صوت الكتاب بيننا؟ ثم تراءى لي أن هذا الكتاب ما هي إلا وسيط بيننا. لا أصدق كم العمل الهائل الذي تقومين به . والإخلاص والأمانة التي تم به العمل، لم أتوقع يوما أنه سيترجم للغة التشيكية، حتى رأيت قدرتك على صف الكلمات بهذه الطريقة الخلابة. كم تتشابه اللغة

الألمانية مع اللغة التشيكية، مهما كان الوضع فذلك الكتاب مظلم إلى أبعد الحدود. عزيزتي ميلينا، أستطيع أن أثبت لك المرة تلو الأخرى أن الظلام سيظل مسيطراً عليه، القيمة الوحيدة التي أراها فيه هو إعجابك بالقصة. على الرغم من أنه يثبت أن نظرتي للعالم هي نظرة سوداوية. يكفينا كلاماً عن ذلك. سيرسل لك وولف كتاب «طبيب القرية»، - كتبت له عن ذلك.

طبعا أنا أفهم اللغة التشيكية، رغبت مطولاً سؤالك لم لا تراسليني باللغة التشيكية. ليس لأنك لا تحسنين الألمانية، فأنت في أغلب الأوقات تجيدينها بطريقة تثير الدهشة وكأن اللغة الألمانية تنحني أمامك لتداعب خيالك اللغوي بطريقة لا يحسنها الألمانيين أنفسهم. أود قراءة رسالة منك بالتشيكية، فالتشيكية هي أنت، أما بالألمانية فكأنك مجرد فتاة من فيينا أو فتاة تحاول أو أن تبدو أنها من فيينا، ففي الكلمات التشيكية أجد ميلينا، لذا بالتشيكية، رجاءً. كما أرجو منك أن ترسلي لي القصاصات التي أخبرتني عنها، حتى لو كانت رؤيتها بسيطة، فأنت استطعتِ أن تقرئي الجمال في قصتي المعتمة، فلربما استطعت أن أفعل مثلك، وأتمسك بها بأفضل الأحوال.

تسألين عن خطوبتي، لقد خطبت مرتين أو حتى ثلاث مرات (ذلك لأنني خطبت نفس الفتاة مرتين)، لقد فسخت الخطبة ثلاث مرات قبل الزواج بعدة أيام. أما عن خطيبتي الأولى سمعت أنها تزوجت ورزقت بطفل، أما الخطيبة الثانية خطوبتنا مازالت قائمة من غير أمل بإتمام الزواج، وكأنها حياة استقلالية كل منا في طريقه، أعتبر أن الخطوبة وكأنها لم تكن. فقد خرجت من تجاربي بأن الرجل يعاني أكثر في تجاربه، لأنه صاحب القرار، لا أعني أن المرأة لا تعاني لكنها مغلوبة على أمرها وتتصرف وكأن الأمر محتوم عليها من دون أن تكون طرفاً فيه، لا يفلح التفكير في ذلك، يتصور لي وكأن الرجل يحاول أن يحطم مرجلا في الجحيم، وسواء حطمه أم

لا سيتألم الرجل من هول اللهيب المتدفق عند تحطم المرجل، لكن اللهيب سيبقى بكامل مجده. ويجب عليه أن يحل المشكلة بطريقة أخرى.

في جميع الأحوال، يجب عليك أن تسترخي في الحديقة وتعيشي اللحظات الرائعة، لتتخلصي من مرضك الذي أرجو ألا يكون كما تعتقدينه، عليك أن تستمتعي وأنت تتخلصين منه.

مع حبي وتحياتي

ف. كافكا

ميران (إبريل - مايو 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا

كبداية، أود إعلامك ما أعتقدك عرفته في خبايا رسائلي رغم حرصي على ألّا أعلمك به؛ أنا أعاني من أرق متزايد منذ 14 يوما، لا أعتبر الوضع بذلك السوء فهذه مرحلة متقطعة، ولهذه الأعراض أسباب عديدة،فيعتقد «المرض» أن جو ميران هو السبب، ولو لم يكن كذلك ، فأنا أحس نفسي أحياناً ثقيل البنية، وأحيانا كوحش ثائر في الغاب.

ما يسعدني هو أنك استطعت النوم أخيراً، على الرغم من مشاعرك المتضاربة بالأمس ، فقد نمتِ بسلام، من الآن فصاعداً حين يجافيني النوم سيكون ذلك مصدر سعادة لي لأني أعلم إلى أين يتجه، سيكون من الغباء معاندة النوم، فهو أكثر ما يشعرنا بالبراءة، فالشخص الذي يهجره النوم «مذنب».

وحين تشكرين الرجل الساهر الذي ذكرته في رسالتك السابقة، يخيل للمرء وكأن الرجل قد أزاح الجبال من مكانها، في حين أن أقصى ما فعله هو أنه حرك قلماً ليخط به رسالة لك، يا له من رجل محظوظ يقضي يومه بشرب اللبن وأكل التفاح ، بعيداً عن الشاي، من دون أن يضع بصمة على مجرى الأمور كما أنه ترك الجبال بمكانها.

هل تذكرين قصة نجاح «دوستويفسكي» الأولى؟ إنها قصة رائعة، لربما ستسمعين هذه القصة من أحد ما، أو قصة مقاربة لها لكن بنفس الفكرة، لا أذكر القصة جيداً، لكن ما أذكره هو عدد من الأمور التي تركت أثراً في نفسي، في ذلك الوقت كان دوستويفسكي يكتب رواية الفقراء، وكان يسكن مع صديقه الأديب جريجورييف الذي لم يكترث يوما لعدد الأوراق المتناثرة على الطاولة إلا حين اكتملت، قرأها جريجورييف وأعجب بها جداً، فأخذها إلى الناقد المعروف حينها نكراسوف، من دون أن يعلم دوستويفسكي. في اليوم التالي رن جرس منزل دوستويفسكي عند الساعة الثالثة، ليجد صديقه جريجورييف والناقد نكراسوف على عتبة داره، دخل نكراسوف وانهال على دوستويفسكي بالقبل ولم يكن يعرفه مسبقاً، «أمل روسيا» كان هذا هو نادى به الناقد الشهير على دوستويفسكي. وأخذا يتحدثان ساعات طويلة عن الرواية، حتى بزوغ فجر اليوم التالي، وعند مغادرتهما وقف دوستويفسكي يراقب ابتعادهما عن المنزل وهو يبكي، لقد كانت تلك أسعد ليلة في حياة دوستويفسكي، شعور لا يمكن وصفه «يا لهم من أناس نبلاء» ما أطيبهم ؛ «لو أنهم فقط استطاعوا أن يرو السواد الذي في داخلي، يا لي من شخص زائف»، لم يكن بمقدور دوستويفسكي أن يجد كلمات لتعبر عن مشاعره، لننهي القصة إلى هذا الحد، هل أدركت يا ميلينا المغزى؟؟ هل يمكن لعقل أن يدرك مغزى

كلامي؟ سأقول لك ما أعتقده باختصار، لم يكن جريجوريف والناقد نكراسوف أنبل من دوستويفسكي، لو أننا نغض النظر قليلاً عن مشاعر دوستويفسكي تلك الليلة، هل حقا كان دوستويفسكي أقل نبلاً منهما، هل حقا كان دوستويفسكي زائفاً، «هل حقا لن يصل إلى نصف نبلهما يوماً كما اعتقد «لقد كان دوستويفسكي قادراً على أن يرد إحسانهما يوماً» لكن ما فعلاه له ومن دون علمه كان له أثر كبير على قلبه، يستطيع المرء أن يعيش لحظة ابتعادهما وهو يراقبهما من النافذة، وكأن المرء لن يستطيع أن يرى أحداً يبلغ نبلهما. لسوء الحظ يتبدد مغزى القصة حين نذكر عظمة اسم دوستويفسكي.

إلى أن سيقودني أرقي؟

لا أظن أنه سينتهي إلى مكان لا أعلمه.

فرانز ك.

ميران (مايو 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا

بضع كلمات لليوم، سأكتب لك مطولاً غداً، أما اليوم سأكتب عني فقط، سأفعل أي شيء لأبدد تلك المشاعر التي تعتريني حين أقرأ رسائلك، وإلا ستثقل كاهلي ليل نهار. أنت غريبة الأطوار عزيزتي ميلينا، فأنت تعيشين في فيينا رغم معاناتك فيها، ورغم ذلك تستهجنين حين تعلمين أن آخرين مثلي مثلاً لا يشعرون أنهم بأحسن حال، يزداد نومي سوءاً يوماً بعد

يوم. لي هنا ثلاث صديقات (أكبرهن 5 سنوات) يبدون على ما يرام، مع أنهن يرغبن في رميي بالماء أو حتى بالنهر أحياناً إن استطعن، ليس لأنني قاس عليهن، وإنما نوع من الحب الذي يشعر به الصغار، وكأنهن يقلن: «هيا لنفعل المستحيل»، مع أن الصغار لا يعرفون المستحيل، ففشلهم برمي شيء حتى لو لعشر مرات وسقوطه على الأرض لا يقنعهم أن طريقتهم لا تجدي نفعاً، في الحقيقة لا يحاولون معرفة سبب فشلهم السابق. إن الأطفال غريبون أحيانا، وخصوصا عندما تتحول كلماتهم ونواياهم إلى أساليبنا نحن الراشدين. تهاجمني تلك الفتاة الصغيرة ذات الأعوام الأربعة، ببدنها الممتلئ الصغير، وكأنها دب صغير قوي -والتي من المفترض أنها أتت إلى هذا العالم لتملأه بالقبلات والأحضان- وحين تشاركها شقيقتيها هجومها عن اليمين وعن الشمال، لا أجد نفسي إلا أتراجع ليصطدم الدرابزين بظهري. وعند قدوم والدهما الطيب ووالدتهما الجميلة الممتلئة -والتي تذهب لتقف بجوار مهد طفلها الرابع مبتسمة غير مستعدة للمساعدة- ، ثم ليظهر للعيان أنني هزمت فلا أجد إلا الاستسلام فلا أمل للهرب من أولئك الفتيات. ودون سبب حقيقي أشعر أن تلك الفتيات يردن أن يطرحنني أرضاً وكأنني غير ضروري في حياتهن، فهن لا يعرفن الكثير عني مثلك.

لا تقلقي من كلامي أنني جيد برسالتي السابقة، فقد كنت قد عانيت يومها من أرق طوال الليل، أنهكني التعب، لقد كتبت يومها قصة، كان الهدف بكتابتها أن أبقى على اتصال معك، وعند انتهاء القصة لم أتذكر ما كتبت، فقد كنت أفكر فيك أغلب الوقت، لقد جلست يومها على الشرفة، أحاول أن أصور قصة في عقلي، فكل ما كنت أكتبه كان من نبع مشاعري، التي لا أستطيع أن أسيطر عليها حتى الآن.

لقد وصلك إلى الآن كل كتبي ماعدا كتاب «طبيب القرية» مجموعة من قصص صغيرة، سيرسلها لك وولف لاحقا، لقد كتبت له عن ذلك منذ أسبوع تقريباً، لم أكتب أي كتاب حالياً، مازلت لا أعلم ما سيكون إصداري القادم. افعلي كما تشائين بخصوص ترجمة الكتب التي لديك، فلا أجد من هو أهل للثقة أكثر منك فيما يخص كتبي. لقد سعدت بملاحظاتك عن كتاب «الفحام»، سيكون ذلك تصوراً جديداً-أن تتصور أن تورط المرء بالعمل السيئ بدلاً من الخير ما هو إلا لعنة أبدية.

بإمكان الكتابة أن تكون مفيدة للمرء، فأنا أهدأ الآن مما كنت عليه منذ ساعتين حين قرأت رسالتك وأنا جالس على الشرفة، لقد سقطت أمامي خنفساء على ظهرها، كانت تحاول جاهدة أن تنقذ نفسها، كانت تبعد عني مسافة خطوة كان بإمكاني التحرك لمساعدتها، لكني لم أستطع أن أترك رسالتك لقد كنت منجرفاً في خيالي، حتى أيقظتني سحلية منه، وهي تتجه إلى الخنفساء لتأكلها، لقد كان صراعاً على البقاء بين حيوانين أمامي، عندما زحفت السحلية باتجاه الخنفساء، قامت بقلبها، لتستعيد الخنفساء هدوئها قليلاً ثم تسرع راكضة على الجدار، وكأن شيئا لم يكن. وبشكل غريب أمدتني تلك الخنفساء بالشجاعة فقمت واقفاً لأشرب كأس حليب ثم أكتب لك.

فرانز ك.

هذه هي الملاحظات التي ذكرتها لك مسبقاً:

• عمود واحد، خط 2 - الذراع، وهنا أيضاً أن يكون لها معنى ثانوي، يرثى لها، ولكن من دون أي تركيز خاص من الشعور، والتعاطف، ودون فهم إن كان كارل مع والديه أيضاً.

- 1 - 9، قليلا أكثر عظمة، ولكن لا يوجد بديل.
- 1 - 17، وينبغي إزالتها تماماً.

أرغب في إرسال الرسالة لك الآن، سأرسل التعديلات لك غداً، فهي تغييرات قليلة، فمازالت ترجمتك تحوز على إعجابي مرة تلو الأخرى، والذي يعني لي الكثير، فلا أجد أي التباس يذكر، وحتى لو وجد فإن ذلك سيكون بموضع القوة، ولن يكون مهماً. لا أعلم أن كان التشيكيون يلومونك على إخلاصك، فهو أجمل ما أجده في ترجمتك -وليس لذلك علاقة بترجمة القصة، وإنما إخلاصك لي أنا- . بات فهمي للغة التشيكية مكتملاً، لكنه منحاز لك تماماً، إن حاول أحد أن يسيء لك بسبب ذلك، آمل أن تجدي عزاءك بامتناني الشديد لك.

ميران (مايو 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا،

لقد باتت بداية رسالتي الدائمة لك مرهقة، لكني أحاول أن أعتبرها كمن يتمسك بشيء من أجل الاستمرار للحياة، وكأنها عكاز للمريض، لكن هذا العكاز يصبح متعباً للمريض حين يبدأ بالنمو، لم أعش يوما بين الألمان، إن اللغة الألمانية هي لغتي الأم، وأعتبر تحدثي بها طبيعيا أكثر، مع أني أجد اللغة التشيكية عملية أكثر، ولهذا فإن رسائلك تمحو الغموض، فأجد نفسي أراك بوضوحك أكبر، تحرك جسدك ويديك سريع جداً، فكلما حاولت النظر إلى وجهك في منتصف الرسالة، تندلع النيران فجأة فيختفي وجهك من أمامي، فلا أجد أمامي إلا النيران، يا لها من قصة!

يمكن لأي شخص آخر أن يجد خضوعك لقوانين تحكم حياتك هو شيء مقنع، فتجدين نفسك تحتملين ما لا يجب عليك من أجل ألّا يشفق عليك أحد، أجد خضوعك للقوانين ما هو إلا غطرسة وغرور (لا يشعر به غيري)، فانسياقك لقوانين وضعتها لتسيري بها حياتك لا يحتاج لمقاومة، ما لي إلا أن أقبل يديك بصمت. أقبل قوانينك، لكن هل يجوز لها أن تسيطر على حياتك، إن تصرفك هذا يخضع للتبصر، هل تستطيعين أن تتبصري على طول الطريق، هذا الطريق الذي لا نهاية له.

لننسَ كل ذلك، إن ما يرهق عقلي البشري هو أن يراك تعيشين في مثل هذا الفرن الحامي. فيما يتعلق بي، لك ثلاثة خيارات، فإما أن تنظري لي ولكل ما يتعلق بي أنه مقدر عليك لا يد لك به - كأنه واجب. أو بإمكانك إلا تحدثيني عن حياتك، لكنني سأحرم نفسي من متعة معرفتك، أو ما هو أصعب متعة أنني أعرفك، وهو ما أعتقده سبب عدم إخفائك حياتك عني، لقد أخفيت عني بعض أسرارك أو تفاصيل قررتِ عدم إعلامي بها، ولكنك مازلت تراسلينني، لكن الوضع مختلف الآن، فمشاعري اتجاهك اختلفت، حتى لو لم أكن قد عبرت عنها بصدق، وهو ما يرهقني، وأنت لا تستطيعين فعل ذلك أيضاً. أما ثالث احتمال: هو إصرارك على حماية نفسك، فأنا أجد هدوءاً غريباً في رسائلك، لطالما كانت رسائلك هادئة، لكنها الآن تتحول في نهايتها إلى رعب واضح.

أما ما تقولينه عن صحتك (صحتي جيدة بشكل عام، لكني لا أستطيع النوم في هواء الجبال) هذا لا يرضيني،لا أجد تشخيص الأطباء مرضياً، فهي إما مرضية، أو غير مرضية، فأسلوبك هو ما يحدد طريقة الجواب. طبعا الأطباء أغبياء، ليسوا أغبى من أي شخص عادي، لكن غرورهم هو الأغبى منهم، فتستطيعين أن تحددي مدى غبائهم منذ اللحظة

التي تبدئين بالتعامل معهم، كيف تغيرت حياتك منذ مرضك هذا هو السؤال الحقيقي.

والآن اسمحي لي بسؤالك عدداً من الأسئلة، منذ متى وأنت لا تملكين المال؟ هل أنت على اتصال بأقاربك؟ (على ما أذكر أنك على اتصال معهم ، فقد أعطيتني مرة عنوان أحد منهم لتستلمي طرداً، هل توقف ذلك؟ ألم تكوني تقابلين أشخاصاً في فيينا مسبقاً كما قلت، أتوقفتِ عن مقابلتهم الآن؟).

ترفضين أن ترسلي لي قصاصاتك، كما لو أنك لا تثقين بي؛ سأضعهم في المكان المناسب لهم كما نظرتي لك! إذن سأغضب منك بسبب ذلك، علماً أن ذلك لن يكون بالشيء الهائل، فبعض الغضب اتجاهك سينزوي بزوايا قلبي، ليحدث بعض التوازن في قلبي.

فرانكز ك

ميران (29 مايو 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا، الأيام قصيرة جداً، فما بين تفكيري بك وبضع أمور لا تحتسب ينتهي اليوم، فلا يتبقى إلا القليل لأكتب لميلينا الحقيقية، مع أنك تلازمينني طوال اليوم، في الغرفة وفي الشرفة وفي السحاب.

من أين أتتك تلك الحيوية والمزاج الجيد، التي تظهر في رسالتك الأخيرة؟ هل من جديد؟ هل أنا مخطئ؟ أم أن كلماتك النثرية قد أحدثت

أثراً في نفسي؟ أتعمدت ذلك، أم أن الحياة فرضت ذلك عليك؟ أعلميني ما هي الحقيقة؟

بدأت رسالتك ككلام قاضٍ، وأنا جاد بكلامي. أعلم أنك محقة بتعنيفك لي، أو ربما لا يحق لك ذلك، فلك الحق بالكلام بطريقة واضحة، من الواضح أن القلق يسيطر علي، كما كان يسيطر علي مسبقاً حين كتبت لك، فلم أستطع أن أسيطر على مشاعري. ها أنا جالس على مقعدي من دون حراك، مع أنني كنت أفضل أن أتجه إليك إلى غرفتك لأظهر لك إخلاصي، فما غير ذلك إلا مجرد كلام، بما فيه مشاعري نحوك وتعبيري عن إخلاصي لك، أم أنه مجرد شعور في داخلي، شعور هادئ وصامت!.

كيف تستطيعين أن تتحملي مثل هؤلاء السخفاء الذين وصفتهم لي، (فقد وصفتهم لي بحب وغرابة)، فذلك الفضولي وحتى غيره الكثيرون. فبالنهاية مجرد كلمة منك تنهي النقاش، بالنهاية يكون القرار للمرأة. (أسطورة باريس تترك الأمور مريبة أحياناً، فحتى باريس تحكم كما يحكم من له إله أقوى)، مثل هذه السخافات لا تؤرقني، ففي لحظة أجدها مجرد سخافات وفي لحظة أخرى هي حياة كاملة مليئة بالخير، فمن يستطيع أن يعرف بما يفكر القاضي، أعلم أنك تستطيعين تجاوز مثل هذه السخافات، التي لربما تكون مثالاً على التفهم أو حتى الحب، أما عني فأراك وكأنك تتوجين هالة للشرف على سخافات مثل هذه، والتي هي مثل اهتزاز ذيل الكلب، وحركته المتعرجة حين يركض، بينما سيده يمضي في خط مستقيم، متجهاً إلى الأمام، ليس في الوسط وإنما يمضي حيث يأخذه الطريق. أعتقد وبشدة أن هنالك سبباً لحبك لهم (أعلم أنني لا أساعدك كثيراً بتساؤلاتي، وإنما أجده غريبا فقط)، فهو يذكرني بأسلوب كلام أحد الموظفين لدينا في المكتب -يحضرني ذكره فقط لمحاولة مني لفهم وجهة نظرك- ذهبت منذ

سنوات عديدة للتجديف في نهر مالدو في قارب صغير، لقد جدفت عكس التيار لفترة ثم تركت نفسي ممداً على ظهري تحت الجسر لينجرف بي النهر مع تياره، وطبعاً بسبب نحفي كان منظري مضحكاً لمن ينظر إلي من فوق الجسر، وهذا ما وجده زميلي في الشركة وهو يراقبني من فوق الجسر، لقد رآني ممداً على ظهري في ذلك القارب والتيار يسحبني معه، فما كان منه إلا أن قال لي: «يبدو منظرك كمن هو يتجه إلى الحساب الأخير، حين ترفع الأكفان، ويبقى الأموات من دون حراك».

خرجت في نزهة قصيرة (ليست كتلك التي أخبرتك عنها ولم تحدث)، بقيت متعباً لثلاثة أيام بعدها (ليس إرهاقاً خطراً) لقد كنت عاجزاً عن أي عمل، حتى الكتابة لك، لقد أمضيت تلك الأيام أعيد قراءة رسائلك ومقالتك مرات ومرات. أعتقد أن مقالك فريد من نوعه، لم أقرأ مقالة نثرية مثلها من قبل، وكأنك أوجدت مقالة لتكون لوحة إعلانية على طريق حياة شخص ما، ليواصل سيره في معترك الحياة بسعادة فائقة، فيدرك المرء بلحظة تنورية أنه يمضي في سبيل دائري لا يتقدم فيه شيء، لكن ما هو مختلف به أنه سعيد بذلك، فهو يمضي بسعادة لا متناهية، لا أستطيع أن أقول غير أن من يخط مثل هذه الكلمات لتشكل هذا المقال النثري ما هو إلا شخص من الخيال.

لقد ازدادت ثقتي بكتاباتك أكثر بعد قراءتي لمقالك، لقد كانت ثقتي محصورة بشخصك لكن الآن أعرف أن كتابتك ستكون مبدعة، فأنا أعرف القليل فقط عن اللغة التشيكية (فمفاهيمي محدودة)، الموسيقى الوحيدة التي أعرفها بالتشيكية هي (بوتسينا نيمكوفا)، إنها موسيقى من نوع آخر، موسيقى تتصف بالعزم، والحب، والجمال، والذكاء، وهذا هو فقط نتيجة السنوات القليلة السابقة. هل كتبت في السنوات السابقة؟ أتعتقدين أنني منحاز لك بطريقة مضحكة؟، بالفعل أنا كذلك، فما وجدته في كتابتك شيء

رائع فمقالك ليس بالمقال السهل، وهذا من مساوئ الصحافة، لكنني منحاز لأن أجد العظمة فيه. لقد انجرفت مع عدد من الفقرات التي آنستني فهذا المقال من كتاباتك. إنه لحكم غريب ذلك الذي أجده. كنت وددت لو سمحتِ لي أن احتفظ بالقصاصات لأريها لأختي، لكنك متعجلة باستردادها ولذلك سأرسلها لك حالا، كما أنني أرى أنك قمتِ بعدد من الحسابات على جوانبهم.

لقد تسرعتُ بالحكم على زوجك سابقاً، فقد كنت أقابله في مقهى سيركل، وبدا لي كرجل هادئاً، واقعياً، متفهماً، بنزعة أبوية متشددة، غامضاً ولكن ليس بطريقة تجعلني أنسى صفاته السابقة، لم أحظ بفرصة أن أتعرف عليه أكثر، لكن أصدقائي، مثل ماكس برود، لهم نظرة إيجابية عنه، وهذا ما أجدني أفكر فيه كلما مر بذاكرتي. كما أنني أعجبت بطريقته الغامضة تلك فهو يجيب على كل الاتصالات التي تصله إلى مختلف المقاهي، وكأن شخصا يهمه يجلس إلى جانب الهاتف بدلا من أن ينام، يأخذ غفوة على الكرسي، ثم يقفز المرة تلو الأخرى إلى الهاتف ليتصل به. وللصدفة أجد أنه و«ستيسا» يتصرفان بصواب، فأستطيع أن أتحقق من كل شيء، حتى من دون أن أتحقق. علماً أنني في داخلي أعلم أن ستيسا أصوب منه أحياناً.

فرانز ك

ماذا تتوقعين؟ هل من الممكن أن أستلم منك رسالة يوم الأحد؟ إنه ممكن. إن شوقي لاستلام رسائلك يتحول مثل الهوس، إلا تكفي رسالة واحدة، إلا يكفي أن أعلم شيئا واحداً؟ طبعاً يكفي، لكنني أميل رأسي إلى الخلف لأتجرع من كلمات رسائلك التي لا أكتفي منها. اشرحي لي لماذا يحدث هذا معي؟ معلمة ميلينا.

ميران (30 مايو 1920م)

عزيزتي السيدة ميلينا،

كيف لك يا ميلينا أن تعرفي ما هي طباع البشر؟ ففي بعض الأحيان أقع باللغط، فمثلاً على ذلك، حين كتبتِ لي عن ويرفيل، كتبتِ لي بكل حب، فقط بحب، لكن هذا الحب مبهم، فحتى حين تتناسي من هو ويرفيل، وتركزي أنه فقط شخص بدين، (وهذا ليس عادلا، حتى لو اعتقدت أنها نظرتي إليه وهو يمر بجانبي، أعتقد أن «وي» يكبر بحب جميل عاما تلو الآخر). ألا تعلمين أن البدناء هم فقط الأشخاص الموثوقون؟ فهم أقوياء جداً إلا حين يتعلق الأمر بالأكل، وكأن لهم مناعة مما يعتري الحياة من قلق وبئس، فهم أكثر إنسانية من غيرهم، فهم يمرون بالحياة بهدوء، قال لي أحدهم مرة إنهم أكثر الأشخاص المفيدين على وجه الأرض، فهم يجلبون الدفء للجنوب والظلال للشمال، وطبعاً تستطيعين عكس ذلك أيضاً لكنه لن يكون صائباً.

ثم هنالك مسألة كوني يهودياً، سألتني إن كنت يهودياً، لربما هي مزحة منك، أو لربما تريدين معرفة إن كنت أحد هؤلاء اليهود القلقين دائماً، لكن لفتاة من براغ يجب ألا تكون قلقلة من هذا الشأن، كمثال: ماثيلد زوجة هينس. (إلا تعرفين هذه القصة، أعرف أن لدي ما هو أهم لإخبارك به، وأعلم أنني سأؤذي نفسي بإخبارك بها، ليس من القصة وإنما إخبارك هو ما سيؤذيني) فيجب علي أن أروي لك ما هو جيد فحسب). ميسينير، ألماني بوهيمي – ليس بيهودي- روى هذه القصة في مذكراته، ماثليلد كانت دائما ما تزعجه بخصوص الألمان، وتنعتهم بالخبثاء، المتحذلقين، التافهين، الانتهازيين، بكل بساطة وكأنهم لا يطاقون. «لكنك

لا تعرفين الألمان» رد عليها ميسينير أخيراً «فهنري لا يقابل إلا الصحافة الألمانية، كما أن باريس ممتلئة باليهود» «أووو....» ردت عليه ماثيلد «أنت تبالغ فاليهود موجودون فقط هنا وهناك»، «لا» رد عليها ميسينير «هو الوحيد غير اليهودي هنا»ردت ماثيلد «ماذا؟» «تقصد أنه جيتيليس ... ذلك الرجل الضخم الأشقر يهودي» «طبعاً كما أقول لك» رد ميسينير، «لكن ماذا عن بامبرجر» «بامبرجر أيضاً» «لكن أرنستين؟....» «هي كذلك» واستمرا بذلك طوال حديثهما، حتى ضجرت ماثيلد وقالت «إنك تحاول أن تقيدني بكلامك، لكن كوهين ليس اسماً يهودياً، وكوهين قريب لهنري إذن هو أيضاً لوثيران» لكن ميسينير لم يجد ما يرد عليها به. على كل، لا تبدين وكأنك تخافين من اليهود، فبعد جيلين من اليهود الأبطال في مدينتنا -إنه لشيء مضحك حقاً- حين تطلب فتاة بريئة أن تنطلق إلى المدينة لا يبدو الأمر وكأنها «جوان من أورك»، تغادر قريتها. يجب أن نبرر لليهود قلقهم الدائم، فهم على الأغلب أكثر إنسانية في أوقات كثيرة عن غيرهم. فأول عتاب فعلي هو ما يختص بزوجك، والثاني أن ليس ما تظنينه ينطبق على كل اليهود، والثالث فذلك ينطبق على عدد محدد من المواقف، وهو ما ينطبق علي وبشدة. الأغرب في كل ذلك أنني لا أجد مكاناً للعتب، فهنالك عدم أمان في مواقعهم، وفي أنفسهم، وبما يختص بثقتهم بالأشخاص الآخرين. هل ما سبق يبرر لك لماذا يظن اليهود أنهم يملكون فقط ما بين أيديهم ويتشبثون به بأسنانهم، فهذا ما يبرر لهم لما يعيشون، فلن يستطيعوا أن يرجعوا ما سبق وخسروه، والذي يسبح سعيدا بعيداً عنهم، فقد فُقد إلى الأبد. يواجه اليهود الخطر من كل جهة، فلنترك الخطر ونقول: «هم مهددون من التهديد نفسه»، كمثل قريب لك، مع أنني وعدتك بألا أتحدث عنه حين تعرفت عليك مسبقاً، وها أنا أذكره من غير تردد، ومع أنها لن تضيف لك شيئا جديداً، لكنها تتحدث عن حب الأقرباء، ولن أذكر

أسماء لأنني نسيتهم، أختي الكبرى على وشك الزواج من تشيكي، مسيحي، كان قد تحدث مسبقاً إلى أحد قريباتك عن رغبته بالزواج من يهودية، فردت عليه قائلة: «أي شيء إلا هذا، نحن لا نندمج مع اليهود، أسمع هذه ميلينا، الخ...» إلى أين أقودك بكلامي هذا، لقد تشتت عن هدفي قليلاً لكن لا مانع من ذلك، فعندما تكونين معي نضيع سوياً. وهذا ما يعكس جمالية ترجمتك، إنها مخلصة، «تفضلي ووبخيني على كلامي، نعم أجد ترجمتك مخلصة» فأنا أعلم انك ستقومين بكل شيء ممكن فأنت توبخين كأفضل شخص رأيته، أود أن أكون طالبا لديك لتستطيعي أن توبخيني كما تشائين، وكأنني أجلس على مكتبي خائفاً من أرفع عيني وأنت منحنية باتجاهي وأصابعك تلوح في الهواء، لتجدي خطأ، وكأن هذه هي الطريقة المثلى» وكما قلت مسبقا، ترجمتك لكتبي مخلصة وكأنني أقودك في ممرات الكتاب، الكئيب المتدني البشع، والذي يبدو كما أنه لا نهاية له. وأنت لا تعلمين ذلك، فتقولين «سيستمر هذا لشهرين فقط» متأملة أن تجدي نهاية القصة.

يكفي كتابة لليوم، يجب أن أحرر يديَّ قليلاً لحسن حظك. سأكتب لك غداً وكأنني سأتحدث إلى نفسي سأخبرك لم لن أستطيع القدوم إلى فيينا، ولن أنتهي راضياً حتى تقولي: نعم، إنه على حق.

ف

أرجو منك أن تكتبي عنوانك بطريقة مقروءة أكثر، فأنا أعتقد أن إحدى رسائلي ضاعت، قلق اليهود، بدلاً من أن أتصور أنها وصلتك بسلام.

والآن سأقول لك شيئا غبياً، فمن الغباء أن أقول شيئا وأنا أعلم أنه سيؤذيني، وفوق ذلك، تسألني ميلينا عن قلقي، وتضرب على صدري

وتسأل: هل أنت يهودي؟ مَن مِنَ التشيكيين له نفس الوقع والصوت، إلا ترين أن أول كلماتك «هل أنت» وكأنك تأهبين قبضتك، ثم تقولين «يهودي» فتقضي على سعادتي، فوقع الكلمات التشيكية أن تكون أصعب على الأذن الألمانية.

سألتني مرة كيف لي أن أعيش معتمداً على رسالة واحدة، وأجبتِ بنفسك حينها لا أدري، من الغرابة أن تخرج من فمك مثل هذه الكلمة، فهي كلمة قاسية، عديمة الرحمة، أشبهها بأكل البندق، فالفكان يضربان على بعضهما ثلاث مرات وأنت تنطقينها، فأول كلمة منها كإمساك حبة البندق، فقط إمساكها، والثانية، تفتح الفم على مصراعيه، والثالثة تكسرها، هل تسمعين صرير أسنانك، إغلاق الفم بعدها ما هي إلا محاولة لتسكت الشخص الآخر، فلا مجال له من الاعتراض، وكأن كلام الآخر ما هو إلا ثرثرة، مازال جيدا أنني قادر على الثرثرة كما أفعل الآن، فكما يقول الكتاب، يستطيع المرء أن يثرثر طالما أنه يشعر بالسعادة.

حتى هذه اللحظة، لم يصلني أي رسالة منك اليوم، ومازالت كلماتي لم تجبك كما كان كنتِ ترغبين. أني متحمس للغد ، لغد أستمع فيه لبعض كلماتك، كم أود أن أسمع بعضاً من كلماتك قبل أن أسمع صوت الباب الذي يُغلق، -فبالنسبة لي كل الأبواب المغلقة سيئة-.

لربما كانت ثلاث كلمات لفظية تكفي لتَعبُر من ساعات براغ، فالعودة تعني الظهور، وغياب الغضب.

الاثنين،

ها هو التفسير الذي وعدتك به البارحة:

لا أُريد (ساعديني ميلينا، حاولي فهمي، أكثر مما تعبر الكلمات)، لا أريد (وهذا بتردد) أن أذهب إلى فيينا، لا أستطيع احتمال التوتر العقلي الناتج عن ذلك، فأنا مريض روحي، وإن مرض الرئة ليس إلا امتدادا لمرضي الروحي. إنني مريض روحي منذ أربع أو خمس سنوات منذ خطبتي الأولى والثانية، (لم أستطع أن أفهم سبب سرورك في رسالتك السابقة، لعلي علمت السبب ولكن تغاضيت عنه، فأنت شابة في الخامسة والعشرين أو ربما في الثالثة والعشرين، مازلت في مقتبل العمر، أما أنا شاب في السابعة والثلاثين وللدقة في بداية الثامنة والثلاثين، أكبرك بجيل تقريباً، وقد خط الشعر الأبيض رأسي من المرض والأرق)، لن أروي لك قصتي، فهي كالغابة الكثيفة، في ثناياها تفاصيل أخاف أن أذكرها كطفل صغير غير قادر على النسيان. لقد انتهت خطوباتي الثلاث وهذا ما يؤكد أنه خطئي، لقد كنت مخطئاً جداً بلا شك، لقد كنت سبب تعاسة خطيبتي الأولى في المرتين التي خطبتها فيها، ولا شك أنني كنت كذلك للثانية، كانت فتاة رقيقة جداً، حتى أن أرق الكلمات لا تصفها، تعرضت للإساءة بسببي، (لقد كانت مستعدة للتضحية بكل شيء لو لمست القليل من الإصرار على علاقتنا من طرفي)، لكني لم أحس بطعم السعادة، ولا الهدوء ولا التصميم. لقد تبددت قدراتي على الزواج، رغما أنني كنت قد أكدت لها ومن تلقاء نفسي إصراري على الزواج بها، أحببتها في بعض الأحيان حباً عنيفاً طائشاً، لم أكن قد عرفت أجمل من فكرة الزواج حينها، وقد بقيت أطرق بفتاتي، أو

حتى بنفسي للأصح، -كانت فتاة روسية يهودية- ، لحسن الحظ كانت قوية صلبة بطبيعتها، بينما أنا لم أكن إلا غضاً خفيفاً لا أستطيع حتى رفع المطرقة، لقد عانت معي الكثير وما كان مني إلا أن زدت عناءها وعنائي.

النهاية، لا أستطيع أن أكتب أكثر، فهذه ما هي إلا البداية فحسب، وسأشرح لك أكثر عن مرضي الروحي، وسأخبرك لم لا أستطيع الحضور.

وصلتني برقية مفادها: «قابلني في كارلسباد، الثامنة، أطلب رسالة» لقد كانت صدمتي كبيرة لاستلامي مثل هذه الرسالة منها، صدمت بشدة، فقد كانت وراء هذه البرقية من هي أكثر الناس تنزهاً عن الأنانية، لقد كانت هادئة متواضعة جداً، وهذا فعلاً ما كنت أرغب به. لا أستطيع أن أشرح أكثر عن مرضي، غير أنني أعلم تماماً أنني سأغادر يوم الاثنين، وسأبقى على اشتياق لاستلام رسائلك، فأنا أقرؤها بتمعن وكأنني أحاول أن أكتشف ما يختبئ بين سطورها، مثل سِرٍ يظهر في الكلمات ليظهرها أمامي «ارحل عن طريق فيينا» يبدو هذا صائباً، لكن من دون الرهبة التي ترافق الأوامر عادةً. لن أفعل ذلك، فليس هو الأكثر منطقية، بذلك سأعبر إلى طريق «لنتس» ثم إلى طريق طويل يمرب «فيينا»، أو أن أعبر الطريق القصير الذي يؤدي إليها من ميونخ مباشرة.

سأجرب شيئاً، يقف عصفور على شرفتي، ينظر إلي وكأنه ينتظر أن أرمي له بعضاً من فتات الخبز، لقد توقف خارج الغرفة وراح ينظر إلى الطعام بتوتر في داخل الغرفة المظلمة، فبالنسبة له مكانه على الشرفة وهاهو يتواجد قريباً من الغرفة ينظر إلى الطعام وإلى تلك القوة الغريبة جانبها والتي هي أنا، هاهو يقفز بحذر باتجاهي في الغرفة المظلمة، تبقى له خطوات قليلة ليصل إلى الطعام لكنه يتسمر مكانه خائفاً ثم يطير خارجاً

بسرعة مفاجئة. أي قوة تلك التي يمتلكها مثل هذا العصفور الصغير، فهاهو يعود مرة أخرى يتفقد المكان، لقد نثرت له بعض الخبز ليسهل له الحصول عليه، هذه هي القوى الخفية، التي تجعلنا نتصرف بعمد أو بغير عمد، فبحركة بسيطة كان قد حصل على الخبز.

تنتهي عطلتي في نهاية يونيو، وكنوع من التغيير أود الذهاب إلى الريف، كما أن الجو يزداد حرارة هنا، تُريد أن ترافقني، من المفترض أن نلتقي هناك، سأقضي أياماً قليلة هناك، وأياماً أخرى مع والدي في كونستنتينباد، ثم سأتجه إلى براغ، بالنظر إلى تلك الرحلات، وبالعودة إلى حالتي العقلية، أشعر أنني مثل نابليون، لو حصل على فرصة ليعرف نتائج حملته على روسيا وما ستخلفه من دمار!.

عندما وصلتني رسالتك الأولى، منذ فترة قصيرة،قبل موعد زفافي، (ذلك الزفاف الذي قمت أنا بترتيبه) كنت قد فرحت برسالتك وأريتها إياها- لا لن أتحدث عن ذلك، ولن أمزق هذه الرسالة أيضاً، يبدو أننا متشابهان، رغم أنك تحرقين رسائلك وأنا لا أملك موقداً لذلك، فأنا أظن أنني أرسلت إليها رسالة كنت قد كتبتها على ظهر رسالة موجهة لكِ - لكني قررت عدم إرسالها-. بجميع الأحوال سيصعب علي الحضور إلى فيينا، حتى لو لم تكن وصلتني برقيتها المثيرة للجدل .

مؤكد أنني لن أذهب إلى فيينا، وحتى لو فعلت، وذلك مستحيل، فستجدينني في حالة فجائية غير قادر على الأكل أو الشرب، وكل ما سأرغب بفعله هو أن أمدد جسدي لأرتاح. سيكون هذا الأسبوع صعباً علي.

ف

في حال رغبتِ بالكتابة لي فهذا هو عنواني: (كارلسباد- مكتب البريد)، لا تمهلي؛ لا تراسليني حتى أصل إلى براغ.

في أي مدرسة تُدرسين؟، هل هي مدرسة كبيرة تضم مئتي طالب أم أنها مدرسة لخمسين طالباً. كم أود لو أنني كنت طالباً لأجلس في الصف الأخير بجانب النافذة، لساعة تقريباً، لأتنازل بعدها عن رغبتي في لقائك -والذي يبدو أنه لن يحصل- لأتخلى عن كل الرحلات، و... كفى، ما بال هذه الورقة التي تحرق عيني الشخص لتزيده رغبة في الكتابة إلى ما لا نهاية؟

في فترة بعد الظهير، في ما يقارب الساعة الحادية عشرة، كنت قد رتبت كل شيء، لكنني قمت بإرسال برقية إلى براغ أعلمهم أنني لن أذهب إلى كارلسباد، وهذا شيء متضارب مع الواقع، وللصراحة، وان لم يكن هذا التصرف لائقاً كنت قد عزمت الذهاب، لكن أن أذهب إلى كارلسباد بحالتي هذه، هذه هي وسيلتي لأُعامَلَ ككائن حي، لا أستطيع أن أتمالك نفسي هناك، فلا أستطيع التحدث ولا حتى الصمت، علما أنني سأتحدث حتى لو كنت صامتاً، ففي هذه اللحظة ما أنا إلا كلمة واحدة. لقد زال شكي الآن سأرحل إلى ميونيخ ولن أمر بفيينا، فأنا لا أعلم أين تقع كارلسباد أصلاً. على الأغلب سأكتب لك، ولكن لن تصلني رسائلك لقرابة الثلاثة أسابيع، حتى أصل إلى براغ. (لندع القرار لك في ذلك).

الثلاثاء

توقعت ذلك، كتبت لك يوم السبت، وبدلا من أن تصلك الرسالة الأحد وصلتك يوم الثلاثاء ظهراً، وفي يوم الثلاثاء تمزقت بين أيدي الخادمة، يا لها من خدمة بريدية ممتازة! يفترض أن أغادر يوم الاثنين، وأتخلى عنها.

أنت طيبة جداً لتقلقي بشأني، تشتاقين لرسائلي، نعم، مضت عدة أيام لم أكتب بها الأسبوع الماضي، لكني عدت للكتابة يومياً منذ يوم السبت، وبذلك يفترض أن تستلمي ثلاث رسائل مني حالياً، والتي ستجعلك تقدرين تلك الأوقات التي اشتقت فيها للرسائل، ستلحظين أن كل مخاوفك مبررة، بغض النظر عن حقيقة أنني غاضب منك وخصوصاً لأن رسائلك تضمنت ما لم يعجبني، صفحة التسلية أزعجتني جداً، الخ... لا ميلينا يجب عليك ألا تخافي إطلاقا، بل على العكس يجب عليك أن تتحمسي.

من المبهج أن أستلم رسالتك، ولأرد عليك بعقلي النائم، لا أستطيع أن أفكر بشي آخر لأكتبه، فأنا أتجول بين الأسطر هنا وهناك، تحت الضوء الساطع من عينيك، ومن خلال النفس الخارج من شفتيك وكأنه يوم جميل، الذي يجلب البهجة إلى يومي حتى لو كنت مريضاً، تعباً، وحتى لو كان علي أن أغادر غدا عن طريق ميونيخ.

ف

ذهبت مسرعة إلى المنزل من أجلي؟ ألست بمريضة، إلا يجب على أن أقلق بشأنك؟ يجب علي، فأنا لا يوجد حقا ما يقلقني، لا فأنا أبالغ الآن كما كنت أفعل سابقاً، لكن هذا نوع من القلق الذي كان سيتملكني لو كنت

هنا تحت إشرافي، لو كان يصح لي أن أقدم لك الحليب المغذي مثل الذي أشربه، أعطيك القوة من الهواء الذي أتنفسه، وكأنها نسمات من البستان، لا، كل هذا ليس كافياً، فذلك سيعطيكِ قوة أكثر مما يعطيني.

لعدة أسباب يبدو أنني لن أغادر يوم الاثنين، لكن بعدها بقليل، ومن ثم سأسافر مباشرة إلى براغ، فقد تم إنشاء قطار سريع بين موزين - ميونيخ- براغ، إن كنت مازلت ترغبين بأن تكتبي لي عدة أسطر فمازال معك وقت، وإن لم تصلني هنا سيرسلونها لي إلى براغ.

ابقي بصحة جيدة من أجلي!

ف

أنا حقا بارون الغباء، أقرأ كتاباً عن «التبيت» تقع قصته في جبال «التبتاين» فجأة أثقلت على قلبي، كم بدت القرية بائسة يائسة، بدت لي كـ فيينا،ما أجده غبياً هي حقيقة أن «التبيت» بعيدة عن فيينا.

أليست بعيدة جداً؟



ميران (2 يونيو 1920م)

الأربعاء،

وصلتني رسالتان معاً، لم يتسنَّ لي الوقت لقراءتهما، لأفض خفاياهما فأنكب على قراءتهما قبل أن أفقد عقلي، رغماً عني قد فقدت القليل منه بالفعل وهو بالشيء الجيد، وأعزم على الاحتفاظ بما تبقى منه لوقت آخر، وهذا ما يمكن لسنواتي الثماني والثلاثين اليهودية أن تقوله لبراءة فتاة الأربع وعشرين المسيحية:

كيف يمكن ذلك؟ أين القوانين التي تحكم العالم وأين هم ملائكة الجنة؟ تبلغ من العمر الثماني والثلاثين، وقد أصابك من التعب ما لم يصب من لم يتقدم بالعمر، لربما أنت لست بمتعب، لكن القلق يتآكلك، تخاف أن تتقدم بالحياة خوفاً من الكمائن التي وضعت لاصطياد الناس، فأنت تتعب نفسك بترك أقدامك بالهواء، لا أظنك متعباً أظنك قلقاً من التعب اللانهائي، (فأنت يهودي، وتعرف ما هو القلق والخوف)، ما أجده هو أنك تتجسد في صورة شخص مريض عقلي لتختبئ في الفراغ، في مستشفى المجانين، خلف ميدان كارلسبلاتز، لتحدق في اللانهاية كالأبله.

إذن هذه هي حياتك، خضت عددا من المعارك لتكسب كلا من الأصدقاء والأعداء، (ولم يكن لك يوماً عدو، فلطالما كان حولك الأصدقاء الأوفياء)، هذا ما أمرضك، خوفك من أن ترى مسدساً يشهر في وجه طفل، وفجأة أصبحت كمن تريد أن تحرر العالم، وهو ما يجب أن تعجب منه، أليس كذلك؟. لا تنسى أن أفضل فترات حياتك كانت تلك التي قضيتها تختبئ خلف الحقيقة، فلا تتحدث لأحد بصراحة، ولربما أنت تشتاق لتلك الأشهر الثماني التي قضيتها لوحدك، لا رسائل ولا شيء يربطك، عشت طليقاً، ودعنا لا ننسى الخمس سنوات التي عشتها مختبئا خلف مرضك في برلين، فلم يكن لك علاقة بالبريد، وإنما فقط عليك أن تراقب ظهور تجاعيدك التي تخط وجهك، (مع أن وجهك خال من التجاعيد والخطوط، وكأن طفلاً ذا ست سنوات يختبئ تحت شعر رمادي).

لم تكن هذه النهاية، فالشهور الثمانية الأخيرة، صعبت عليك أن تغوص في الحياة، غير تلك المرة التي كنت تناضل فيها للزواج، لم تستطع أن تترك تلك الفتاة الطيبة، والتي أستغللتها بأنانيتك، فلم تستطع أن تغوص

بها إلى علاقة أعمق، لا ليس لك، فهي حياة لا مخرج منها، حتى لو كانت متجهة إلى الاستقرار.

نعم، وهاهي ميلينا تناشدك بصوت يتخلل عقلك وقلبك، فهي تظن أنها تعرفك، بضع قصص وروايات جعلتها تظن أنها تعرف من أنت، فهي كالبحر، تمتد بكلماتها إلى اللاحد، ولأن كان عيبها أنها مثل البحر الذي يتقهقر أمام القمر لينسحب إلى أبعد الحدود. فهي لا تعرفك، ولربما ما يجعلها تود حضورك هو إحساس داخلها لا تعبر عنه، لربما كان حضورك سيفرحها، لربما خوفك عليها هو ما يمنعك من الذهاب إليها؟. لدي ما يقارب المئة سبب يمنعني من الذهاب، وبالفعل لدي سببي، ولدي سبب يخصك، فأنا لن استطيع مواجهة زوجك أو حتى محادثته، ولن أستطيع محادثة ميلينا، وكيف لي أن أقابلك من دون وجود زوجك؟ . هذان سببان كافيان لما سلمت به مسبقاً: أولا ربما ميلينا لا ترغب بحضورك، ليس لتردد فيها بل لإرهاقها الواضح، ولعلك ستوافقين على رحيلي من غير تردد وبكل سرور. والسبب الثاني، ربما ترغب ميلينا أن تفتح الباب لك، لكن سيقف بيننا شخص نحيل بابتسامة (لربما ابتسامة دائمة، ورثها من أحد عماته المبتسمات طوال الوقت حتى لو لم يكنّ سعيدات). سيجلس ذلك الشخص حيثما يريد، وقد يكون متكلفاً في حديثه الذي أعتقد أنه لن يطول، ثم سيفقد حماسته (كما حدث حين تحدث جاري الجديد الصامت دائماً فقال: «اللحم لا غنى عنه لمن يمارس عملا يعتمد على عقله». كما أن ذلك الشخص لن يشعر بالسعادة، حتى لو شعر بها لبرهة سوف يفقدها حتماً.

ألا ترين أنني يا ميلينا أتحدث بصراحة، فأنت سريعة البديهة وتعرفين تماماً الحقيقة الكاملة بكل حذافيرها، ها أنا أتحدث بصوت عال،

فبإمكاني الحضور بدون اهتمام لذلك، لكن يجب أن ألفت نظرك بضجة إلى ما سيحصل، فما تصرفي إلا دليل على صدقي وضعفي في آن واحد.

بقي أسبوعان على نهاية إجازتي، مع أنني قلق وخجل من نتيجة علاجي، فالضيق الذي أشعر به سيستمر في منزلي وفي عملي، وهذا ما يخيب الظن، فهم يظنون أنني سأعود بشفاء تام، بعد انتهاء العطلة. وزيدي على ذلك الأسئلة التي سأواجهها، كم وزنك الآن، كُل جيداً، لا تبخل على نفسك!، (وكأنهم سينعتونني بالبخيل)، فأنا أدفع تكاليف الإقامة كاملة، لكنني لا أرغب الطعام، ومثل هذا التعليق غيره الكثير.

مازال الكثير لأتكلم عنه، لكن ما أرغب بقوله شيء واحد، إذا شعرت بعد انتهاء الأسبوعين القادمين، أنك مازلت ترغبين بقدومي، سأحضر.

ف

ميران (3 يونيو 1920م)

الخميس،

هل تريني ميلينا؟، ها أنا مستلق على مقعدي في هذا الصباح، عارياً، نصفي في الظل ونصفي الآخر بالشمس، بعد أرق حرمني النوم طوال الليل، كيف لي أن أنام وأنا أشعر وكأنني ريشة في مهب الليل، أفكر فيك باستمرار، لقد كنت خائفاً، كما كنت أنت حين راسلتني، «ما الذي سقط في حجري» خائفاً كما الرسل حين كانوا أطفالاً، عندما سمعوا منادياً يناديهم، فخافوا، فضربوا الأرض بأقدامهم، وأحسوا بخوف يذهب العقل، لا بد أنهم سمعوا مثل ذلك النداء من قبل، لكن الخوف الذي يصاحب النداء

هذه المرة مختلف، فقد كانوا أطفالاً، سمعهم محدود، لكن النداء أعلى من كل مرة، ليؤكد أحاسيسهم بشأن نبوءتهم التي لم يتأكدوا منها مسبقاً، فقد سمعه كثيرون غيرهم، لم يكن بهم الكفاءة للنبوة، فليؤمن الإنسان يجب ألا ينكر سماعه، هذه هي مشاعري حين وصلتني رسالتك. نشترك كلانا بصفات غريبة مثل القلق والخوف، فكل رسالة لا تشبه سابقتها، وترتعد عما سيليها، وترتعد أكثر من الرد. من السهل أن أشعر أن هذه ليست طبيعتك، ولربما كانت ليست طبيعتي أيضاً، لكنني أتقمصها بين حين وآخر، وكأنها طبيعتي الثانية، التي تنتابني حين أشعر باليأس أو الغضب، ولا أحتاج أن أقول حين أشعر بالخوف.

أشعر أحيانا أن كلانا في حجرتين باباهما متقابلين، وكأننا نمسك بمقبض الباب، فما يكاد أحدنا يلمح الآخر حتى يهب ليختفي وراء الباب، ولو حاول أحدنا أن ينطق بكلمة تجد الآخر يضرب وراءه الباب مبتعدا لكي لا يراه. متأكداً أنه سيقوم بفتح الباب مرة أخرى، فهي حجرة من العصب مغادرتها. لم نكن متشابهين إلى هذه الدرجة!، لما كان أحدنا هادئاً، أو أن أحدنا تعمد أن يطيل النظر إلى الآخر، أو أن يرتب غرفته لتعكس حقيقته، لا فإن ما يفعله هو أن يقلد الآخر ويغلق الباب، تبدو الغرفة خالية حتى وهو يقف خلف بابها.

مثل سوء التفاهم المؤلم هذا، أحيانا تشكين يا ميلينا من بعض الرسائل التي لو تفقدتها من كل اتجاه لن تجدي ما يسقط منها. ولكن إن لم أكن مخطئا تقصدين تلك الرسائل التي شعرت فيها أننا قريب منك وكان دمي يألفك، كما يألفك دمُكِ. إنها الرسائل التي تعمقت فيها بغابتي، وملأتني راحة، حتى أن المرء يستطيع أن يقول أنه يرى الشمس أعلاها فوق الشجر، وهذا ما هو فقط. لا يستطيع المرء في ساعة أن يجد ما يزعجه،

«فلا كلمة لم أتطرق لها ولم أركز عليها». مع أن ذلك أخذ فقط مني دقيقة على الأكثر، لتقرع الطبول بعدها مهللة بقدوم الليل.

يجب أن تحاولي عزيزتي ميلينا أن تلاحظي من هو الشخص الذي أخطأ بحقك، إن ثمانية وثلاثين عاماً لا تعد بالقليل، وخاصة حين تكون يهودياً، فهو يبدو أطول من الحقيقة. فلو كنت صادفتك في معترك الحياة ، أنتِ التي لم أتوقع يوما أن ألقاك، بمثل هذا الوقت المتأخر من عمري، فلا أتوقع يا ميلينا أنني كنت سأصرخ ملوحاً، ولا أن تتحرك بداخلي كل هذه الأمور، ولا أن أتفه نفسي وأقول الحماقات التي أقولها، (ولنتغاضَ عن الحماقات التي لا فائدة منها)، أما عن حقيقة أنني خانع وراكع، فلم ألحظ ذلك إلا عندما رأيت قدميك أمامي ويداي تحتضنان ساقيك.

لا تطلبي مني الإخلاص ميلينا، فلا أحد يطلب مني الإخلاص أكثر من نفسي، لقد أضعت العديد من الأشياء، ولربما كل شيء. أن تشجعيني على ذلك لا يشجعني حقاً، وإنما يشل حركتي، فيصبح كل شيء فجأة كذبة، ويتحول الصيد إلى صياد، فأنا بطريق خطر ميلينا. ها أنت تقفين بثبات بجانب الشجرة، شابة جميلة، لمعان عينيها يبدد آلام العالم، وكأننا نلعب لعبة الاختباء، فها أنا أجر نفسي من شجرة إلى أخرى، وأنتِ تناديني لتنبهيني من الأخطار، وتمدينني بالشجاعة اللازمة، أنا وخطواتي المتعثرة، تذكرينني بمخاطر اللعبة، لكني لم أستطع أن ألعب، لقد سقطت، وها أنا على الأرض مع ذلك الصوت الذي يتردد في أعماقي، أستمع لصوتك، فأستطيع أن أفهم ما تقول نفسي بداخلي وأخبرك به، لائتمنك على سري أنت وحدك لا غيرك.

ف

والآن بعد أن قرأت رسالتك الفظيعة، والتي لا تقل فظاعة في محتواها، لا أستطيع أن أشكرك على السرور الذي شعرت به حين قرأتها. بما أن اليوم إجازة فلن يصلني البريد، ولست متأكدا إذا كنت سأستلم منك رسالة يوم الجمعة، فهذا الصمت قاتل، ليس صمتاً حزيناُ، فقد ظهرت قوتك في كلماتك، فرحت أراقب كلماتك كما لو كنت أراقب متسلقي الجبال من مقعدي، لأرى إن كنت سأظل أراهم حين يعلون فوقاً بين الثلج المتراكم، وصلتني رسالتك قبل الغداء، كنت أتناولها من جيبي وأضعها على الطاولة، ثم أتناولها وأرجعها إلى جيبي، كما يبدو استمتاع اليدين وهما يلعبان بالرسالة،أتصرف كما الأطفال أحياناً، لم أكن قد تعرفت بالجديدين المهندس والجنرال، يبدوان ممتازين، وطيبان، لم أفهم ما يقولا يوماً، كنت قد بدأت تناول الطعام المتبقي منذ البارحة، -فأنا لم أستطع الأكل بالأمس- وهذا لا يضايقني أبداً، فتبدو لي الحلول أقصر وأسهل بعد تناول الوجبات من تلك المشاكل الطويلة، وأثناء ذلك أسرح خارج النافذة لأراقب الشجر والجبال والقرية، وكل ما في مدينة فيينا.

قرأت الرسالة بتفحص، أعني رسالة يوم الأحد، وسأؤجل قراءة رسالة يوم الاثنين حتى تصلني الرسالة التالية لها، فأحيانا لا أستطيع القراءة بتركيز، فأنا مازلت مريضاً، كما أن تلك الرسالة أصبحت قديمة، قمت باحتساب الرسائل فمن المفترض أنك ستستلمين خمس رسائل الآن، فلربما ثلاث منها بين يديك، بحال إن فقدتِ أحد الرسائل، أو تأخرت إحدى الرسائل المسجلة، لم يعد أمامي الآن إلا أن أطلب منك الرد، حتى

لو بكلمة لتشفيني من حدة رسالة الاثنين، وتعينني على إكمال قراءتها، فلقد كنت في نوبة من الصراع والقلق يومها (وكأن شعوراً يملأه اليأس تملكني).

أما بالنسبة للرسالة الأخرى - لا لقد تأخر الوقت الآن، فقد وعدت المهندس عدداً من المرات بأن أزوره وكنت أتناسى وعدي، لقد أكدت له اليوم أنني سأزوره لأرى صور أطفاله، فهي على ما يبدو كبيرة إلى حد لا يستطيع إحضارها إلي، يبدو وكأنه يكبرني بعدد قليل من السنوات، إنه بافاري، يملك ورشة، يبدو مثقفا جداً، وهو حساس ومرح جداً، له خمسة من الأطفال، تبقى له منهم اثنان على قيد الحياة، ولربما لن ينجب غيرهم لعقم زوجته، له ابن بالثالثة عشرة، وابنته في الحادية عشرة، يا لها من مأساة! ومع كل الصعاب مازال ينعم بمرحه وتوازنه، ... لا يا ميلينا لا تقولي أنك ضد الاتزان.

ف

سأكتب لك غدا، وإن لم أستطع فبعد غد، لكن لا تكرهيني لذلك.

لقد أعدت قراءة رسالة الأحد، وها قد باتت أشد إزعاجاً مما كانت عليه حين قرأتها أول مرة، يجب علي أن أمسك وجهك بيديّ وأن أنظر لك مباشرة في عينيك، لتري نفسك كما يراك الشخص الآخر، فلا يعود لك أن تكتبي ما كتبت مرة أخرى.



ميران (4 يونيو 1920م)

الجمعة

لنبدأ يا ميلينا بشكل الشقة التي ذكرتها في رسالة يوم الأحد، هل هي واسعة وخالية؟ هل تعيشين فيها وحدك؟ ليلاً ونهاراً؟

فمن المحزن أن تجلسي هناك وحدك في ظهر يوم الأحد الجميل، أمام شخص مجهول، والذي يبدو وجهه كدفتر كتب عليه، أحس بأنني أتحسن، رغم صغر حجرتي إلا أنني سعيد بأن أتواجد مع ميلينا الحقيقية التي عبرت لي عن خلجات صدرها، آه كم هو جميل أن أكون معها.

أنت تشكين من اللاجدوى، لقد كان مختلفاً في الأيام الأخرى، ويجب أن يختلف، جملة واحدة (متى قيل ذلك؟) صدمتك، مع أنها جملة واضحة، وطبيعي أن تقال، لطالما ذكرت مرات عديدة، لقد ابتلي الإنسان بقرينه، وها هو ينتقم من أخيه من دون سبب، ولربما كان ما أردته هو أن تفتدي الشخص الأخر، وإن لم تستطيعي اعتبرت بلا فائدة.

من يستطيع أن يفكر بمثل هذا الكفر؟ لا أتوقع أن أحداً يمكنه ذلك ولا حتى المسيح، أقصى ما يمكنه هو أن يقول «اتبعوني» مع أنه أخطا بذلك فقد عنى، اسلكوا الطريق تبعا لتوجيهاتي، وسترون أنها ليست بكلمة إنسان، وأنها كلمة الرب، ليطرد بعدها الشيطان ومن تبعه، وذلك شيء زائل فلو اتبعه الجميع لنسي هدفه، وهذا ما أعترف لك به - أنه استسلم للفتنة.

ميران (4 يونيو 1920م)

الجمعة

مساء اليوم قمت بالذهاب بنزهة طويلة على الأقدام وحدي، لو لم أفعل ذلك لكنت مع الآخرين وقتها، أو كنت مستلقيا على سريري في غرفتي، يا لها من طريق للقرية، وكأنها الجنة، سأكذب لو قلت أنني افتقدتك، لقد كان كاملاً، سحرٌ مؤلمٌ كامل، لقد كنتِ هنا، كما كنتِ أنا

أيضاً، فأنتِ موجودة أكثر مني، وتلك ليست بمزحة، فانا أرى خيالك أحياناً، وكأنك تشتاقين لي وتقولين: «أين يمكنه أن يكون؟ ألم يكتب لي أنه في ميران؟»

ف

هل استلمت في رسالتي رداً على رسالتك.؟

ميران (5 يونيو 1920م)

السبت

أظل أسأل نفسي هل فهمتِ أن ردي على رسالتك كان يجب أن يكون على هذا النحو؟ وخصوصاً بسبب حالتي العقلية، بالحقيقة كان ردي رجولياً، مخادعاً، منمقاً جداً. طوال الليل والنهار أتساءل -وأنا أرجف حين أرد على رسائلك- أظل أسأل نفسي وكأنني أدق مسماراً في الصخر طوال الأسبوع، وكان يجب أن أكون المطرقة والمسمار في نفس الوقت ، ميلينا! .

لقد وصلتني شائعة -ولا أصدقها فعلياً- أن طريق تيرول ستغلق اليوم بسبب الإضرابات.

ميران (5 يونيو 1920م)

السبت

لقد وصلت رسالتك! ووصلت البهجة معها! وعلى الرغم من كل شيء، وصلني شيء أكيد أنه ستكتبين لي خلال تواجدي في براغ.

هذا ما تأكد لي وما يجب على الجميع أن يراه، هذا ما يمكن لشخص أن يهدد به شخص آخر، وهو يعلم تماماً ما يحمس الشخص الآخر حتى لو كان من بعيد، ليس ذلك فحسب، ولكنه أيضاً يدعي أنه يعامل الشخص الآخر برفق.

لربما كان معك الحق حين تتوقفين عن الكتابة لي، فلقد ذكرت ضرورة ذلك عدداً من المرات في فقرات رسالتك، وهو ما يوضح لي كيف أنني معلق على ارتفاع شاهق، وهذا ما يجعل الهواء ضعيفاً جداً لدرجة تؤذي رئتي - أنا بحاجة للراحة.

ف

سأكتب لك غداً.

ميران (6 يونيو 1920م)

الأحد

هذه المحاضرة التي احتلت صفحتين من رسالتك، تأتي من أعماق قلب مجروح، (لقد جرحني كلامك!) أليس هذا ما كتبته؟ لقد جرحتك، تعلو كلماتك ببراءة وفخر، وكأنني ضربت معدناً وليس قلبك، لتطلب الشيء الواضح والذي يحيرني، (فالسخفاء الذين أعرفهم تعرفينهم أنت أيضاً، وهذا ما يفسح مجالاً للسؤال: متى كنت دخيلاً بينكما؟ متى حكمت عليكما؟ متى سولت لي نفسي مثل هذه الأفكار الخسيسة؟ ومن أنا لأحكم عليكما. أنا الذي لا أكون إلا ضعيفاً حين يتعلق الأمر بأمور مثل الزواج، العمل، الشجاعة، التضحية، النقاء، الصدق، الاتزان النفسي، الحرية..

أشعر وكأنني أقل منكما حين نتطرق لمثل هذه المقاييس. مجرد تكلمي عن مثل هذه الأمور يجلب لي الضجر، متى عرضت مساعدة حقيقة لأي أحد؟ ولو فعلت؟ هل كنت لأفعل حقاً؟. أسئلة كثيرة كانت قد نامت في سبات في أدنى طبقات الأرض، ما الذي أيقظها لتظهر على العلن في ضوء النهار؟، يا لها من أسئلة محزنة، تؤدي بالنفس إلى كآبة وحزن عميقين! لا أظن أن ساعتين هما أطول من قراءة صفحتين، -تبدو الكتابة فقيرةً لكنها أوضح- لقد فهمتني خطأً، لكن ذلك لا يهم الآن، فقد ألقيت محاضرتك علي، ولربما كنت أستحقها، ربما لست بريئا كما ظننت نفسي، لقد كان من المفترض أن يكون الجواب على أسئلتي لا وأبداً.

ثم استلمت رسالتك الرقيقة، لتعينني على مواجهة الليل، فالليل يبدو كعدو لي، (حتى لو لم تصبُ رسالتك للرقة التي أحتاجها، فهذا ليس خطأكِ، إنه الليل القاسي، هذه الليالي الدنيوية القصيرة تبث في نفس المرء خوفاً من ليل أبدي)، ومع أن الرسالة كانت رقيقة وعذبة إلا أنها كانت ممتلئة بغضب يملأ صفحتيها، لكن البرقية ليست كذلك، وكأنها لم تعلم ما تحويه الرسالة، دعيني أقول لك التالي عن البرقية: لو أنني أتيت إلى فيينا، من غير أي اهتمام لأي شيء آخر، وأسمعتني تلك المحاضرة وجهاً لوجه (تلك المحاضرة التي لا تمثلني وإنما تلكزني بقوة وبشكل متعمد)، فلو لم تلق علي تلك المحاضرة، لكانت قد وصلتني على شكل أفكار، أو نظرة أو حتى رمشة عين، أو ستكون ملفقة في طيات حديث آخر، عندئذ كنت سأسقط على وجهي، ولم يكن بوسعك أن تفعلي شيئا لأقف، فلربما لو لم يكن حدث ذلك بهذا الشكل لكان حدث بصورة أكثر إيلاماً، هل ترين ذلك، ميلينا؟

ف

الخميس

في هذه اللحظة ما أود أن أقوله لك هو الآتي: (لم يتسن لي الوقت لأقرأ رسائلك بعد، فقد كنت أحوم حولها كما تفعل الحشرات حول الضوء، لأحرق رأسي عددا من المرات، بالمناسبة يوجد هنالك نوعان من الرسائل، كما اكتشفت، إحداهما يتشربها المرء كما الماء، والأخرى تبدو وكأنها يبدو عليها الرهبة، وأظن أن الثانية تأخرت.

لو صادف المرء شخصاً فسأله مستعجلاً كم ناتج ضرب اثنين في اثنين، سيبدو في لحظتها وكأنه سؤال سهل، لكن لو طرح نفس السؤال على طلبة الصف الأول سيبدو أنه سؤال مهم، وها هو سؤالي ميلينا والذي سيبدو سؤالا أبلهاً، وكأنه سؤال لطلبة الصف الأول الابتدائي (رغما أنه ولحسن الحظ من جوهر المدرسة الابتدائية)، لطالما كنت أتعجب حين يرتبط بي شخص ما، وقد أنهيت علاقات إنسانية كثيرة مثل علاقتي بفايس، فعقلي يفكر بأخطاء الآخرين أكثر من المعجزات - على الأقل إلى الحد الذي يستهويني). أستغرب، لما تزيدين الحياة بؤساً أكثر مما هي أصلاً، بمثل هذه الأمور،مازال الطريق أمامي مفتوحاً، وأعلم أن أمامي مسافة هائلة لا أستطيع غالباً أن أقطعها، وإن كان لا بد لي إلا أن أقطعها رغم وضعي، فسأفعل لأحظى بنظرة الجدير من أعين المارين، - إن هذا غرور خال من التواضع لو تمعنت به-والآن وبعد أن استلمت رسالتك كيف لي أن أصف الفرق؟، رجل ممدد في قذارة ونتانة، تفوح رائحة الموت من فراشه، يحضره ملك الموت الذي هو أجمل الملائكة، وهو يراه، كيف يسلم روحه له؟ فيدير جسده إلى جانب الفراش، ليختبئ في ثناياه، فهو لا يستطيع الموت. ببساطة أنا لا أصدق ما تقولينه ميلينا، - ولا يوجد ما

يمكن أن يجبرني على ذلك- كما لم يستطع أي شخص أن يثبت لدستوفيسكي في تلك الليلة-. يمكن لحياتي أن تستمر ليلة واحدة، بإمكاني إثبات ذلك، فأنا أعتقد أنني قادر على ذلك، (كما أتيح لك مسبقاً أن تري الرجل الجالس على الكرسي) لكني لا أستطيع أن أصدق نفسي مع ذلك، لقد كان ذلك سؤالاً مخادعاً، - لقد لاحظت هذا لتوي- كما يتنبه المدرس لإرهاقه، وأن يسمح لنفسه بأن ينخدع من جواب أحد التلاميذ سعياً للهدوء، فيقنع نفسه أن تلميذه يفهم الموضوع، بينما هو يفهمها من طريقة لا تمت صلة للموضوع الأساسي، ومن دون أن يفهم ما هو الموضوع أصلاً. ولا يستطيع أحد أن يشرح للتلميذ ماهية الموضوع، فهذه قدرة المعلم فقط. لا تنتهي الأمور بالشكوى والبكاء، والدلال، والتوسلات، والأحلام، (إن كنت استلمتِ رسالتيّ الخامسة والسادسة لوجدتِ أن كلامي مفصل فيهما)، أقول إن الأمور لا تصلح إلا بطريقة واحدة هي..... لنبق الأمر معلقاً الآن.

بالعودة إلى رسالتك، كنت قد ذكرت فتاة،- وعلى الرغم من ألمها الواضح - أعتقد أنك قد قدّمتِ لها أكبر خدمة ممكنة، من دون شك. لم أكن لأفكر بوسيلة أفضل لتحررها مني، مازال يتملكها إحساس مؤلم ومتشائم، لم يكن بمقدورها أن تعلم مصدر الدفء الذي بجانبي (إنه أمر خارق للطبيعة، ولم يكن منها)، أذكر مرة أننا كنا جالسين على أريكة في شقة من حجرة واحدة- في فرفوشتز، جنباً إلى جنب، كان ذلك في شهر تشرين الثاني، كنا منفردين بالشقة لأسبوع كامل، كانت فرحتها لا توصف، فقد بذلت جهداً كبيراً حتى وجدت هذه الشقة، ناهيك عن أن زوجها المستقبلي يجلس بجانبها، (سأكرر كلامي وأقول أنني كنت أنا من استعجلت هذا الزواج، وكانت هي منصاعة لقراراتي فقط، بعد خوف عميق، لكنها كانت

قادرة على الانصياع على هذه الفكرة). أفكر بهذا الموقف مرات كثيرة، مرات تفوق عدد ضربات المصاب بالحمى، اعتقدت حينها أنني قادر على فهم هذا الوهم البشري - في هذه المرة كان وهمي أنا، ولعدة شهور، لم يكن مجرد وهم وإنما نوع آخر، فلقد كان يمكن لزواجنا أن يكون زواجا عقلياً، بكل صدق). أعتقد أنني قادر على فهم كل الأوهام، فأنا أخشى أن أرفع كوب اللبن إلى فمي، فيرتطم تحت عيني ليتكسر إلى شظايا صغيرة، ليس كفعل غير مقصود، وإنما هو من فعل فاعل.

سؤال: ما هو الشيء الذي يلومونك عليه؟، نعم لقد تسببت يوماً بتعاسة أحدهم، لكنهم لا يلاحقونني طوال الوقت ليوجهوا اللوم الدائم لي، لقد التزموا الصمت، حتى أنني أعتقد أنهم لم يلوموني أصلاً. ربما هذا ما يميزني عن غيري.

كل ذلك لا يحتسب، لقد أتتني فكرة في الصبح الباكر بعد أن غادرت فراشي، ولقد ظللت أفكر فيها أثناء استحمامي، لا أذكر كيف ارتديت ملابسي، وهل حلقت ذقني أم لا؟ إن الأمر باختصار كالتالي، اتركي زوجك لفترة قصيرة، وهذا شيء طبيعي فقد حدث مسبقاً، ووفقاً لما قد حدث بينكما سابقاً، فما بين مرضك وتصرفاته العصبية، ناهيك عن طبيعة الحياة في فيينا. إلى أين تنوين الذهاب؟، لا أعلم إلى أين؟، لم لا تذهبي إلى مكان هادئ في بوهيميا؟، لا يفضل أن أتدخل في ذلك، أو أن أتواجد معك، أما بخصوص المال سأعطيكِ إياه، ويمكننا أن نتفق بخصوص رده لاحقاً، (فائدة واحدة ممكن أن تنوبني من ذلك، سأكون ملتزماً بعملي، فعملي عمل غبي وسهل إلى حد الضجر، وحقاً لا أعلم لم يدفعوا لي مقابله)، وان لم يكفيكِ المبلغ تستطيعين زيادته كما تشائين، لا أود التحدث أكثر عن فخامة

هذه الفكرة، كما أنها فرصة لك لتحكمي على أفكاري، فهل لي أن أثق بحكمك على أفكاري الأخرى؟، (أجدها فكرة قيمة).

كافكا

وبما أنني كتبت لك فكرتي، ها أنا أقرأ ملاحظاتك خلال تناولي الطعام، إنني واثق من أنه سيكون سهلا علي أشعر أنني شخص مهم،أنا أقرأ رسالتيك كما يتلقط العصفور الفتات عن الأرض، بخوف، وتنبه، وباطلاع، وريشه منتفخ إلى أعلى.

ميران (11 يونيو 1920م)

الجمعة

متى لهذا العالم المجنون أن يستقيم؟ أتسكع في النهار ويكاد رأسي يحترق، يا لجمال أطلال الجبال هنا! إنها في كل مكان، تزيد المرء حين يراها روعة، ففي الفراش وبدلاً من النوم، تندرج الأفكار الرائعة في مخيلة المرء، فاليوم مثلاً، خطر لي أنه بإمكانك عدا عن فكرة البارحة أن تذهبي لقضاء الصيف عند ستيسا، صديقتك التي كتبت لي عنها مرة، كتبت بعض الملاحظات الغبية البارحة وكأنني لن أستطيع الوفاء بالتزاماتي المادية، يا لهذا الهراء! المال دائماً متوفر معي. لقد أكدت رسالتي صباح الثلاثاء ومساءه أهمية اقتراحي وقيمته، ولا يمكن لهذا أن يكون مجرد صدفة، فقيمة الاقتراح يؤكدها الواقع، فلو كان في اقتراحي خبث، (كالوحش الذي يصغر من نفسه لتنعدم رؤيته متى شاء، في مثل هذه الحالة سأفكر بشيء آخر، وسيكون زوجك موافقاً عليه، مع أنني إنسان أميل إلى تضخيم الأمور، إلا أنني أهل للثقة، لم

يحدث أن تقابلنا سابقاً، وأنت ستعيشين بالريف، (وهذا ما أجد تشابها فيه بيننا)، فالريف المنبسط الأخضر، الريف المزدحم بالغابات، والبحيرات، هذا ما أعشقه فيه.

إنك تبخسين من قدر رسائلك ميلينا، ليس الأمر وكأنني مشغول عنك، فأنا مازلت أقرأ رسالة يوم الاثنين، وللآن لم أنتهِ من قراءتها، (إنني أخاف عليك)،ألحظ تحسناً برسائلك. لقد حاولت اليوم قراءتها، ليأتي اقتراحي ليتوافق مع ما ذكر برسائلك، إلا أنني مازلت لم أنتهِ من قراءتها بعد. أما رسالة يوم الثلاثاء فهي تبدو بغرابة رسالة مكتوبة في مقهى. لا إجابة عندي عن اتهامك بخصوص فيرفيل، ويبدو أنني لن أجد إجابة على ذلك، وخصوصا بأن أرد عليك بما تودين سماعه، فأنت أفضل مني بإعطاء الردود وهو ما يجعلني مطمئناً) لقد أدخلتني رسالة يوم الثلاثاء بجو هادئ هدوءاً غريباً، على الرغم من الأرق الذي أحدثته رسالة الاثنين، فلرسالة الثلاثاء جمالية تنساب في الأعماق، لكنك أنت من تنسابين داخل أعماقي، إن هذا طبعا حقيقة لحظية، للحظة أرتعش بسعادة وألم، فهل من الممكن أن يبدر منك ما يفوق الاحتمال؟

ف

ها أنا مرة أخرى أُخرج رسالتك من الظرف، في الغرفة هنا، قولي لي «أنت» -ليس طوال الوقت- قولي لي «أنت» مرة أخرى.

لو واتتك الفرصة أرجو منك أن تقولي كلمة طيبة لـ«فيرفيل» بدلا مني، فثمة ما ليس له يعجبه لسوء الحظ مثل تلك الأسئلة التي تخطينها في رسائلك.

مؤخرا، حلمت بك مرة أخرى، لقد كان حلماً طويلاً لا أذكر منه الكثير، كنتُ في بدايته في فيينا، ثم وجدت نفسي ببراغ، نسيت عنوانك، ليس الشارع فحسب، وكأن المدينة كلها تغيرت، كنت قد نسيت كل شيء، وبلحظة تذكرت اسم «شرايبر» ومع ذلك لم أعرف كيف سيفيدني تذكري له، لقد أضعتك تماماً بالحلم، حاولت عددا من المحاولات الذكية محاولاً الوصول لك، لكن ذلك لم ينفع أبداً، لم أعرف ما السبب، لا أذكر سوى محاولة واحدة من هذه المحاولات، كنت قد كتبت رسالة وكتبت اسمك عليها، محتواها: «تسلم هذه الرسالة لميلينا، وإلا فإن وزارة المالية ستتكبد خسائر كبيرة»، ظننت أنني بتهديدي هذا سأجعل الحكومة تتحرك للبحث عنك. لا تخافي مني، فأنا شرير فقط في أحلامي.

ميران (12 يونيو 1920م)

السبت

لقد أخطأت في فهمي ميلينا، مع أنني أكاد أتفق معك تماماً من دون التطرق للتفاصيل،لا أستطيع أن أجزم إن كنت قادما إلى فيينا أم لا، لكني لا أعتقد ذلك، فلو كان لدي سبب واحد مسبقاً، فالآن يكفيني سبب واحد، بداية فقدومي إلى فيينا سيسلب قوتي النفسية، بسبب البعد القائم بيننا، ولسبب آخر، أن ذلك أفضل لنا جميعاً، كما أنني يجب أن أعترف أن ذلك سيكون رغماً عن رغبتي (وأكثر من ذلك بكثير)، فلو كنت أنت القادمة إلى براغ بسبب الظروف التي تعلمينها، «كإبقاء الشخص منتظراً على حدة».

حاجتي لتخبريني عن مشاعرك فيما يختص هذه الستة أشهر ليس مجرد كلام، وإنني لأعتقد أنه اعتقاد بائس، كما أظن أنك قمت بتعليقات وحتى تصرفات بائسة، ولن أقول إنني لم يكن لي ضلع بها، (لربما في السبع السنوات السابقة كنت قادراً على الاحتمال أكثر مما أفعل الآن) وأظن أنني كنت سأحتمل تدخلات أكثر بشأن المستقبل. حسناً، ولكن ماذا يعني هذا؟ هل ما يهمني هو خبراتك وعملك أو أنني مهتم بشخصك؟ حتى ومن دون القصص أظن أنني أعرفك أكثر مما أعرف نفسي، ولا أقصد أنني لا أعرف ما تكتبه يداي. فرسائلك لا تتعارض مع اقتراحي، فلا اختلاف بينهما، «في أغلب الأوقات أرغب بالهرب إلى حياة أخرى معك وليس معها إلى حياة خالية» هذا هو اقتراحي الذي أظن أنك كنت تكتبينه قبل أن تصلك رسالتي.

طبعا لو ازداد مرضك إلى حد كبير، فلا يمكن لك أن تتركي زوجك ولو بشكل مؤقت، ولكنك قلتِ أن ما تشكين منه ما هو إلا مرض مؤقت لن يستمر طويلاً، لقد قلت لي منذ عدة أشهر وذكرت لي ذلك بعدها مرات عديدة أنك تنوين الرحيل لمدة، فلو فعلتِ ذلك في شهر أغسطس أو سبتمبر كحد أقصى. سأعترف لك أنني لا أرتاح حتى أقرأ رسائلك، وكأنها نوع من الرسائل الإلزامية، حتى لو كنت قد تجرعتها ثلاث أو أربع مرات متتالية، فإنني أكون مازلت غير قادر عن التعبير. على الأقل ليس مباشرة. ومع ذلك أشعر أن لها صلاحيتها.

لك

مرة أخرى السبت

يجب أن نتوقف عن كتابة مثل هذه الرسائل المتناقضة، ميلينا، إنها تدفعني للجنون، أشعر أنني لا أعرف ماذا كتبت أو ما سأكتب، أشعر أنني أرتعد لفكرة الكتابة نفسها، أفهم كلماتك التشيكية جيداً، ويمكنني أن أعرف متى تضحكين، إلا أنني أبحث في رسائلك، وبين كلماتها التي تضج بالضحكات، أبحث وأبحث، ولكني مازلت مرتعباً.

لا أعلم قطعياً إن كنت مازلت تودين رؤيتي بعد رسالتي الخميس والأربعاء، فهنالك رابطة مألوفة لي تربطني بك، فأشعر أنك مرتبطة بي حتى لو لم أكن أراك- رابطة لا يقطعها إلا خوفي الدائم، ولا أعرف تماماً ماذا يربطك بي، أشعر أنك مرتبطة بي برابطة يملؤها الخوف، أنت لا تعرفينني ميلينا، وسأظل أعيد ذلك دائماً.

بالنسبة لي فإن ما يحصل معي شيء رهيب، فلحظة يتهاوى عالمي، ولحظة يتعالى، انتظري لحظة، أترين كيف أنك أنت فقط من تبنين عالمي. لا أخاف الانهيار، فقد كان مجرد حدث في أثناء انهيارات أخرى، أنا أرثي لنفسي حقه بالنهوض، كيف لي بتلك القوة وأنا الذي ولدت أرثي ضوء الشمس ؟

كيف سنتمكن من مواصلة حياتنا؟فلو كان ردك على رسائلي هو نعم، لم تكوني مازلت تعيشين في فيينا، حين استلمت رسالتك، استلمت أيضاً رسالة من ماكس برود، الذي ذكر فيها بالإضافة إلى أشياء أخرى «شيء غريب قد حدث، وأنا أعلمك فيه فقط للعلم، زنير وهو محرر صغير

يبلغ من العمر عشرين عاماً قد سمم نفسه، حدث ذلك عندما كنت مازلت في براغ، أنا أعتقد أنني أعلم السبب الآن، فقد كان ويلي هاس على علاقة مع زوجته (اسمها الأوسط أمبروزوفا، وهي صديقة لميلينا جيسنسكا)، لم يتمكن أحد من ضبطهما معاً، فقد علم عما يحدث بينهما من صديقة قديمة له قبل زواجه، فقط مجرد كلمات منها جعلته يقدم على قتل نفسه، فقد توجهت زوجته في الصباح الباكر إلى المكتب مع هاس لتتفقد سبب عدم رجوعه إلى منزله الليلة السابقة، لكنه كان قد توفي مسبقاً في المستشفى قبل وصولهما، هاس ترك دراسته وقد كان على وشك الانتهاء من امتحاناته، وترك والده الذي يعمل معه لإصدار فيلم في برلين، وعلى ما يبدو وضعه سيء، الفتاة تعيش في برلين، ويتوقع منه أن يتزوجها، لا أعلم لم أروِ لك هذه القصة الكئيبة، «لكني أعتقد أن الشيطان الذي تسبب بها يسكننا أيضاً، فما لنا إلا الحذر».

وبالعودة إلى رسالتك، أكرر يجب ألا تبقي في فيينا. يا لها من قصة بائسة! مرة كنت قد أمسكت بخلد، واتجهت به إلى البستان، حين وضعته على الأرض انطوى على نفسه كالمجنون، واختفى، وكأنه غطس في الماء، وهذا ما يفعله المرء ليختفي من القصة.

ليست تلك هي النقطة المهمة، ميلينا، فبقدر ما أنك تهمينني، فأنت لست بامرأة أنت فتاة، ولم ألتق أحداً يتمثل بهيئة الفتاة أكثر منك. ويا لك من فتاة! لا أظن أنني سأجرؤ يوماً على أن أقدم لك يدي الملوثة، المتعرقة، المهتزة المترددة، المتناوبة البرودة والسخونة.

ف

فيها يختص ساعي براغ، أجدها خطة غير مجدية، فلن يجد المنزل إلا خاوياً، والذي هو أيضاً مكتبي. في هذه الأثناء سأكون جالساً في مكتبي في الطابق الثالث، في دوار ألتشاشتر رقم ستة، ووجهي بين يديّ.

ميلينا، أنت لا تفهمينني حقاً، فسؤالي عن اليهود ما هو إلا مزحة غبية.

ميران (13 يونيو 1920م)

الأحد

ثمة ما أود أن أحدثك عنه اليوم، شيء جديد سيفسر الكثير من الأمور، ميلينا، يا له من اسم، له وقع جميل، ففي أغلب الأحيان يصعب فهمه، لم يعجبني في البداية، فقد بدا لي كاسم يوناني أو روماني ضائع، ضل طريقه إلى بوهيميا، حُرف من قبل التشيكيين، فغيروا نطقه، ليكون اسماً خارقاً، في لونه وفي شكله، وكأن امرأة محمولة بين يدي العالم تخرج إلى الملأ، بعيداً عن النيران، لا أدري أي نيران هي، بينما هي تسلم نفسها راضية، مطمئنة إلى ذراعيك، اللكنة القوية لحرف (i–ي) هي مالا يعجبني، فكان الاسم يقفز بعيداً عنك أو أنها نفس القفزات التي تقفزينها مع كل العبء الذي يثقل كاهلك.

أنت تكتبين نوعين من الرسائل، ولا أقصد رسائلك المكتوبة بالحبر أو الرصاص، – على الرغم من أن الكتابة بالرصاص لها معنى آخر)، فهذا ما يجعل المرء يرهف أذنيه لك، علماً أنه ليس بالاختلاف القاطع. فرسالتك الأخيرة التي احتوت خريطة شقتك مكتوبة بالرصاص أسعدتني جداً،

علما أن رسائلك الرقيقة والمسالمة هي التي تجلب السعادة إلى نفسي، (افهميني ميلينا، عمري، وحقيقة أنني منهك، والخوف الذي يتملكني، كل هذا، كما أن عمرك وشبابك ونضارتك، شجاعتك . وخوفي الذي ينعكس من إمكانية تركي العالم، كل هذا الخوف بداخلي، ثم أنت وشجاعتك، التي تمدك قوة للاستمرار للأمام، كلما انحدر الضغط نحو حياتك، فقد ازدهرت ونمت فيك هذه الشجاعة)، لطالما سعدت بتلك الرسائل المسالمة، وكأنني قادر أن أجلس عند قدميها، وبكل سعادة، فكأنها تنزل المطر فوق رأسي المحترق. أما عندما تبدئين بتلك الكلمات الأخرى، فلا أستطيع إلا أن أرتعد مكاني، كما لو أنني أجلس تحت ناقوس الخطر، فلا أتمكن من إكمال القراءة، معي أنني أعود لإكمال قراءتها كما يفعل الحيوان العطش حين يجد الماء، وبذلك أبدأ موجة من الخوف والخوف المتزايد. فأشعر كأنني أبحث عن قطعة من الأثاث لأختبئ تحتها، مرتعداً أصلي من غير أن أفهم ما أقوله في صلاتي، أصلي لتخرجي من النافذة أنت وإعصارك القادم من بين طيات رسائلك، فأنا لا أستطيع أن أترك عاصفة في غرفتي، ففي تلك الرسائل أشعر أنك تمتلكين كرأس «ميدوسا» المرعب الذي لا مثيل له، وكأن ثعابين مرعبة تخرج من رأسك، في حين تفح الرعب على رأسي أنا.

أما عن رسالتيك رسالة يوم الأربعاء ويوم الخميس، تبدين كطفلة صغيرة، كيف لك أن تتحملي مزاحي حول اليهود، والكراهية، ولا أعلم غيرهم، محمل الجد، لقد كان همي أن أضحكك قليلاً، وما يضحكني أننا نفهم خطأً بسبب خوفنا، لا تجبريني أن أراسلك بالتشيكية، فلم يكن هنالك ما ألام عليه في كتاباتي، يجب أن ألومك أنا على حسن ظنك باليهود الذين تعرفينهم بما فيهم أنا، أرغب أن أحشرهم بداخل خزانة الغسيل، فأغلقها عليهم، وانتظر قليلاً ثم أعود لإغلاقها وأكرر ذلك مراراً حتى النهاية.

أما عن محاضرتك، فلا أستطيع إلا أن أدخل اسم إيرنست فيها، وكأنها تظهر المرة تلو الأخرى في غير موضعها، ربما أسأت الظن به، وربما ظلمته كثيرا، غير أنني أشعر وكأنني مرتبط به كل مرة أكثر من السابقة، ربما بسبب عنفه معك، فإنني أرغب أحيانا بان أتحدث إليه، إلا أنني أخشى ذلك فله الأفضلية بك، أتعرفين يا ميلينا إنك كلما خطوت خطوة باتجاهه، فإنك كمن يمشي إلى الأسفل، لكن إن اتجهت إلي فكأنك تتجهين إلى هلاكك، هل ترين ما أقصد، لا لم يكن ذلك بالمستوى الرفيع الذي يذكر برسائلك، فالرقي من مستواك أنت، أنا أتحدث فقط عن المحاضرة، ولقد قصدت كل كلمة بخصوصها، فأنا لا أجد نفسي مخطئاً بشيء.

وصلني نبأ مرضك ميلينا، لما لا تلازمي فراشك، أو اتجهي إليه الآن، هل أنت مستلقية على فراشك وأنا أكتب لك الآن، أتجدين أنني كنت أفضل كرجل منذ شهر مضى على ما أنا عليه الآن، فأنا مشغول بك باستمرار، ذلك الانشغال الذي لا يتعدى التفكير، والآن أعرف عن مرضك، لكن بهذه اللحظة لن أتمكن من التفكير إلا بمرضي وصحتي، فبالنسبة لي أنت تتجسدين بصحتي ومرضي.

ف

اليوم خرجت برحلة مع صديقي المفضل «المهندس»، لأقاوم أرقي، وكتبت وأنا هناك برقية لك لكني لم أستطع أن أوقعها ولم أرسلها، لم يعد بإمكاني أن أكتب لك وكأنك شخص غريب.

رسالة يوم الجمعة لم تصلني إلا يوم الأربعاء، فالرسائل المسجلة تأخذ وقتا أطول من العادية.

الاثنين

قبل وقت قصير من استيقاظي مبكراً، وذلك بعد استغراقي بالنوم لمدة قصيرة، حلمت حلماً مزعجاً، لا أقول إنه أرعبني، فقد نسيته مباشرة بعد استيقاظي، فأننا ممتن لذلك الحلم حقيقة فبسببه استغرقت في النوم، لأنه وخلال حلم كهذا يظل المرء نائما إلى حين انتهائه، وهو ما أكسبني قليلاً من النوم.

لقد كان في فيينا، كما أحلم به في يقظتي، (ففي أحلام يقظتي تكون فيينا متكونة من دوار صغير، ومنزلك على جانبه، ويقابله الفندق حيث أقيم، وفي اليسار المحطة الغربية حيث أصل، وعلى اليمين المحطة الشرقية التي سأغادر منها، كما أن الطابق الأرضي الذي أقيم فيه به مطعم يقدم الوجبات النباتية، وأتناول فيه الطعام ليس من أجل الأكل فحسب، وإنما لأسترد صحتي قبل مغادرتي إلى براغ.

لما أكتب لك هذا، فذلك لا علاقة له بحلمي، يبدو أنني مازلت أخاف منه في داخلي، لم يكن الحلم كما ذكرت سابقا، فقد كانت المدينة عادية، كان الوقت يقارب المساء، وكانت الأرض مبتلة، ومعتمة، وشوارعها مزدحمة كثيراً، وكان يفصل ما بين الفندق حيث أقيم وبين منزلك حديقة مربعة الشكل. وفجأة أصل إلى فيينا، لأصلك قبل أن تصلك رسائلي، وهذا ما أحزنني، ومع ذلك كنت قد علمتِ بقدومي، وكان من المفترض أن نلتقي إلا أنني لم أكن وحيداً لحسن حظي، على الرغم من أن ذلك أزعجني بداية، فقد كنت مع عدد من الأشخاص وكانت هنالك فتاة، أظن أنها كانت ترافقني، لم أكن أعلم من هم، فقد ظهروا

فجأة، كشهود. آه كم تكلموا كم تمنيت لو أنهم يصمتون قليلاً، ربما كانوا يتحدثون عني، شعرت أنهم يتحدثون بعصبية، ولم أفهم عما تكلموا، ولم أرغب بذلك. وقفت على يمين الفندق، على حافة الطريق أنظر إلى منزلك، كان منزلاً ليس مرتفعاً، له سلم من حجر صعوداً إلى الطابق الثاني.

وفجأة أصبح الوقت وقت تناول الإفطار، وكانت الطاولة قد جهزت على الشرفة، ورأيت من بعيد زوجك قادماً ليجلس على كرسي من الخيزران، ويبدو عليه النعاس، وكان يتمطى بذراعيه على اتساعهما، ثم أتيت أنت وجلست بحيث يراك المرء رؤية واضحة، لم يكن بالإمكان رؤيتك بالتفصيل، فقد كنت بعيدة عني، لكن ما كان واضحا للرؤيا هو زوجك، يتمكن المرء من رؤية الخطوط الخارجية التي تحدده، لا أدري كيف، بينما كنت أنتِ مجرد لون أبيض مزرق، تتألقين كالأشباح، كما كانت يداك مفتوحتين، ولكن ليس بذلك الاتساع، لم تكونا بالاتساع كمن يتمطى، بدا الأمر وكأنك كنت ترحبين بي.

وفجأة مرة أخرى عاد الليل، وكنت معي في الشارع تقفين على الرصيف، وأنا أمسك يديك، تحدثنا حديثاً سريعاً مختصراً، لا معنى له، وقد كان حديثاً يتكون من كلمة مني وكلمة منك، واستمررنا بالحديث على هذا المنوال حتى انتهى الحلم. أود أن أكتب ما تحدثنا عنه، فحقيقة ما أذكره هو عبارتان من حديثنا الأولى وعبارتان من نهايته، أما مضمون الكلام، فقد كان عذاباً طويلاً يصعب نقله.

بدلاً من أن أسلم عليك قلت مسرعاً: «أأبدو مختلفاً عما تخيلتني»؟ نظرة في وجهك هي ما جعلتني أقول ذلك، فأجبتني «للصدق لقد تخيلتك أكثر أناقة» وكنت قد استعملت كلمة اعتادها أهل فيينا لم أعد أذكرها.

كانت تلك هي العبارتين الأوليين، وفي سياق هذا الحديث أود أن أخبرك أنني لا أتمتع بتلك الأذن الموسيقية، ليس كأي شخص قابلته مسبقاً، بعد هذا كان الكلام قد انتهى، ماذا كنا لنتحدث حينها؟ وكان جدلاً بدأ من أجل لقاء آخر، وكانت تبدو عليك تعبيرات غامضة، والتي أثارت أسئلتي وإلحاحي أكثر.

حينها، قاطعنا أحد أصدقائي وقال إنه قادم لزيارة مدرسة زراعية في ضواحي فيينا، وبدا لي أنني أستطيع مرافقته فبدا الوقت وكأنه كاف، وكأنهم كانوا يحاولون أن أرحل من هناك رأفة بي، فإذا بي أجدني أتوجه إلى المحطة مغادراً على أمل أن أؤثر عليك، ثم اتجهنا جميعاً إلى المحطة ونسينا اسم البلدة التي كنا سنزورها، فإذا بشخص يقرأ علينا أسماء المحطات التي نرغب بالتوجه إليها من جدول مواعيد القطارات، لكن المحطة التي كنا ننوي الاتجاه إليها لم تكن ضمنهم.

كنت أختلس النظر إليك بين الحين والآخر، ولك يكن لوجودك أن يمنعني من الرحيل، فما كان يهمني هو أن تقوليها بكلماتك، ولم تكوني على حالك التي عهدتها، فقد بت سمراء، نحيلة الوجه، فلا أحد يملك خدين ممتلئين يمكن أن يكون بمثل قسوتك، «لكن هل كان ذلك قسوة منك؟» ثوبك كان مصنوعا من قماش بدلتي، بدا غريبا لي، لم يعجبني لربما لأنه صنع من قماش رجولي، وفي أثناء ذلك عاودتني ذكرى لفقرة من رسائلك «كما تقول الأغنية، لا أملك سوى ثوبين ولكني أبدو جميلة» لقد غيرت كلماتك هذه حينها نظرتي لفستانك، فأحببتها بعدها. ثم كانت النهاية حين انشغل رفاقي بجدول الرحلات، وانفردت أتحدث معك جانباً. كانت نهاية حديثنا متمثلة بـ «غدا هو يوم الأحد» وكأنك كرهتني لتوك، فأنت لا

تستطيعين أن تعطيني من ذلك اليوم وقتاً، ثم وافقتِ أخيراً لإعطائي أربعين دقيقة من وقتك. لم يكن ما يخيفني هو سير الحديث ما أخافني تلك اللهجة الغريبة التي كنت تتحدثين بها «لا أود الحضور وما الفائدة من تخصيص أربعين دقيقة لك» وما أن وافقت على تخصيص تلك الدقائق حتى وجدت نفسي لا أقوى على فراقك، كنت كمن هو مستغرق بالتفكير، فلم يكن بمقدورك اتخاذ قرارك، ثم تنبهت أخيراً إلى أن أسألك «هل يجب أن أنتظرك طوال اليوم» فأجبتني «نعم» وتركتني بين أولئك الأشخاص الذين كانوا معي، وكان جوابك كان هو تأكيد لعدم حضورك، وأن أفضل ما استطعت تقديمه لي هو لهفة انتظارك. قلت بصوت منخفض «لن أنتظرك» لم تسمعيني جيداً وواصلت الابتعاد ثم صرخت بتلك الكلمات مجدداً، فالتفت لي ومضيت في طريقك، وكأنك لم تهتمي بذلك مطلقاً، لأجد نفسي بعدها أعود إلى المدينة مترنحاً.

ثم وصلتني بعد ساعتين وصلتني رسائل وزهور ود ومحبة.

لك

ف

ميلينا، لمرة أخرى لا تبدو العناوين واضحة، لقد أعاد مكتب البريد الكتابة عليهم، المرة الماضية حين طلبت منك توضيح العناوين، كانت واضحة بشكل مذهل، وكأنها مجموعة جميلة ومتنوعة من الخطوط اليدوية، فلو كان موظف مكتب البريد يملك عينيَّ لكان رأى عنوانك ولا شيء غيره، لكنه ليس سوى موظف في مكتب البريد.

ميران (15 يونيو 1920م)

الثلاثاء

حلمت اليوم بك مجدداً ن لقد كنا نجلس بجانب بعضنا، وكنت تتجنبينني، ليس بطريقة مغضبة وإنما بطريقة ودية لطيفة. كنت غير سعيد إطلاقاً، ليس لأنك كنت تدفعينني بعيداً عنك، بل لأنني تعاملتُ معك كامرأة خرساء، لما تجاهلت كلماتك الموجهة لي، ربما لم أكن أتجاهلها بقدر ما كنت غير قادر على الرد، لتتركيني بائسا أكثر من المرة السابقة.

في نفس الوقت، حدث لي شيء حين قرأت شيئا على باب أحد الأشخاص، فلقد كان شبيها لـ «حبيبتي كما الوهج تنير الأرض، والآن تجذبني إلى جانبها، لكنها لا تجذب أولئك المنعكفين على أنفسهم، إنما من يستطيعون الرؤية»

لك

ها أنا أفقد اسمي، فمع مرور الوقت تجدينني أختصره مرة تلو الأخرى ليصبح توقيعي «لك»



ميران (20 يونيو 1920م)

الأحد

بعد نزهة قصيرة معك، يا له من سهل أن اكتب ذلك، بعد نزهة قصيرة معك، «يجب أن أتوقف عن الكتابة لخجلي بسهولة كتابتها»

بداية ما يرعبني هو الصراع الدائم بين اليهود والمسيحيين، وكأنهم حيوانات ضارية تود أن تودي بحياة الآخر، سيصعب عليك أن تتخيلي

القوة والضراوة بينهم، رغم أنك من المرجح أنك تفهمين تفاصيل القصة أكثر مني، ما لا أستطيع فهمه كيف لشعب كامل أن يتبع مثل طقوس القتل هذه، - وقبل ذلك امتلأت قلوبهم بالغيرة والخوف-، لكن لا نجد الآن ما يصعب فهمه فنرى «هيلسنر» يرتكب الجرائم الواحدة تلو الأخرى، فما الفرق لو علمنا أنه كبر بريئاً عن مثل هذه الخطايا. ومن جهة أخرى ما لا أفهمه، هو كيف يظن شعب بأكمله أنه يحق لليهودي أن يقتل من دون أن يقتل نفسه، ولكن طبعاً الشعب لا يهتم بذلك أبداً.

ومرة أخرى هذه مبالغة، كل هذا مبالغة، إنهم يبالغون، فالناس يسعون للخلاص الذي توفره المرأة، سواء كانت مسيحية أو يهودية، وماذا يعنون بقولهم إن براءة الفتاة لا تتمثل بعفتها المعتادة، فالبراءة تتمثل دائماً ببراءة الجسد وعفته.

هنالك ما أود التعليق عليه بما يختص التقرير، لكني أود الحفاظ على صمتي، فمعرفتي بـ «هاس» معرفة سطحية، «على الرغم من تهنئته الحارة لي حين خطبت» وسيغضبك أن تعرفي أنني خلطت ما حدث بسبب تلك العلاقة وتطلعاتي، كما أنها أحوالك وهي تخصك أنت فقط، فلا أحد يمكنه المساعدة الآن، فما هي إلا لعبة تحزير.

لأنني أظن أنك ما زلت تفكرين عما حدث عند مقابلتي لتلك الفتاة فيكارلسباد، هل أخبرت أحداً بالحقيقة سواك، مازلت عازماً على مقابلتها، وليس لأنني أتطلع لفعل ما كتبته في تلك البرقية التي لم تتعدى الكلمتين، وليس لأن أمرها يهمني. ما يهمني هو ألا تظلميني بإدانتي بشكل مبالغ فيه، فربما تقولين، حسنا، أود أن أدينك بما أنت مدان به أصلاً بدلاً من إدانتك على شيء غير مهم. إنه قرار كان يجب أن أتخذه وحدي، وخلال ذلك لن أستطيع أن أراك إلا من بعيد.

وبسبب اهتمام غير مسبوق من ماكس، فأنا أظن أنه في الوقت الحالي، يجب أن يقابله المرء شخصياً، قبل أن يحكم عليه، لكن إن تعرفت عليه، سأحبه، أعجب به، وأحترمه، وطبعا سأتعاطف معه لما يحدث بحياته، ومن لا يتصرف بمثل ذلك (على الأغلب) لا يعرفه جيداً.

ف

ميران (21 يونيو 1920م)

الاثنين

أنت على حق، والآن بعد أن قرأت تقريرك (الطفل – الطفل)، للأسف وصلتني رسائلك متأخرة، وسأذهب صباحاً في نزهة مع صديقي المهندس إلى «بولتسانو». وقلت لنفسي لا، يكفيك رسائلاً اليوم، لا بد أن تنام قليلا إن كنت تعزم الذهاب في نزهتك في الصباح الباكر، مر وقت قليل قبل أن باشرت القراءة، وقبل أن أفهم ما كان يجري، كنت قد دفنت رأسي في حجرك لأرتاح، يا ليتك كنت معي، ولا أعني ذلك بأن تكوني حاضرةً بجسدك، لا يعني ذلك بالضرورة أنني مريض، أليس كذلك؟ فأنا أعرفك حق المعرفة، وأعرف أن نداءك لشخص بأيها الطفل لا يعد إساءة له. كما أستطيع أن أعتبرها مزحة، ولكن يبدو أن كل شيء يرعبني. فمثلا لو كتبت لي قائلة «لقد احتسبت عدد المرات التي قلت فيها في رسالتك «أنت»، وأجده مبالغا به» فلو كان ذلك حتى بسبيل المزاح ستجدينني أنزوي خائفاً من العقبات، مصدقاً أنني قد أسأت إليك حتى من دون أن أراجع ما ذكر في الرسالة.

يجب على المرء أن يدرك الفرق بين المزح والجد، فعندما تجد الخط قد وقع لمن يهمك من الناس أولئك الذين تعتقد أن حياتك تعتمد عليهم. فليس ذلك سهلاً إطلاقاً، وكأنك تنظر إلى أفعالهم بتلسكوب آملا أن تمسك بعضاً من أخطائه، وبهذا الوضع، أود أن تعرفي أنني لست بمثل هذه القوة، وحتى في أقوى حالاتي، على سبيل المثال، عندما كنت بالصف الأول، كانت طباختنا امرأة نحيلة، ضئيلة، ذات أنف مدبب، كانت خدودها غائرة، بشرتها صفراء، لكنها كانت نشيطة ومتفوقة، كانت ترافقني يومياً إلى المدرسة، كنا نعيش بمنزل يتوسطه ساحة صغيرة، وخارجه ساحة كبيرة، فعبوراً بالساحة ثم عبورا بـ «تاينجيسه»، مروراً بنفق يمر بسوق اللحم، من السوق ننحدر باتجاه المدرسة. بقينا على هذا الحال لعام كامل، قالت لي الطباخة مرة أثناء سيرنا أنها ستخبر المعلمة عن شقاوتي المتزايدة في المنزل، وهذا ما لم أكن أتصف به، فقد كنت عنيداً أحياناً، حزيناً أغلب الوقت، ونادراً ما كنت سيء الطبع أو مشاغباً. لقد كان من السهل على أي شخص أن يخترع مثل هذا الكلام ويتهمني به، لقد كان تهديدها مما لا يستهان به لمن هم بمثل عمري حينها. وفي طريقنا إلى المدرسة، ذلك الطريق الطويل اللامنتهي يومها، كانت أفكاري الصبيانية تتدافق في مخيلتي، لقد راودني الشك بذلك، فهل لمثل تلك الشخصية المحترمة بين الخدم أن تفعل مثل هذا الفعل الشنيع. هل ستجرؤ على قول ما قالته عني للمعلمة؟ هل تصرفت بما لم يعجبها يوماً؟ فلطالما كانت أجوبتها مقتضبة، بتلك الشفتين الرقيقتين، القاسيتين. ظللت أردد في نفسي هل ستقول ذلك للمعلمة، لا لا لن تفعل، وفي مدخل الممر المؤدي إلى سوق اللحم، (ولهذا المكان مكانة تاريخية لي، فهل قضيت طفولتك فيه، في أي حي عشت؟) تملكني الخوف فجأة، فقد كانت المدرسة تخيفني إلى حد

الارتعاب، وهاهي الطباخة تزيدها رعباً، أخذت أترجاها، فأخذت تهز رأسها رافضةً، وظللت أترجاها حتى بدا لي كبر ما أطلبه منها، وقفت مكاني ورجوتها ألا تفعل ثم على حين غرة هددتها بوالدي وأنه سيعاقبها إن فعلت، في تلك اللحظة ضحكت،وقد بدت قوية حينها، فتشبت بأحجار الطريق والزوايا، رافضاً أن أخطو خطوة أخرى قبل أن تغفر لي، وتمسكت بفستانها، أشدها إلى الخلف، -ولكنها لم تظهر لي الرأفة- وظلت تجرني خلفها وتهددني أنها ستخبر المعلمة عن ذلك أيضاً، تأخرنا يومها وكان يخيفني أن أتأخر عن المدرسة، فما كان من المتأخرين إلا أن يركضوا باتجاه المدرسة خوفا من العقاب، كان علينا أن نركض نحن أيضاً، وكان كل تفكيري طوال الطريق، هل ستقول أم لا، حسنا لم تقل شيئاً يومها، لكن بالنسبة لي كل يوم هو بمثابة فرصة لها، فكل يوم تزيد الفرصة بذلك، لتردد في كل فرصة (لم أقل اليوم، لكني سأخبرهم غداً) ولم تتوقف عن تهديدي يوماً، تخيلي معي اللحظة يا ميلينا، لقد كانت أحيانا تضرب بقدمها على الأرض، غاضبة مني، وفي بعض الأحيان كانت بائعة الفحم تراقبنا، - آه يا لها من سخافات ميلينا! وكم كان ارتباطي بهذه السخافات كبيراً وتلك الأكلات التي لطالما أكلناها، وذلك الغبار الذي يملأ الطاولة ليستقر أخيراً برئتي، في خلال تلك الثماني والثلاثين سنة الماضية.

لم أنوِ أن أروي تلك القصة، ليس بتلك الطريقة على الأغلب، لقد تأخر الوقت ويجب علي أن أتوقف عن الكتابة لأنام قليلاً، وأنا أعلم أنني لن أتمكن من النوم لأنني قد توقفت عن الكتابة لك. لو وجدت في نفسك الرغبة يوماً أن تعرفي أكثر عن طفولتي، سأرسل تلك الرسالة الطويلة التي كتبتها منذ أكثر من ستة أشهر إلى والدي ولم أرسلها بعد.

سأرد على رسالتك غداً أما إذا تأخر الوقت بي سأكتب ردي بعد غد، وبما أنني قد قررت أن لا أزور والدي في «فرانزنباد» سأبقى هنا أياما إضافية، ومع أن بقائي وحدي في الشرفة لا يعد قراراً.

ف

ومرة أخرى أشكرك على رسالتك.

ميران (23 يونيو 1920م)

الأربعاء

من الصعب أن ننطق الحقيقة، خاصة إذا كانت حقيقة واحدة، فالحقيقة حية، ومتغيرة الوجه، «وهو ليس بوجه جميل في أغلب الأحيان، ولكنه يبدو مثيراً في أوقات أخرى». لقد سهرت طوال ليلة الاثنين وحتى صباح الثلاثاء وأنا مستلق على ظهري أرد على رسالتك، أشكو لك خوفي من تبتعدي عني، كرهت نفسي، فقد استلمت رسالتك متأخراً في المساء، وقد كنت هائماً في أحضان الليل أرد على رسالتك وتساؤلاتك العديدة».

رحلت صباحاً إلى بولتسانو، فاستقللتُ القطار الكهربائي إلى «كلوبنشتاين» إنه قطار يرتفع 1200 متر عن الأرض، لأتنشق أثناء رحلتي هواءً نقياً عذباً بارداً، في سلسلة جبال، «دولومايت» ثم كتبت لك في طريق عودتي ما سأنسخه لك الآن، أعترف أنني قسوت عليك قليلاً في ردي، وهذا طبيعي فالأيام تختلف.

ها أنا وحدي.الآن لقد بقي صديقي المهندس في «بولتسانو»، لم يزعجني كثيراً كون أن المهندس والطبيعة الخلابة وقفت حائلاً بيننا، فأنا لم

أكن وحدي، كنت معك طوال اليوم، لقد أمضيت مساء البارحة وأنا أكتب لك حتى الساعة الثانية عشرة، ثم رافقتني في أفكاري، بقيت في فراشي حتى السادسة صباحاً، نمت خلالها بضع دقائق، ثم جررت نفسي من فراشي كما نجر الغريب من فراشنا، لم أقم بشيء ذي قيمة، فلقد كنت سأقضي اليوم بالتنزه بلا هدف في أحياء ميران.

لا يهمني حقيقة أنني لم أكن كامل الوعي أثناء رحلتي، فهذه الرحلة ستبقى غامضة في مخيلتي إلى حد ما، وليلتي كانت مشابهة لها، فقد كنت في رسالتك، (إن لك نظرة ثاقبة، ومع أن هذا لا يهم أحياناً، فالناس يوجهون نظرات متهجمة للمرء، لكنك تتحلين بالشجاعة لتنظري لهم بنفس تلك النظرة المتهجمة، ولربما تستطيعين النظر أبعد من ذلك، نظرة إلى البعيد لهي مهمة بالحياة) لقد أيقظتي شياطيني الناعسة، تلك التي تنام بعين واحدة، لتتحين الفرصة التي تثير الرعب في النفس، (أكاد أقسم أن عرقي يتصبب من تلك القوى الغامضة) ويا لها من فرصة حسنة! فالمرء يصبو لتلك اللحظة، وهو يعلم بوجود تلك الشياطين.

لم يكن تفسيرك لاقتراحي بمغادرة فيينا دقيقاً، فأنا كتبت ما كتبت بتدبر، فما يبدو لي هو أنني قادر على أدعمك، وبناء على مجريات حياتك مغادرتك فيينا تبدو لي الحل الأمثل، أعتبر نفسي أنانياً حقاً، فكل ما يمكن أن يجرح زوجك يمزقني، بعشر أو حتى مئات المرات أقوى مما يفعله به، ليمزقني إلى أشلاء، فأنا لا أخشى العواقب المادية، ومتى كنت غير قادر على تغطية تكاليفها المادية؟، (دخلي ليس عالياً، لكنه يكفي كلانا، ناهيك عن تكاليف مرضي) أن تعبيري عما أقول ما هو إلا دليل على إخلاصي، (فأنت كنت أول من نظر إلي بنظرة العطف، التي تمدني بالقوة)، إن ما يخيفني -وهو ما يخيفني وعيناي مفتوحتان على اتساع- إنني أغرق بهذا الخوف، غير قادر على مساعدة ذاتي، (أود لو أغرق في النوم كما أغرق في

خوفي حينها فقط لن أستيقظ أبدا) فإن تواضعي شديد، (ستساعدك رسالتي الموجهة لوالدي على فهم ذلك، ربما ليس بشكل كامل،فالرسالة تهدف لشيء آخر يخصها). فهي قصة كتبت على أساس أنني في حلبة شطرنج، والتي دوري بها هو الحصان، وهو بالدور الضئيل، فتجدينني الآن متلهفا لآخذ دور الوزير، لكنني الحصان، ذلك الدور الذي لا قيمة له، ولربما كنت أرغب حتى أن أحتل دور الملك بنفسه، أو أن أحتل كل رقعة الشطرنج لي وحدي، ولو فعلت ذلك لقللت من قيمتي كإنسان. هذا هو سبب اقتراحي لك، فأهميته لي أكبر من أهميته لك، فهذا الاقتراح هو المؤكد الآن، الخالي من الشوائب، وهو ما يمدني بالسعادة التامة.

وكما كان قراري بالبارحة، أخبرك اليوم قطعياً أنني لن أحضر إلى فيينا، وبما أن اليوم يتحدث عن نفسه، فالغد له الحق بأن يتحدث عن نفسه، فسأترك القرار للغد وأمنح نفسي بعضاً من الحرية، وهذا ما لن يدهشك، فلو حضرت إلى فيينا فلن يكون ذلك بعد يوم الخميس، فإن ذهبت إلى فيينا، سأرسل لك برقية فوراً، فلا يوجد من أود مقابلته غيرك. أعلم أنني لن أصل قبل يوم الثلاثاء، فسأتوجه إلى المحطة الجنوبية، ومازلت لا أعرف طريقي بعدها، ويؤلمني أنني لا أعرف بأي مدرسة تدرسين في المحطة الجنوبية، فبإمكاني انتظارك هناك في الساعة الخامسة، «أتذكر جملة من قصة خرافية، تكاد تكون قريبة مما سأقوله الآن «إن لم يكونوا أمواتاً، فهم ما زالوا يعيشون حياتهم». تصفحت خريطة لفيينا اليوم، لا أعلم لم يبنون مثل هذه المدن الضخمة، في حين أن ما يحتاجه المرء هو حجرة فقط.

ف

يبدو أنني أرسلت ردي على رسائلك المتبقية إلى «بولاك».

الخميس

يصبح المرء أكثر تنبهاً في يومه بعد أن يقضي ليله ساهراً، من غيره الذي يرتاح كثيراً في نومه، لقد كتبت تلك الحماقات التي كتبتها لك عن فيينا بعد نوم مشبع الليلة السابقة له. فنهاية تلك الرحلة لم تكن بالشيء السهل، يجب ألا يستهان بها، كوني على ثقة أنك لن تفاجئي بقدومي، إن مجرد تفكيري بزيارة فيينا يرعبني، لا أنوي التوجه إلى شقتك. لنعتبر الأمر كالتالي، إن لم تصلك رسالة مني قبل يوم الخميس فاعلمي أنني صرت متوجها إلى براغ، سأتوقف كما بلغني في المحطة الجنوبية، (قد ذكرت لك تفاصيل ذلك برسالة الأمس)، فأنا مازلت أعقل ما أكتب، لست بذلك الشخص المتلبد، ولا كنت يوماً مهملاً، فرغت من ترتيب أغراضي، ثم نمت قليلاً، فلا تقلقي علي من ذلك، ها أنا أخطو خطوة في طريقي إلى فيينا في هذه العربة،والتي لن تتوقف إلا بفيينا، إن مجرد صعودي إلى العربة مليء بصعوبات بالغة، إلى اللقاء الآن، (وليس من المؤكد أن يكون لقاءً في فيينا، ربما سنلتقي في رسائلنا).

ف

«روبوتشا» جميلة جداً، يا لها من بلد جميل! ليس بمثل ذلك الجمال، لا ليست جميلة لتلك الدرجة، فطريقها لا تنتهي وكأنها تشل طريقي، لا أستطيع أن أتحرك، ولا حتى أن أعود أدراجي، وكان أول الطريق قد ضاع، يبدو ما أكتبه وكأنه رسالة من ميلينا، إن كان كذلك أنا مجبر على الرد عليه.

أما بما يتعلق باسمك، فلا علاقة به بالألمانية ولا اليهودية، فمن يتحدثون التشيكية، (فيما عدا اليهود التشيكيين) يندرجون من «نيسريس»،

ويلي ذلك أفضلية، قراء المجلات، ويليه المشتركون، فاسم ميلينا بالتشيكية هو تصغير لاسم «ميلينكا»، سواء أعجبك ذلك أم لا، فهذا ما ذكره علم فقه اللغة.

ميران (25 يونيو 1920م)

ها قد بدأنا نفهم بعضنا خطأ، أنا لم أصبُ لمساعدتك، فأنا أصبو لمساعدة نفسي، لندع الأمر كما هو هكذا، وبحسب ما أذكر أنا لم أطلب منك حبوباً منومة.

أنا لا أعرف «أوتو غروس» حق لمعرفة، لكنني لاحظت أن هنالك ما يميزه، فقد كان يتدخل بكل شيء، يا لسخافته، كما المزاج المتقلب لزوجته وأخيها، وحتى أقاربه، بالإضافة لذلك الرضيع الغريب النائم بين الحقائب، والذي لن يسقط إذا ما ترك وحده. إنه يشرب القهوة الخضراء، والفواكه، وكل ما تستطيعين ذكره. كنت في وقتها عائداً من بوداباست حيث التقيت بخطيبتي، عائداً إلى براغ. لقد كان «غروس» وزوجته وأخوها في نفس القطار ليلتها، قضى نصف الليلة يغني أغانيه المزعجة، خجلاً مرات ومرات بلا خجل، كانت المرأة متمددة بجانب الزاوية، محاطة بالقاذورات -كانت مقاعدنا بجانب الممر- ونائمة، (يفترض أن يعتني بها غروس لكن دون نتيجة واضحة). طوال الليلة كان غروس يخبرني شيئاً، (وما كان يقاطع كلامه شيء إلا حاجته إلى أن يحقن نفسه بين الحين والآخر) أو على الأقل هذا ما بداه الأمر لي، وبصراحة لم أفهم منه شيئاً،

وبدأ يدعم كلامه بآيات من الإنجيل لم أسمعها من قبل، وبصراحة لم أهتم لها لتعبي و إرهاقي، وظل على هذا الموال مستمراً بإضافة أمور أخرى، وكأنه ينتظر موافقتي على كلامه. طرقت برأسي موافقاً من دون أن أشعر، في حين بدأ يختفي من أمام عيني، لست متأكداً إن كنت مستيقظاً حينها أم لا، فقد كان تفكيري حينها بطيئاً وبارداً، وهكذا مضت ليلتي، لكنها لم تخلُ من المعوقات الأخرى، فقد كان يقف فجأة يمسك بشي في الأعلى و يبدأ بهز جسمه مرة تلو مرة حتى يتعب ، ثم ذهب ليجد مكاناً يستلقي فيه وينام. أما في براغ رأيته مرة واحدة عبوراً بجانبه.

كون أذني ليست بموسيقية ليست بالشيء السيئ كما تظنين، فأنا لست السبب بذلك، فقد ورثتها من أجدادي، (كان أحد أجداد والدي جزاراً في قرية بالقرب من «ستراكونيتز») وهو سبب كوني هكذا لا أمانعه لأن ذلك يعني أنني أقربه، وأن أكون قريبه يعني لي الكثير، لكنها من خيبات الأمل للجنس البشري، كما هو عدم التمكن من النوم أو البكاء، فتمييز من هم موسيقيون يعني أنك قادر على تمييز من ليسوا بموسيقيين.

ف

لو مررت من فيينا سأتصل بك أو أرسل لك رسالة مباشرة، يوم الثلاثاء أو الأربعاء.

أنا متأكد من أنني وضعت طوابع بريدية على رسائلي، ألم تلاحظي أن الطوابع منزوعة منها؟

ميران (25 يونيو 1920م)

مساء الجمعة

ما كتبته لك صباحا كان كلاماً غبياً، وها أنا أستلم رسالتيك، يملؤهما الطيبة، وأفضل أن أجيبك عليهما شفوياً، فسأصل إلى فيينا يوم الثلاثاء، ما لم يطرأ طارئ، ظاهراً كان أم باطناً، من الأفضل أن أرسل لك برقية لأعلمك أين سنلتقي، (يوم الثلاثاء يوم عطلة، وسيكون مكتب البريد مغلقاً) كنت سأحدد لك المكان في رسالتي هذه لو كنت أعرف مكان نزولي، فيجب أن أجد مكاناً شاغراً لثلاثة أيام وثلاث ليال، بانتظار وصولي يوم الثلاثاء في وقت محدد، ففي أي بقاع الأرض أجد الصبر الذي أحتاجه ميلينا؟ ليوم الثلاثاء؟

ف



فيينا (29 يونيو 1920م)

م. جيسينسكا

فيينا VIII

بطاقة بريدية

مكتب بريد «بنسوجانس»

الثلاثاء الساعة العاشرة.

قد لا تصلك رسالتي قبل الساعة الثانية عشر،وعلى الأغلب لن تفعل، فالوقت الآن الساعة العاشرة، ستصلك إذن غداً صباحاً، أنا في فيينا، أجلس في مقهى في المحطة الجنوبية، (ما نوع الكاكاو هذا؟ أي نوع

من الفطائر هذا؟ وهذا ما تعيشين عليه؟) لا أشعر أن عقلي حاضر بقدر حضور جسدي، فلقد بقيت ساهراً طوال الليل لم يغمض لي جفن ليلتين كاملتين، السؤال هو، هل سأتمكن من النوم في فندق «ريفا» حيث أقيم والذي يقع بجانب ورشة سيارات في المحطة الجنوبية، لا أجد أفضل ما أقوله من هذا: «سأنتظرك يوم الأربعاء مقابل الفندق منذ ابتداء دقات الساعة العاشرة، أرجوكِ ميلينا، لا تحاولي مفاجأتي بأن تباغتيني من خلفي أو من جانبي، وأنا أعدك أني لن أفعل ذلك أيضاً، سأقضي يومي أتفحص المكان، شارع ليرشنفيلدر، مكتب البريد، والساحة المحيطة بالمحطة الجنوبية، وبائعة الفحم، وكل ما يمكن أن تقع عليه عيناي.

لك

براغ (4 يوليو 1920م)

اليوم ميلينا، ميلينا، ميلينا، لا يمكنني أن أكتب أي شيء اليوم، لكني سأفعل، سأكتب اليوم لك وأنا مرهق، متعب، شارد الذهن، (وسأكتب لك الحقيقة غدا)، وكيف لي إلا أن أكون كذلك، لقد وعدو الرجل المريض أجازة لثلاثة أشهر، ولكنه سيأخذ بالحقيقة أربعة أيام، وإجازتي من يوم الثلاثاء والأحد، وحتى الأمسيات والفترات الصباحية سيخصمون منها، أليس هذا بسبب كاف لكي لا أنعم بشفاء تام، ألا تجدينني محقا؟

ميلينا (همسات في أذنك اليسرى وأنت مستلقية فوق فراشي المتواضع، في نوم عميق، وكنت تحركين جسدك في بطء لا شعوري نحو اليمين مرة، ونحو الشمال مرة، باتجاه شفتي).

الرحلة؟ كانت بدايتها غير معقدة إطلاقاً، ولم أجد صحيفة واحدة في العربة، كان يبدو كسبب كاف لي لأعود أدراجي، لكني لم أجدك هناك، فعدت إلى العربة مرة أخرى، ليتحرك القطار وأشغل نفسي بقراءة الصحيفة، بدا كل شيء جيد، لكن فجأة توقفت عن القراءة لأدرك أنك لست معي، مع شعوري العميق بوجودك، لكن ذلك الوجود، لا يشبه وجودك معي خلال تلك الأيام الأربعة، لقد اعتدت وجودك. أكملت قراءتي لكن يوميات «بار» بدأت بوصف سيء لدورة مياه بالقرب من جرين، فتوقفت عن القراءة. نظرت خارجاً، لأجد القطار يتحرك بجانب سيارة كتب عليها «غيرن». ثم نظرت مرة أخرى إلى داخل المقطورة، لاحظت رجلا أمامي يقرأ جريدة الأحد الماضي، مقالة لـ «روتسينا يبزنسكا»، فاستعرتها، وبدأت القراءة لأسرح في كلماتها، واستمر ذلك حتى بدأت ملامح وجهك بالاختفاء من أمامي، كلحظة وداعنا في المحطة، ليبدو وداعنا كظاهرة طبيعية خارقة، خفتت لها أشعة الشمس، وليس بسبب الغيوم، وإنما خفتت من وداعنا.

وماذا يمكن لي أن أقول أيضاً؟ فحلقي لا يسعه مشاعري؟ ولا تطاوعني يداي لأعبر عما أريد.

لك

إذن إلى الغد، سأصف لك باقي تفاصيل رحلتي الرائعة.

براغ (4 يوليو 1920م)

الأحد، بعد تلك الرسالة بقليل.

لقد أحضر ساعي البريد تلك الرسالة المغلقة، (أرجوكِ اقرئيها فوراً، هي وتلك الرسالة من ماكس)، فهو يريد رداً مستعجلاً، سأكتب له أنني سأصل هناك في الساعة التاسعة، ما سأقوله سيكون واضحاً جداً، أما كيف سأرتب كلماتي؟ فهذا ما لا أعرفه، ارحمني يا الله، فلو كنت متزوجا كنت سأعود إلى المنزل وأجد فراشي بدلا من الطرد، كيف لي أن أختفي في ثناياه من دون أن يظل طيف فيينا حولي، هذا ما أقوله لنفسي محاولاً تخطي العقبات.

لك

أرسلك لك هذه الرسالة كمحاولة مني لأستحضر وجودك، لتقتربي مني جداً، وأنا أتمشى جيئة وذهاباً على عتبات منزلك.



(3)

براغ (4 – 5 يوليو 1920م)

الأحد - الساعة الحادية عشر ونصف

سأرقم هذه الرسائل حتى لا تضيع في طريقها إليك، كما ضعت أنا في طريقي إلى الحديقة إليك.

لم أتوصل إلى نتيجة، فكل شيء يبدو واضحا بالنسبة لي، فهو بوضوح الشمس، لن أخوض بالتفاصيل، ما عدا أنها لم تقل شيئا يعبر عن

غضبها بخصوصي أو بخصوصك، لقد كنت واضحاً جداً، وحتى لم أتحلى ببعض العطف حين أخبرتها عنك. لكن الشيء الوحيد الذي أنا متأكد منه أنه لا شيء تغير بيني وبينها، ولا يبدو أن شيئا سيتغير، فما سيتغير هو اللاشيء. إنه لمخيف حقاً، إنها مثل وظيفة الجلاد، وهذا لا يمثلني. ميلينا، يرجح لي أنها ستمرض مرضاً قوياً، (فلقد بدت شاحبة، يتملكها اليأس، يجب علي أن أزورها مجدداً ظهر الغد)، على كل حال، فلو مرضت أو أصابها شيء، فليس كأني بيدي الأمر، فأقصى ما يمكن أن أفعله أن أخبرها الحقيقة، فقط الحقيقة المجردة، فأنا أشعر بأنك تجاورينني كلما هممت بالذهاب لها، فلو حصل ما ليس بالحسبان. ميلينا، يجب عليك عندئذ القدوم.

ف

يا للهراء! طبعاً لن تستطيعي القدوم، لنفس السبب السابق.

غدا سأرسل رسالتي المفترضة لوالدي إلى شقتك، أرجو منك أن تعتني بها جيداً. فربما أرسلتها يوما إلى والدي، كما أطلب منك ألا تدعي أحداً غيرك يراها، وعند قراءتك لها، أرجو منك أن تركزي في الطبقات القضائية فيها. فهي مكتوبة بيد محام. وأثناء ذلك، تمسكي بلامبالاتك البالغة.

صباح الاثنين

سأرسل لك اليوم كتاب «عازف الكمان الفقير» وليس لأن لذلك أهمية كبيرة عندي، على الرغم من أنني أحطتها باهتمامي منذ سنوات عديدة، أنا أرسلها لك لأنها تتمثل بـ «فينيس»، ليست بالقصة الرنانة، كئيبة تثير بالنفس الحزن، فقد كان ينظر لنا في الحديقة العامة (علينا نحن الاثنين)، «عندما كنت تمشين بجانبي، فكري بذلك، كنت تمشين فقط بجانبي»، لأنه شخص روتيني جداً، ولأنه يوما أحب فتاة تجيد عملها.

(4)

براغ (5 يوليو 1920م)

صباح الاثنين

تسلمت رسالة يوم الجمعة مبكراً، وثم وصلتني رسالة مساء الجمعة، لقد كانت الرسالة الأولى حزينة، حزينة، وكأنها محطة للحزن، كان الحزن فيها ليس من مضمونها، لكن ما أحزنني أنها وصلت متأخرة، فكل ما فيها يبدو قديماً، حيث تشاركنا الغابة، والضاحية والرحلة، لكننا كنا معاً، نتقدم إلى الأمام في الطريق الحجري اللانهائي، كما لم تنتهِ رحلة عودتنا فيه تحت الشمس الغائبة، لا لم ينتهِ هذا، مع أن كلامي يبدو سخيفاً عندما أقول إنه لم ينته. تحيطني العديد من الوثائق، قرأت بعض الرسائل التي تضمنت تحيات من مدير المكتب (وهذا يعني أنني لم أطرد)، وتحيات من بعض الزملاء هنا وهناك، إلا أن همسا يظل يتردد في أذني «إنها ليست معك» وأشعر بناقوس من السماء يصيح «هي لن تتركك أبدا» لكن تلك الهمسات في أذني تظل تكرر كلامها. والآن ها هي رسالة المساء، كيف يمكن لقلبي أن يتحمل مثل ما كتب فيها، إنها تخطف الأنفاس، لا يمكن للعقل أن يستوعب كيف يمكن لك أن تكوني بمثل هذا البعد.

وليس هذا بشكوى، أو نواح، الآن بعد أن قرأت كلماتك.

سأروي لك الآن قصة الرحلة، حينها فقط ستتوقفين عن القول بأنكِ لست ملاكاً:

في طريقي العودة اكتشفت أن تأشيرة دخولي النمسا قد انتهت منذ شهرين، لكنهم أعلموني في ميران أن مدة التأشيرة لن تؤثر فأنا مجرد عابر في

النمسا، وكان هذا السبب الذي جعلني أتناسى انتهاء التأشيرة، أثناء تواجدي في فيينا، تنبه لانتهائها شاب -أحد موظفي مكتب الجوازات-، وكان يبدو قاسي القلب، فبسبب إهمالي بالدرجة الأولى، تم حجز جوازي، وصار بإمكان الجميع المرور من المنطقة الجمركية ما عداي، لقد كان ذلك سيئا جداً، (لم أتمكن بسبب ذلك أن أرتاح قبل يوم عملي، وها أنا مجبر على العمل الآن، وما يهدئ من روعي أنني ما زلت غير مجبر على المشاركة بتلك الأحاديث الغبية، إلا أنهم يستمرون بالدخول إلى مكتبي، ليقاطعوا حديثنا، إلا أن ذلك لن يحدث ميلينا، لن أترك أحدا يقف في طريقنا)، كان ذلك هو ما حدث معي، وفجأة بدأ سحرك يظهر مفعوله، فتوجه لي حارس من الحدود بدا رجلا رحيماً ودوداً، نمساوي، مخلص، اقتادني عبر درجات وممرات إلى حيث كانت تقف امرأة يهودية أيضاً انتهت تأشيرتها، وكانت يا للغرابة، إحدى مبعوثيك اللطفاء، آه يا ملا ك اليهود الحارس، لكن تلك القوى المظلمة كانت أقوى من سحرك، فقرر المفتش ومساعده اللئيم، واللذان بديا شاحبين، متكدرين، بأن «عد إلى فيينا واستخرج تأشيرة من الشرطة»، فقلت له «لكن ذلك أمر يشق علي» فرد قائلاً «وهل يبدو لك ذلك شاقا حقا»، «ألا أستطيع طلب التأشيرة عن طريق البرقية؟» «لا لا يمكن» «حتى لو دفعت كل ما يلزم من نفقات» «لا»، «ألا يوجد من هو أعلى رتبة منك ليساعدني في ذلك؟» «لا»، فتوجهت تلك المرأة وطلبت من الشرطي أن يسمح لي بالمرور، لقد كان ذلك ليشق علي ميلينا، فيجب علي أن أبحث عن أمتعتي أولا وأعود طريقاً طويلة إلى مكتب الجوازات، لقد فوت فرصتي بالسفر يومها، لأجد نفسي أجلس بحجرة صغيرة بجانب الحارس، الذي كان متعاطفاً معي، ولكن لم يكن ذا سلطة، فمن له سلطة قال كلمته وانسحب إلى مكتبه، ورحت أفكر «القطار التالي إلى فيينا يتحرك الساعة العاشرة ظهراً، ليصل في الثانية والنصف، وكان ما زال جسدي

يمكّني من قرصات البق الذي كان في فراشي في فندق ريفا، فماذا سيحصل لي وأنا في فندق فرانتس يوزيف، إلا أنني لم أتمكن من الحصول حتى على غرفة فيه، لأتجه بعدها إلى شارع «ل» في الثانية والنصف صباحاً. علي أن أذهب الاثنين بالصباح الباكر للحصول على تأشيرة بجميع الأحوال، هل ستصدر التأشيرة بالحال أم في الثلاثاء، لأجد نفسي أفكر فيكِ وكأنك خلاصي ماذا لو توجهت إليك حين وصولي، آه يا إلهي، توقفت أفكاري، ثم عدت أفكر من جديد، كيف سأبدو بعد كل هذا التعب وبعد هذا ، بعد كل هذه الساعات في القطار، على كل حال يجب علي أن أعود على رحلة الرابعة، كيف سأصل إلى براغ، كيف سأبدو؟، يجب أن أذهب مباشرة إلى المكتب، ماذا سيقول مديري؟، لكن لم يكن أمامي إلى أن أبقى الليلة في جموند وأتحرك صباحاً إلى فيينا برحلة الخامسة صباحاً لأصل في الحادية عشرة، ربما سأصاحب تلك السيدة الرومانية في رحلتي. فجأة فهمت من حديثهم أن الحارس سيحاول مساعدتنا، فلو أمضينا الليلة في جموند، سيحاول أن يسمح لنا سراً بالركوب في قطار براغ، بالصباح الباكر، إلا أننا يجب أن نظهر للمفتش أننا سنعود أدراجنا إلى فيينا، وهو سيتكفل بالباقي، بدا أمراً رائعاً. أمام المفتش قمنا بتمثيلة كأننا رتبنا أمورنا للعودة إلى فيينا، وكنا سنقوم بالالتقاء بالحارس مساءً بالسر لنرتب الباقي، أما لي كان كل ذلك من بركاتك أنت حارستي، إلا أن ذلك كان مجرد هجمة من القوى المظلمة، ابتعدنا أنا وتلك السيدة عن المحطة، وكان القطار المتجه إلى براغ مازال واقفاً، فتفتيش الأمتعة يأخذ وقتاً طويلاً، كنا نود الاتجاه إلى المدينة لنجد مكاناً نبيت فيه، وهو يبعد ساعة عن المحطة، لكن علمنا بعدها بوجود فندقين بجانب المحطة، كان علينا أن نعبر سكة القطار بسرعة، للذهاب إلى الاتجاه المقابل، خافت السيدة وتمسكت بي من الخلف، ثم توقف قطار الأمتعة أمامنا، فأجبرنا على التوقف، لتزداد الأمور سوءاً،

لكني كنت مجبراً، فهذه هي الوسيلة الوحيدة، هذا ما كنا نفكر به، تخيلتك حينها تسبحين في السماء من باب إلى آخر لتطلبي لي العون، كما فعلت وأنت تهرولين من فندق إلى آخر في المحطة الغربية، أحسست وكأن ملاكاً يناديني من الخلف «عودا إلى المحطة سيسمح المفتش لكما بالسفر» «هل هذا صحيح؟» «إن مثل هذه اللحظة تخطف أنفاس المرء، فلقد رجونا الحارس عشرات المرات، وعرضنا عليهم المال، ولم نفلح. فما كان منا إلى أن عدنا مسرعين، نبحث عن أمتعتنا في مكتب المفتش، ومنه إلى مكتب الجوازات، لنتجه بعدها إلى الجمارك، كان كل شيء وكأنه رتب من قبل ملاك، حتى عندما عجزت عن حمل أمتعتي، أجد مصادفة حمالاً بجانبي، حتى في مكتب الجوازات قام حارس بفتح الطريق لي، وعندما ضاعت علبة أزرار القمصان الذهبية خاصتي، كانت مع موظف الجمارك فقد وجدها أحد الموظفين وسلمها له، ثم صعدنا إلى القطار وتحرك بسرعة، وأخيراً كان بمقدوري أن أجفف عرقي وأتنهد. ابقي دائماً معي.

ف



(5)

براغ (5 يوليو 1920م)

الاثنين

أظن....

من المفترض أن أكون نائماً الآن، فالساعة الواحدة بعد منتصف الليل، لكن كان من المفترض أن أكتب لك قبل المساء، لكن ماكس كان عندي، وكنت أتوق إلى لقائه، ما أخر لقائي به، هي تلك الفتاة، وقلقي

عليها. لقد بقيت معها حتى الثامنة والنصف، وحين وصل ماكس في التاسعة مساءً تجولنا إلى أن دقت الساعة الثانية عشرة ونصف بعد منتصف الليل. هل تصدقين أنه لم يعرف من كنت أتحدث في رسائلي إليه، إنه أنتِ، أنتِ، أنتِ- تتوقف يداي عن الكتابة لوهلة- وأنا أقصدك أنتِ عزيزتي، لكنه لم يعرف ذلك، فأنا لم أكن أذكر اسمك في رسائلي معه، كنت أخاف أن تكون زوجته تقرأ تلك الرسائل، لكنه لم يدرك عمن كنت أتحدث.

وللمرة الثانية، ميلينا، أنتِ إحدى كذباتي، والثانية أنك مرة كنت سألتني، مصدومة إن كنت أظن أن العلاقة الغرامية بين ~~ميلين~~ (كنت أريد أن أكتب ماكس، ولذلك شطبت اسمك لأصحح الاسم، لا تلوميني على ذلك، أحسّ أنني مجروح جداً، أود البكاء) فلقد كانت رسالة ماكس حينئذ كنذير لنا، لم أعتبره حينها كتحذير، وإنما كقصة ذكرت على حين غفلة، فعندما كنت ألمس خوفك من هذه العلاقة، كنت أكذب نفسي، وأقول إن هذا شيء عادي، وأننا نجري مع التيار، فلم لا، وأنكر أن هنالك صلة مابين علاقتنا وتحذير ماكس، ولم أكن قد وعيت التشابه ولذلك استمررت بالكذب على نفسي.

وبالمجمل، وبالرغم من كل شيء فلو كنت سأموت وأنا سعيد لن أمانع ذلك، وإن كان مكتوبا على المرء الموت، فعزائي أنني عشت حياة سعيدة، وهذا ما قد يطيل في عمري.

أما بالنسبة للفتاة، فلقد كانت صحتها أفضل اليوم، سمحت لها بالكتابة لك بعد عناء طويل، وإنني لآسف على ذلك، ولكن ما يخيفني هو تلك البرقية التي أرسلتها لك عن طريق البريد اليوم مضمونها «الفتاة ستكتب لك فأرجو منك أن تردي عليها برقة ولطف، وأرجوكِ لا تتخلي

عني».بدت الأمور اليوم هادئة، وحاولت جاهداً أن أتحدث بسلام عن ميران، فخفف ذلك من التوتر السائد، ارتعد جسمها بقشعريرة مريرة حينما عدنا إلى الحديث عن الموضوع الأول، فسألتني سؤالها الأخير بطريقة غريبة، وهنا وجدت نفسي بلا حيلة «أنا لن أتخلى عنك، هل أنت تحاول إبعادي، فلو كنت كذلك سأتركك» أحسست بإحساس فظيع، بعيداً عن غروري وأنا أروي لك ذلك، فأنا قلق عليك، وما الذي يمكنني أن أفعله من خوفي عليك. يا لها من طريقة خوف غريب! أجبتها: «نعم» فقالت: «لكني لا أستطيع أن أتخلى عنك» وثم بدأت تتكلم بسرعة، فما بيننا ليس بمستوى فهمها، ظللت تردد إنك تحبين زوجك، وأيضاً تحدثين إلي من وراء ظهره، للحقيقة كانت قد نعتتك بعدد من الكلمات السيئة وقتها، لكن ما كان بيدي حيلة غير أن أتركها تعبر عما يختلج قلبها، ثم قالت إنها ستراسلك سراً، وسمحت لها بذلك، لأنني أثق فيكِ، وأثق بتفكيرك. أعلم أن ذلك سيؤرقني لليال عديدة، ما أثار التساؤل في قلبي هي أنها هدأت مباشرة بعد أن سمحت لها بالكتابة لك، اكتبي لها برقة قاسية، بل حاولي أن تكوني شديدة معها، ولكن كيف لي أن أملي عليك ما ستكتبين، وإن كنت ستردين على ما سترسله في حينه. أكثر ما يرعبني هو أن تقوم وهي في لحظة يأس بذكر شيء يجعلك تكرهينني، أرجو ألا أكون قد أسأتُ لك بحديثي هذا، كيف لي أن أتصرف وأنا جسدي يرتعد من خوفي؟ كان سيكون من الأسهل لو استقر الخوف في قلبي، لقد أخطأت لم يكن يجب علي أن أسمح لها بمراسلتك. سأراها مجدداً غداً في عيد «هوس» وقد ألحت علي أن نذهب بعدها في رحلة طوال فترة بعد الظهر، وبذلك ستعفيني من زيارتها باقي أيام الأسبوع. سأحاول جاهداً أن أقنعها بألا تكتب لك شيئاً، إن لم تكن قد كتبت بالفعل، سمحت لأنني ظننت أنها كانت بحاجة إلى تفسير منك

فقط، وظننت أنه ربما لكلماتك الرقيقة القاسية أن تريح حيرتها، هذا جل ما يدور في تفكيري الآن، سوف تركع الآن أمام رسائلك.

فرانز

ملاحظة جانبية: ومن الأسباب التي جعلتني أوافق على مراسلتك، هي أنها كانت تريد أن تقرأ عدداً من رسائلك، لكني لم أسمح لها بذلك.



(6)

براغ (6 يوليو 1920م)

صباح الثلاثاء

صفعه خفيفة تلقيتها اليوم، استلمت برقية من باريس تفيد أن أحد أعمامي المسنين قد توفي -والذي كنت معجباً به جداً- كان يعيش في مدريد، ولهذا لم يكن قد زارنا منذ سنوات عديدة، والآن عمي سيزورنا مساء الغد. وأنا أعتبر هذه كارثة لأني لا أملك الوقت الفائض لذلك، فأنا بحاجة إلى الوقت المتوفر الآن وإلى آلاف الأوقات، بالإضافة إلى أنه يلزمني بعض الوقت لك، فكيف سأفكر بك، كيف سأستحضر وجودك، عدا أن شقتي ستصبح مزدحمة، يا ليتني كنت في مكان آخر، أتمنى لو أمكنني تغيير العديد من الأمور، وأولها أنني أتمنى أن أتخلص من عملي اليومي، أستحق صفعات عديدة، وخصوصاً عندما أضيع وقتي الذي هو لك بمثل هذه التفاهات.

هل أستطيع الذهاب إلى «لورين» ألا يمكن للكلمات أن تلفظ بالسهولة التي كانت عليها حين كنت في فيينا، أرجوكِ حدثيني عن ذلك.

يشعر ماكس بالإحباط بخصوص الخبر الذي أرسلته عن المصحة، إنه يشعر بالتأنيب، فهذا سيبعثر ترتيباته بخصوص «بريبرام»، مع ذلك علاقاته الآن مع السلطات تسمح له أن يرتب ما يشاء من دون عقبات، وهو يطلب منك وبسرعة أن تلخصي له ما يجب أن يقوله بخصوص الظلم الواقع في «بريبرام»، إذا كان بإمكانك أرجو أن ترسلي ملخصاً عندما تحين لك الفرصة.

يا للغرابة، أشعر أنني لا أستطيع أن أكتب عن شيء إلا عما يخصنا نحن، نحن فقط، في هذا العالم المضطرب، يبدو كل شيء غريباً عني، هذا خطأ خطأ، ها هي شفتاي متوهجتان ورأسي مستلق في أحضانك.

تركت فيينا بعض المرارة في قلبي، هل لي أن أقولها؟ هنالك في الغابة، أعتقد أنه كان في يومنا الثاني، أظنك قلت شيئا قريباً من هذا، «المعركة انتهت، فبوابة القلعة لا يمكن أن تستمر مطولاً». وها أنت في رسالتك السابقة المرسلة إلى ميران تكتبين لي عن مرضك، كيف لي أن أجد طريق السلام بين هاتين الحقيقتين، وأنا لا أقول هذا من غيرتي، ميلينا، أنا لست أغار، إما أن العالم قد انكمش، أو أننا ازددنا ضخامة، ورغماً عن تلك الحقيقتين نحن نملؤه جيداً، فممن يجب علي أن أغار؟

---

(7)

(براغ 7 يوليو 1920م)

مساء الثلاثاء

هل ترين يا ميلينا، أنا أرسل الرسالة لك بنفسي، وأنا لا أعرف ما تحويه، ما حدث هو التالي، كنت قد وعدتها أن ألاقيها أمام منزلها الساعة

الثالثة والنصف بعد الظهر، كان من المفترض أننا سنذهب في رحلة على القارب، ولكني نمت متأخرا جداً ليلة الأمس وبصعوبة بالغة، لذلك أرسلت لها معتذراً أنني سأنام في فترة بعد الظهر، ولربما لن أحضر قبل الساعة السادسة مساءً، وبسبب قلقي البالغ، والذي لن تخمده البرقيات ولا الرسائل، طلبت منها ألا ترسل لك تلك الرسالة حتى نتحدث بشأنها، لكنها كانت قد كتبتها في الصباح الباكر، وكأنها لا تحتمل أعصابها، وقالت إنها لن تخبرني عما كتبت، ووضعتها في صندوق البريد مباشرة، وعندما تلقت برقيتي ارتعبت، وذهبت مسرعة إلى مكتب البريد، وبطريقة ما استطاعت الحصول على الرسالة، بمساعدة أحد موظفي مكتب البريد، ومن هول سعادتها أعطته كل ما كانت تحمله من مال، وبعد ذلك انصدمت من قيمة المبلغ الذي كانت قد أعطته إياه، ثم أحضرت لي الرسالة مساء، «ماذا يجب أن أفعل الآن؟» أملي لو أستطيع أن أجد حلاً يسعد الجميع، وهذا ما يعتمد وبشكل كبير على ردك، أعرف أنه أمل غير منطقي، لكنه ما أستطيع أن أعتمد عليه، فلو فتحت الرسالة الآن وقرأتها، سأشعل غضبها علي، ولو لم أفعل سيكون إرسالها لك شبه مستحيل، ولذلك سأضعها مغلقة بين يديك، كما سلمت نفسي لك.

الجو كئيب في براغ، أشعر بقلبي يثقل بين أضلاعي، فلم أستلم منك رسالة بعد، أعرف أنه ما زال باكراً أن أستلم رسالة، لكن اشرحي ذلك لقلبي.

ف

عنوانها: جولي ووريزك

براغ II

(8)

(براغ 7 يوليو 1920م)

الثلاثاء، لاحقاً

بعد أن أرسلت الرسالة لك، فزعت كيف أمكنني أن أفعل مثل ذلك بك؟ فلو تناسينا حقيقة أنه أمر شخصي،فكان يجب علي أن أفعل ما هو صحيح وضروري، فكيف لك أن تردي على رسالتها، كيف وضعت علاقتنا بين يدي شخص غريب، أرجوك ميلينا، اغفري لي تلك الرسائل والبرقيات، اعتبري أن ذلك بسبب ضعفي لبعدي عنك، وما الذي يمكن أن يحدث لو لم تردي على رسالتها، فيجب علي أن أجد حلا آخر عدا ذلك، أرجو منك ألا تزعجي نفسك من تلك الرسالة. آه كم أنا متعب من تلك الرحلات (ذهبنا اليوم إلى منحدر فشيرادر) وغدا سيصل عمي، ولن أستطيع أن أنفرد بنفسي.

لنتحدث عن موضوع أفضل: هل تعلمين متى كنت بأبهى طلة في فيينا؟ وبصراحة، تسلبين الألباب، أعتقد أنه ومن دون نقاش، كان ذلك يوم الأحد.

---

(9)

(براغ 7 يوليو 1920م)

مساء الأربعاء

سأكتب لك بضع كلمات لأصف لك الوضع في شقتي، مجرد وصف سريع، وصل والداي في الساعة العاشرة من فرانتسباد، وعمي في الثانية

عشرة من باريس، وأردوا مني استقبالهم في شقتي الجديدة، من أجل أن أمنح عمي بعض الخصوصية، وأنا سأذهب إلى شقة أختي لأنها خالية، بسبب وجودها في ميرانباد، يبدو ذلك أفضل، لكن المنطقة مزدحمة الشوارع دائماً، وهذا ما جعل مبادلتي معهم أكثر صعوبة، وأنا أحتاج الهدوء لأكتب لك، ميلينا، يجب أن تكوني لمستي النواح الذي طغى على رسائلي الأخيرة، (لقد مزقت رسائل عديدة خجلا مما كتبت، ومازلت إلى اليوم لم أستلم رسالة منك، وان بدأت أنوح عن الخدمة البريدية السيئة سيكون ذلك أسخف ما يمكن، فما لي وتوزيع البريد؟) بات الخوف يشل تفكيري، أشعر وكأنني أفقدك، لا أنا لا أشك بك؟ كيف لك أن تحتلي هذه المكانة في قلبي لو لم أكن أثق بك؟ ما يجعلني أفكر هكذا هو القرب الجسدي القصير الذي كان بيننا، والفراق الجسدي المفاجئ بعده. «لماذا يجب أن يكون ذلك يوم الأحد؟ لماذا في الساعة السابعة؟ لماذا حدث ذلك أصلا؟» إن هذا ليربكني. سامحيني، وحين تخلدين للنوم مساءً، لك مني، أنا وكل ما أملك نتمنى لك ليلة مريحة هانئة.

ف



(10)

(براغ 8 يوليو 1920م)

صباح الخميس الباكر

الشارع مزعج، ويُشيد بناءٌ مقابلي، لا أرى الكنيسة الروسية، أرى فقط شققاً ممتلئة بالناس، أجلس وحيداً في غرفتي، وهذا شيء مؤقت،

شرط من شروط السعادة، (شرط واحد، ما هو النفع من وجود الشقة إن لم أكن حياً فيها، إذا لم أملك منزلاً أرتاح فيه، وعلى سبيل المثال، عينان زرقاوان مضيئتان، تملئان حياتي جمالاً)، لكن لم تكن يوماً الشقة سبباً في سعادتي، فالهدوء يسيطر على المكان، في الحمام، والمطبخ، والممرات، والحجرات الثلاث الفارغة، تختلف الحياة فيها عما هو في تلك الشقق المشتركة، حيث الضجة، والفسق، والرغبات اللانهائية، والعلاقات الغرامية، وكل ما هو خارج عن الحشمة والأولاد غير الشرعيين، لا تسير الحياة هناك كما تسير في ضاحيتك الهادئة يوم الأحد، بل تسير هنا الأمور كما هي في تلك المناطق البدائية، المختنقة كما في ليلة السبت.

قطعت أختي كل ذلك الطريق لتحضر لي الإفطار، (لم يكن ذلك ضرورياً، كنت أنوي الذهاب إلى المنزل) كان عليها أن تدق الباب عدداً من المرات لتوقظني من شرودي في هذه الرسالة.

ف

هذه الشقة ليست ملكي وحدي، طبعاً، فزوج أختي سيقيم فيها بين الحين والآخر في فصل الصيف.



(11)

(براغ 8 يوليو 1920م)

صباح الخميس

وأخيراً وصلتني وسالتك، دعيني أعلق بكلمات سريعة على ذلك الموضوع، ويمكن لكلماتي العجولة أن تسبب بعض اللغط الذي سأندم

عليه لاحقاً، فوجودنا ثلاثتنا في هذه العلاقة، هو ما لا يعجبني، تبدو كعلاقة ليس لها مثيل، فلا يجب أن نزيدها قتامة أكثر مما هي عليه بسبب علاقات غيرنا «الجثث، العذاب الثلاثي، وعذابنا نحن الاثنين، واختفاء أحدنا). أنا لست صديقه،إذن كيف لي أن أخونه، أنا من معارفه فقط، لم أكن يوما على علاقة وثيقة به، أفضل أن أقول أنني مرتبط به، وكنت له أفضل من صديق. وأنت أيضاً لم تخونيه، فأنت تحبينه، حتى لو لم تقوليها، لو التقينا، (شكرا لك يا أكتافيّ) فسوف يكون لقاؤنا على مستوى آخر من المعرفة ليس كغيره، فعلاقتنا ليست علاقة غرامية لنخفيها، فلم العذاب والخوف والقلق. لقد صدمتني رسالتك وأخرجتني من الجو الهادئ الذي شعرت به منذ لقائنا، والذي أشعر أنه يتحول لمثل تلك الصراعات التي كانت في ميران، ونحن الآن نملك القوة لكي لا نعود إلى تلك الفترة في ميران، فيجب أن ننهي هذه العلاقة الثلاثية، حتى لو رغبتي ببعض الوقت مع نفسك، فإنني أعارض ذلك لما فيه من احتمالات لنتائج لا أرغبها، أنا أرفض ذلك لأني أشعر أنك لي، فلو كنت وحدي لم يكن شيء ليمنعني من التفكير بك، فلو علمنا المستقبل لما كنا خضنا في معتركات الحياة، وما كنا دمرناها، ونحن نعرفِ ما ينتظرنا في المستقبل.

في هذه اللحظة أشعر أنني لا أعرف شيئاً، أما بما يخص «لورين»، عدت إلى عملي منذ ثلاثة أيام ومازلت لم أكتب سطراً، ربما سأتمكن من ذلك الآن، لقد مر بي ماكس وأنا أكتب هذه الرسالة، لقد كان صمته مريحاً، بالنسبة للجميع ماعدا أختي ووالدي والفتاة وهو، فالجميع يظنونني قدمت من طريق «لينس».

ف

هل تسمحين لي بأن أرسل لك بعض المال؟ عن طريق «لورين» ويمكنني أن أقول له أنني قد استدنت منك بعض المال في فيينا، وبذلك يرسل لك المال مع مكافئتك على منشوراتك. كما أنني أيضاً خائف مما ستكتبينه عن الخوف.

---

(12)

(براغ،9 يوليو 1920م)

الجمعة

كل الكتابات تبدو لي عقيمة، وهي كذلك، فأفضل ما يمكنني فعله هو أن أحضر إلى فيينا وآخذك بعيداً، وربما هذا ما سأفعله، حتى لو لم ترغبي بذلك. بالحقيقة هناك فقط احتمالان، كل منها أجمل من الآخر، إما أن تأتي إلى براغ أو أن تذهبي إلى «ليبسك»، لقد تضرعت الإله اليهودي البارحة «جليفوسكي»، ولحقته قبل أن يتحرك إلى «ليبسك»، كان يحمل معه رسالتك إلى ستيسا، يا له من شخص رائع سعيد، متفتح، ذكي، يأخذ بيد المرء، ويتحدث بهوية،يبدو على استعداد لكل شيء، ويفهم كل شيء، كان ينوي أن يقابل «فلوريان» بصحبة زوجته، والذي يعيش بقرب «برنو»، ومن ثم يتجه إلى فيينا، وفي الظهيرة يعود إلى براغ، وربما يستلم رداً من ستيسا، ومن ثم سألتقيه في الساعة الثالثة عصراً، وأرسل لك برقية بعدها. أرجوك سامحيني على سخافاتي في تلك الرسائل الإحدى عشرة، ارمها، والآن سأقول لك الحقيقة الكبرى، الشيء الوحيد المخيف لي الآن هو حبك لزوجك، وبالرغم من كل ما يحدث بينكما وما استجد الآن، إنها

حياة صعبة . لا تستهيني بالقوة التي استمدتها من وجودي معك، مع أنني لم أتغلب على أرقي، لكنك أمددتني بهدوء مع ذلك، استلمت رسالتيك الليلة الماضية وأنا بصحبة ماكس، وهذا لم يكن جيداً، فعلاقتنا بطبيعة الحال أمر يخصني وحدي، آه يا ميلينا المسكينة، ها هي الغيرة من رجل لا يغار بدأت تظهر)، كم أمدتني برقيتك اليوم بالثقة، ها أنا أقلق بخصوص زوجك الآن - على الأقل في هذه اللحظة -ولكن ليس كثيراً، ليس لذلك الحد الذي لا يطاق، لقد أخذ على عاتقه حملاً كبيراً، وقد أنجزه تقريباً بكل أمانة، وأعتقد أنه لن يستطيع احتمال عبئه أكثر من ذلك، ليس لأنه لا يقوى على ذلك، بل لأنه يحمل أعباء أخرى (فما هي قوتي بجانب قوته)، منهك بسبب ما تتطلبه الأعباء من قوة. وبالمقارنة بذلك، بغض النظر عن كل شيء، لم لا أراسله؟ ربما سيجد العزاء في رسالتي.

ف



(13)

(براغ،9 يوليو 1920م)

الجمعة

بضع كلمات بخصوص رسالة «ستيسا»، فعمي الذي هو عادة طيب جداً، يبدو لي أنه فضولي، ينتظرني الآن. حسناً، إن رسالة ستيسا التي تبدو لطيفة وودية، تحوي خطأ، ربما خطأ واحد شكلياً، ليس لأني أظن أن الرسائل التي لا أخطاء بها أكثر ودية، بل على العكس)، فيبدو أن هنالك شيئاً ناقصاً أو ربما زائداً، ربما بسبب كونها تعطي الأمور أكبر من حجمها،

والذي أعتقدها تعلمته من زوجها، فللغرابة، تحدث معي البارحة بنفس أسلوبها، وعندما أردت أن أعتذر منه البارحة عن خطأ مني، انفجر بي غاضباً، وآلمني كلامه في الصميم قليلاً، ولقد حاول جاهداً أن يرسلني في طريقي مع رسالة ستيسا وتلك التفاصيل عن موعد ستيسا يوم الاثنين، «لكن كيف لي أن أتحدث بالطريقة التي يفعلها هؤلاء الناس إن كانوا حقا خيرين» الغيرة، أعتقد أنها الغيرة، وأعدك أنني لن أتعبك بغيرتي فسأبقيها لي لي وحدي. مع ذلك يبدو لي سوء فهم واضح، فأنت في النهاية لا تحتاجين نصيحة ستيسا، وليس كأنك بحاجة لها لتتحدث مع زوجك، ما أجده هو أنك تحتاجين منها شيئا واحداً فقط وهو تواجدها بجانبك، هذا ما أراه على الأقل. أما بالنسبة لموضوع المال فليس بالأمر المهم، فقد شرحته لزوجها البارحة، وفي يوم الاثنين سأتحدث إلى ستيسا، «بدا أن زوجها كان له عذره اليوم، فقد كان في لقاء عمل، كما كان يجلس مع شخصين آخرين هما «بيترمن وفرنس فوترستا» وكأنهم ينتظرون ليبدأوا مقابلة بخصوص نوع جديد من السجاد» .

لو لم يكن عمي ينتظرني لكنت مزقت هذه الرسالة وأعدت كتابتها، فهنالك شيء واحد ما يجعل رسالة ستيسا مقبولة «وهو» أن تعيشي مع كافكا.

أود أن يصلني مزيد من أخبارك اليوم، فالإنسان رأسمالي بطبعه لا يدرك قيمة الشيء حتى يفقده، وعندما كنت أتفقد أحوال المكتب اليوم، وصلتني رسالة منك أظنها وصلت إلى ميران بعد رحيلي، بالإضافة إلى برقية من «بريبرام» بدتا لي بعد قراءتهما غريبتين بعض الشيء.

لك

(براغ،10 يوليو 1920م)

السبت

هذا سيء، وصلتني رسالتاك الحزينتان أول البارحة، وبالأمس وصلني منك فقط برقية، «كأنهن يؤكدن ما يذكر في الأخريات، كما تفعل البرقيات عادة» أما اليوم لم يصلني منك أي رسالة بعد، ولم تكن تلك الرسائل مريحة بالنسبة لي بجميع النواحي، فقد فهمت منها أنك سترسلين لي رسالة أخرى، لكنك لم تفعلي، كما كنت قد أرسلت لك منذ ليلتين برقية مستعجلة مع طلب رد سريع مدفوع، والتي كان من المفترض أن تصلني منذ وقت طويل. وها أنا أكرر لك كلامي «لم يكن بمقدورك فعل شيء غير ذلك، فكوني هادئة، فمنزلك هنا، «جيلوكسي» وزوجته سيذهبون إلى فيينا هذا الأسبوع، كيف لي أن أرسل لك المال؟» إلا أن الرد لم يصلني، «اذهب إلى فيينا» هذا ما كنت أقوله لنفسي، «لكن ميلينا لا تريد ذلك، إنها لا تريد ذلك أبداً، فعندها قلقها ومخاوفها، كما أن لديها ستيسا»، وعلى الرغم من هذا فقد نويت السفر، لكني لا أشعر أنني بخير، مع أنني أصبحت هادئاً، هادئاً تقريباً، كما لم أكن يوما منذ سنوات، وعلى الرغم ومن أنني أسعل سعالاً سيئاً لمدة ربع ساعة يومياً، وهذه الفترة تزيد في الليل، أتوقع أن السبب أنني ما زلت أعتاد هواء براغ، فهذه عاقبة الوقت الفوضوي الذي قضيته في ميران، قبل أن أعرفك، قبل أن أنظر في عينيك.

كم أصبحت فيينا مظلمة بعد أربعة أيام مشمسة، ما الذي يشتتني من هناك وأنا جالس هنا، سأكف عن الكتابة لأضع وجهي بين راحتي.

ف

ثم نظرت إلى المطر وأنا جالس على أريكتي من خلال الشباك المفتوح، لأفكر بعدد من الاحتمالات: إما أن تكوني مريضة، متعبة في السرير، أو أن «السيدة كوهلر» يمكنها أن تقف بيننا بغرابة، أجد هذا الاحتمال أكثر منطقية، أما أكثرها روعة هو أن أفتح الباب وأجدك واقفة أمامه.

---

(15)

(براغ،12 يوليو 1920م)

الاثنين

مضى اليومان الماضيان بفظاعة، هذا أقل ما يمكن أن أقوله، أدرك الآن أنها لم تكن غلطتك على الإطلاق، فلقد كان شيطان لئيم يؤخر وصول رسائلك إلي منذ يوم الخميس، وصلتني يوم الجمعة برقية فقط، لا شيء يوم السبت ولا يوم الأحد، واليوم استلمت أربع رسائل، من الجمعة والسبت والأحد. أشعر بتعب شديد للكتابة، أحاول أن أستجمع ما تبقى من قواي بعد قراءة رسائلك، بعد جبل من اليأس، والمعاناة، والحب. يكون المرء أنانياً جداً عندما يكون متعباً، وقد استهلك قواه في يومين وليلتين سابقتين وهو يفكر بأشنع الأفكار، لكن ميلينا، أنت تبدين كأنك قوة مانحة للحياة، وها أنا أقل فزعا مما كنت عليه في السنوات السبع الماضية، باستثناء تلك السنة التي قضيتها في الريف.

ومع ذلك مازلت مستغرباً كيف أنني لم استلم بعد رداً على تلك البرقية المستعجلة منذ مساء الخميس الماضي، ثم تواصلت مع السيدة «كوهلر» ومازال لا رد منها، لا تخافي من حقيقة أنني سأراسل زوجك، فلا

رغبة شديدة لي بذلك، فكل ما أرغب به هو أن أذهب إلى فيينا، ولكني لن أفعل ذلك أيضاً، ولا أهتم لاعتراضك على ذلك، فمشكلة تأشيرة السفر، العمل، والسعال، وزواج أختي يوم الخميس. يبدو لي السفر إلى فيينا أفضل من أقضي أيامي كما فعلت ظهيرة السبت والأحد. في يوم السبت «تمشيت قليلاً مع عمي، وبعد ذلك مع «ماكس»، وكنت كل ساعتين أهرع إلى المكتب أبحث عن رسائل، كانت الأحوال تبدو أفضل في المساء، ذهبت إلى لورين، ولم يكن قد سمع أن سوءاً قد حصل لك، ثم ذكر رسالتك -وأسعدني ذلك جداً- ثم اتصل بـ «كيش»، والذي أكد أنه لم يسمع شيئاً عنك أيضاً، وقال إنه سيسأل -وليس زوجك بالطبع- عن أحوالك، ثم سيتصل بي مساء اليوم. كان الكلام معه سهلاً وليس مفرحاً، يخال لك أنه طفل، كطفل غير بالغ، فهو يتباهى ويكذب، فيبدو أبلهاً كطفل، كما يشعر المرء من حديثه بلؤم، وعدم إخلاص، يشعر المرء بذلك وهو يستمع له بهدوء، ولكنه ليس بطفل، ففي نفس الوقت له خصال البالغ العاقل فهو شخص كريم، ويحب المساعدة، كيف للمرء أن يجمع كل هذه الخصال معاً، فكل ما كنت أردده «مرة أخرى، أريد سماع اسمها مرة أخرى» وإلا كنت قد رحلت منذ زمن، كما أنه تحدث عن زفافه يوم الثلاثاء.

على الهامش: لم تفهمي كلامي جيدا بخصوص «المستوى»، سأشرح لك ذلك لاحقاً.

أما يوم الأحد فقد كان أسوأ: كنت أنوي أن أذهب إلى الجنازة، وكان ذلك ما يجب أن أفعله، لكني بدلاً من ذلك قضيت فترة الصباح في الفراش، وفي فترة الظهيرة اضطررت أن أذهب إلى أهل زوج أختي ولم أزرهم مسبقاً، وبالساعة السادسة ذهبت إلى مكتب البريد لأسأل عن وصول البرقية المستعجلة، لكن لا شيء، ماذا عن الآن؟، أبحث فيما

سيعرض على المسرح، حيث أن «جلفيسكي» كان قد ذكر أن «ستيسا» ستذهب إلى الأوبرا يوم الاثنين، ثم قرأت أنها ستعرض الساعة السادسة، لكن في السادسة لدي موعد، ذلك سيء. ماذا الآن، سأذهب لأتفقد ذلك المنزل في ممر الفاكهة، فلا يوجد به أحد، لا أحد يدخله ولا أحد يخرج منه، عندما تقفين مقابل المنزل تراقبينه. تبدو تلك المنازل أكثر حكمة من أولئك الناس الذين يراقبونها، أما الآن، في مبنى لوسيرنا حيث اعتاد الناس حضور معرض «دوبري ديلو»، لم يكن هنالك معرض، وبذلك سأتوجه إلى منزل «ستيسا» هذا قرار سهل فأنا أعلم تماماً أنها ليست بالمنزل، ذلك المنزل الهادئ المسالم، ببستانه الخلفي الجميل، ولأنهم يضعون فوق الباب قفلاً، أستطيع أن أرن الجرس كما أشاء غير خائف من عقابها، وفي باب المبنى جرت محادثة قصيرة بيني وبين الحارس، فقط لأنه يريدني أن أنطق كلمتي «ليبسيك» و«جيلوفسكي»، لكن للأسف لم يكن بإمكاني أن أقول اسمك «ميلينا»، والآن، إنه لأغبى ما قد يكون، ذهبت إلى قهوة أركو، والذي لم أذهب إليه منذ سنوات، فقط محاولة مني لأجد شخصا يعرفك، لكن للأسف، لم أجد أحداً، فغادرت على الفور، لا أود تكرار يوم الأحد هذا ميلينا!

على الهامش: أشكرك جداً على تلك الصور، لكن جارميلا لا تشبهك إطلاقا، ربما تشبهك بذلك الرونق المضيء الذي يغطي وجهها كوجهك.

على الهامش: لم أستطع البارحة أن اكتب أي شيء لقد كانت ليلة فيينا قاتمة جداً بالنسبة لي .

(17)

(براغ،13 يوليو 1920م)

الثلاثاء، بعد ذلك بقليل

كم تبدين متعبة في رسالة مساء السبت، هنالك الكثير مما أود قوله عن تلك الرسالة، لكني لن أقوله لشخص بمثل تعبك، أنا متعب أيضاً، بصراحة أشعر لأول مرة منذ أن كنت بفيينا بألم وإرهاق شديدين برأسي. لن أخبرك الكثير، بل سأجلسك بذلك الكرسي ذي المساند، «تقولين إنك لم تفعلي لي الكثير، لكن هل هنالك أجمل من أن تبقي معي، والسماح لي بأن أجلس مقابلك» إذن ها أنا ذا أجلسك في مقعدك، لأنال القليل من تلك السعادة، بالكلمات والعيون، والأيدي وبقلبي المسكين، سعادة كونك هنا معي وأنك لي. فبالحقيقة ليست أنت من أحبك، فانا أحب الوجود الذي أعطيتنيه.

لن أتحدث عن «لورين» اليوم، ولا عن الفتاة، فذلك سيأخذ وقتاً، وكم يبدو بعيداً.

ف

ما تقولينه عن كتاب «عازف الكمان الصغير» صحيح جداً، وعندما قلت أنها لا تعني الكثير لي، كنت أحاول أن أكون حذراً، حيث لم أكن متأكداً إن كان سيعجبك، كما أنني كنت خجلاً من القصة، مع أنني كتبتها بنفسي فقد شعرت أن بدايتها خاطئة، ولأنها تحتوي أخطاء، بعض الفقرات الغريبة والمتكلفة، ومن وحي الخيال، (وهو سهل ملاحظته حين تقرئينها بصوت عال، ويمكنني أن أنبهك إلى تلك الفقرات)، فذلك النوع من التمارين الموسيقية هو اختراع غريب، وذلك كاف ليجعل الفتاة (والعالم

أجمع بمن فيهم أنا) غاضبين بشدة، لتقذف بكل شيء تجده في محلها على هذه القصة، إلى أن تمزقها إلى أشلاء حتى تعود إلى أفكارها الأولى، وهذا يجب الاعتراف به، فليس هناك أجمل نهاية من أن تختفي القصة، وبهذه الطريقة تحديداً. فالراوي والمحلل النفسي، سيوافقان على ذلك، فهو نفسه «عازف الكمان»، يعزف هذه القصة بتلك الطريقة الموسيقية الناشزة، لينال الثناء المبالغ فيه، من دموع عينيك.

(براغ،13 يوليو 1920م)

الثلاثاء، بعد ذلك بقليل

استلمت الآن برقيتين،أفهم أن هناك رسائل من «جارميلا» ، لم تسألي عن بريد «كارمر» ولا بأس بذلك، وكما أنك يجب ألا تخافي إطلاقاً، فلن أتصرف شيئاً بها يخصني إلا بموافقتك. لكن المسألة الأساسية هي أنني بعد ليلة مؤرقة طويلة، أجلس الآن مع رسالتك التي تبدو مهمة جداً، فلا أجد أي رسالة من الرسائل التي أرسلتها لك من براغ تحوي ما هو مهم، ولا حتى آخر رسالة أرسلتها لك، هذه هي الرسالة الوحيدة التي لها الحق أن تكتب. للأسف لا أستطيع أن أقول لك ولا حتى جزءاً صغيرا مما قلته لـ ستيسا البارحة، ولا حتى ما قلته لك البارحة مساءً واليوم صباحاً، فلا أي شخص كان (ابتداءً من لورين ثم ستيسا ولا غيرهما ممن لا أعرفه والذين يصطفون حولك) ممن يدعون الحكمة يهم رأيهم بك، فأجد فيهم من البلاهة -الحيوانات لا يملكون ذلك القدر من البلاهة- والطيبة الشيطانية، قاتلي الحب. أعلم تماماً ميلينا أنك كنتِ قراري الصائب حتى آخر أيام

عمري، فسواء بقيتِ في فيينا أو تخبطتِ بين براغ وفيينا، أو لم تختاري فعل أي منهما. فماذا ستكون مكانتي في هذا العالم إن كنت لا أعرف ماذا أفعل معك؟ فلا مكان في هذا البحر العميق يخضع لذلك الضغط الهائل. فكل ما هو في هذه الحياة يقرفني. فقد كنت أظن أنني لن أحتمل العيش، لم أحتمل الناس حولي، كما كنت أخجل من نفسي كثيراً، حتى ظهرت أنت وأريتني أن حياتي لم تكن غير محتملة كما كنت أظن.

ستيسا شخص سيء، آسف لقول ذلك، فلقد كتبت لك البارحة عنها لكني لم أستطع أن أرسل لك تلك الرسالة. فكنت تقولين أنها طيبة، دافئة، جميلة، ممشوقة، لكنها سيئة، فقد كانت يوماً صديقتك التي ترين في عينها النور الهادئ، لكن نورها انطفأ خوفاً. فالمرء يرتعد منها كما يرتعد من سقوط الملائكة، لا أعرف ما حدث لها، فهي تبدو متعبة وميتة، لكنها لا تعرف ذلك. فكلما أردت أن أتخيل جهنم أتخيلها هي وزوجها، وأكرر هذه الجملة وأسناني ترجف من الخوف «سامحيني ميلينا، أيها العزيزة ميلينا، سامحيني، فهذه هي الطريقة الوحيدة».

على الهامش: أنا ممتن جداً على خطة شيكاجو، فمن لا ينضم إلى الجيش يمكن أن يتوظف.

طبعا كنت قد قضيت ثلاثي أرباع الساعة في شقتها، ومن ثم ذهبت إلى المسرح الألماني، لقد كنت أبدو محبا، أتكلم باندفاع، وواثق من نفسي، فلقد كانت تلك فرصتي لنتحدث عنك، وهذا ما جعل وجهها الحقيقي مختبئ عني، يا له من جبين حجري ذلك الذي تملكه، ويا لهذه التجاعيد الخفيفة التي تقول «أنا ميتة أكره كل من هو ليس بميت» لكنها حاولت أن تبدو ودودة، وتحدثنا عن إمكانية الذهاب إلى فيينا، لكني لم أستطع أن أقنع نفسي أنه يفضل لها الذهاب إلى هناك، أقله من أجلها».

وفي المساء ذهبت لرؤية لورين، ولكنه لم يكن في مكتب التحرير -كنت قد تأخرت- فأمضيت وقتي أتحدث مع رجل أعرفه منذ زمن، جلسنا على الكنبة حيث تمدد رينيه منذ عدد من الأشهر، لقد كان الرجل معه منذ مساء البارحة وأخبري شيئاً أو اثنين.

لقد كان اليوم ثقيلاً علي، لم أستطع النوم بسببه، كما أن أختي قد قدمت هي وزوجها وطفلها من ميرانباد ليومين -لتقابل عمنا الإسباني- وأصبحت الشقة مزدحمة -مع أنني أقول ذلك فلا بد لي يوما أن أكفائهم على طيبتهم معي- لقد تركوا الغرفة لي وحدي، فأخذوا أحد السريرين وقسموا أنفسهم على باقي الغرف غير النظيفة، كما أعطوني الحمام، ليصبح استحمامهم في المطبخ، الخ.. نعم إنني بخير.

لك

بطريقة ما لا أتفق كثيرا مع هذه الرسالة، فهذه هي بقايا مكثفة مترددة لأمور أعتبرها خاصة جداً.



(براغ،14 يوليو 1920م)

الأربعاء،

كتبتِ لي «نعم أنت محق، أنا أحبه، لكن يا «ف» أنا أحبك أنت أيضاً» قرأت هذه الجملة بالتحديد، كما كنت كتبتها - فأنت على حق، فكيف لك أن تكوني ميلينا إن لم تكوني على صواب، وماذا يمكن أن أكون أنا أيضاً إن لم تكوني كذلك ، فمن الأفضل لك أن تكتبيها من فيينا بدلا أن تقوليها في

براغ، كل هذا أفهمه، ولربما أكثر منك، لكن بسبب ضعفي لا أستطيع تخطي هذه الجملة، ولهذا سأقوم بإعادة صياغتها لنقرأها سوياً، وجسدانا متقابلان -وشعرك يغطي جسدي- .

كنت قد كتبتِ هذه الرسالة عندما وصلتني تلك الرسالتان المكتوبتان بالقلم الرصاص، وهل تصدقين أنني لم أكن أعرف أنني سأستلمهما، لكنني كنت أعرف عنهما في داخلي، فنحن لا نعيش هناك، ونفضل العيش على الأرض، حيث تتجسد الحياة بكل مرارتها، لا أعرف لما أنت دائما خائفة بأنه يمكن أن أفعل شيئا بنفسي، ألا أكتب لك كفاية عن ذلك، والسبب الوحيد لاتصالي بـ «السيدة كولير» هو أنني لم أستلم ردك على تلك البرقية المستعجلة، ولا حتى خبر واحد لمدة ثلاثة أيام، ولتزيد الأمور سوءا كان جل ما فكرت به أنك مريضة.

ذهبت لزيارة طبيبي البارحة، لقد وجدني بنفس الهيئة التي كنت عليها مسبقا في ميران، لقد مرت تلك الأشهر الثلاث بصعوبة لتترك آثارها على رئتي، يبدو أن المرض على أعلى رئتي اليسرى وكأنه جديد كما لم يكن من قبل، يعتقد الطبيب أن هذه النتيجة سيئة، لكن بالنسبة لي أعتقدها جيدة، فكيف كان سيكون شكلي لو قضيتها في براغ، كما أنه يقول إنني لم أزد أي كيلوغرام، بينما وعلى حسب حساباتي فقد زدت 3 كيلوغرامات، وسوف يقوم الطبيب بإعطائي حقنات في الخريف، لكن لا أظنني سأحتمل ذلك.

عندما أقارن هذه النتائج بنتائجك التي تصفينها لي -ولأن ليس لك بأمرك حيلة، وهذه إضافة لا داعي لها- فبدلاً من أن نقضي حياتنا معاً، فبإمكاننا أن نستلقي بجانب بعضنا مرتاحين، مستعدين للموت، فهما كانت النتيجة فيرضيني أنني بقربك.

وبالمناسبة، أنا أعلم -وكما يعتقد الطبيب أيضاً- أنني أحتاج إلى الهدوء والسكينة لأشفى إلى حد ما، أو كما أعتقد فأنا بحاجة إلى نوع آخر من القلق.

بشكل عام أنا سعيد لما قلته عن رسالة ستيسا، فهي تعتقد أن وضعك الحالي محتوم عليك، -كما يعتقد والدك- وهذا بالنسبة لي سبب كاف لكرهه، وأنا أحبه إلى حد ما. وبخصوص موضوعنا فقد قالت أغبى ما يمكن أن يقال، حتى لو قيد المرء وبشدة، فيجب عليها ألا تقيد نفسها إطلاقاً، لكن تلك الكلمات خرجت من بين تلك الشفتين الجميلتين. وطبعاً -يجب ألا يُغفَل هذا- وكما يمكن للحب أن يحب فهي تمد يدها لتطمئنك حتى لو كان ذلك من قبرها.

إنه يوم قومي فرنسي: بالنظر للأسفل من النافذة، نجد استعراض القوات المسلحة، فلها -أحس بها كما أحسُّ عند قراءة رسائلك- عظمة، ليس هو المرأة ولا الموسيقى، ولا تلك الخطوات العسكرية، ولا ذلك المظهر الذي يبدو به الرجل الفرنسي، وكأنه خارج من قالب شمع ألماني، في سرواله الأحمر وسترته الزرقاء، وهو يقود فرقته، تحسين بمظهر قوة ينادي من الأعماق «أيتها المخلوقات الصماء، -التي يبدو من مشيتها وكأنها ذاهبة إلى العبودية-، لن نتخلى عنك مهما ازدادت حماقتك، بل لن نتخلى عنك أيتها الحمقاء أبداً» ينظر المرء إليها وكأنه غارق فيها، لكنني بدلاً من ذلك أكون غارقاً بك.

أحضروا لي الملفات التي كانت تنتظر عودتي، فمنذ عودتي كتبت فقط ست رسائل عمل، ولم يتململوا مني، وهو ما يرضيني حقا فلم أستطع أن أبدأ العمل حتى اليوم، بسبب ذلك الكسل الذي يسود المكتب،

لأجد هذا العبء المتراكم ينتظرني، لكن هذا هو عملي فما بيدي حيلة. لم يكن شيء من هذه الأمور قد حرمني نومي، ومع ذلك مازلت أشعر بالسوء إلى حد ما.

ف

(براغ،15 يوليو 1920م)

الخميس

باختصار قبل أن أذهب إلى عملي، لم أكن أرغب في أن أتحدث عنه، على الأقل ليس الآن وأنتِ تمرين بهذه الفترة الحرجة، -صدمتني لمدة ثلاث أيام- وكيف لي ألا أنصدم، هل انتبهت أنني لم أنم لعدد من الليالي!، إن السبب ببساطة هو الخوف، إنه أقوى مني، إنه يؤرجحني ما عدت أعرف يميني من شمالي، لقد بدأ الأمر بستيسا، بدأ الأمر منذ قالت: «تخل عن كل الآمال بأن تكون معها» وبالإضافة إلى ذكرك ثلاثة أو أربعة أمور في رسالتك أسعدتني، وحتى لو كنت سعيداً بيأس، فقد كان ما ذكرته مقنعاً للعقل، والقلب والجسد. كما أنني أشعر بإحساس عميق -لا أدري مكانه بالضبط- والذي يبدو أنه لن يقتنع بشيء. إنه يضعفني حقاً، ذلك الهدوء واللاهدوء الذي لا يفسره الجسد يتخبط بي منذ أيام، يا ليتك كنت هنا الآن، فأنا لا أحد لي، لا أحد عدا الخوف، نشق الليالي معاً ماسكين بيدي بعضنا. إن الخوف لأمر جدي، ~~والذي هو قريب كفاية ليقودنا إلى المستقبل، لا ذلك ليس صحيحا~~، وكذلك فجزء منه يقودني دوماً إلى إدراك ويجب أن أعترف بذلك، -وهذا اعتراف عظيم- أن ميلينا هي من البشر،

ما تقولينه عن هذا شيء جميل وطيب، منذ سمعته لم أشأ أن أسمع شيئا آخر بعده، ومع ذلك، فالأوتاد ليست بذلك العلو، وهذا مؤكد. فأخيرا هذا ليس هو خوفي الوحيد، وإنما هو خوف متأصل منذ الأمد البعيد.

مجرد أن أكتب لك يهدأ عقلي.

لك

(براغ،15 يوليو 1920م)

الخميس، بعد قليل

رسالة المساء من «ويسيير هان» ورسالة الاثنين قد وصلتا، والرسالة الأولى يبدو أنها رسالتك الأخيرة، لكنها ليست واضحة جداً، لقد قرأتها مرة واحدة قراءة سريعة، والآن يجب أن أرد عليكِ مباشرة، وأن أطلب منك ألا تفكري بي بسوء، ما كتبته ستيسا كان فارغاً، مقرفاً، بلا إحساس، فكيف تظنين أنه يمكنني أن أفكر أنها على حق؟ كم تبعد فيينا عن براغ لتفكري بمثل هذا، وكم يبدو الكذب فيها حين تقول إنها قريبة من الغابة، منذ متى كان ذلك؟. هذه ليست سوى لعبة تتوسطينها، لأنني أريد أن أنتزعك من كل جانب، وهذا يبدو من الغيرة ولهذا سأتوقف عن ذلك، إنها أفكار تحضرني بسبب وحدتي، كما أنك تفكرين خطأً بماكس، فبالأمس أوصلت له تحياتك، وانزعاجك -انظري إلى الأعلى- لأنني دائما أوصل تحياتك له، هو شخص يتمتع بالقدرة على تحليل كل شيء، فهو يعتقد أنك ترسلين تحياتك له باستمرار لأنني لا أوصل تحياته الحارة لك، فالمشكلة

بالوقت، فكان يجب أن أوصلها، ومن ثم كنت ستتوقفين عن ذلك، وأنا أعود إلى ثقتي بنفسي، ربما يكون ذلك صحيحا، وها أنا سأجرب ذلك.

لا تقلقي بخصوصي، ميلينا، فآخر ما نرغبه أن تقلقي بشأني، فإن لم يكن سببها الخوف الذي يتملكني منذ أيام، والذي شكوت لك عنه بالصباح، فأنا على الأرجح بحال جيدة. وبالمناسبة، لم قلتِ لي ونحن في الغابة أنك لم تتصوري ذلك بصورة مختلفة؟ حينها بالغابة، في اليوم الثاني، فأنا أفرق بين الأيام جيدا، فالأول لم يكن مؤكداً أما الثاني فقد كان مؤكداً جداً، واليوم الثالث كان مليئا بالندم أما الرابع فكان الأفضل.

سأرسل مباشرة إلى «السيدة كولير» 100 كرون شيكي، 100 كرون أسترالي، وهذا كل ما أملك في هذه اللحظة، فالمرة الأخرى سيكون الوضع أفضل لو عرفتِ طريقة أخرى غير البريد المسجل، فعلى سبيل المثال، يمكن تحويل المال عن طريق البريد المركزي، ولكن لا يمكن إلا أن أكتب اسمك الحقيقي فيه. وبما يخص ذلك لم تعتقدين أن بإمكانك استعارة المال من والدك أو من لورين وليس مني؟ فبجميع الأحوال ذلك ليس مهم حقاً، فلا تظني أنك تطلبين الكثير، أما بالنسبة لجارميلا هل هي قادمة؟

أما الآن يجب أن أذهب إلى حفل زفاف أختي -بالمناسبة لم أنا بشري- فمع كل هذه الأخطار وهذا المسؤوليات الكثيرة فوضعي شيء غامض، لم أكن كذلك؟ فهذه الخزانة سعيدة بغرفتك، تنظر إليك بكل وضوح وأنت جالسة على كرسيك، أو مستلقية أو نائمة (تنامين بكل سلام)، لم لا أكون مثلها؟ لربما لأنني قد أتكسر من الحسرة إذا كنت رأيت مأساتك في هذه الأيام، فبكل حال يجب أن تغادري فيينا.

ف

شيء مطمئن معرفة أنك ستستلمين جواز سفرك قريباً، عنوان ماكس هو : براغ V، يوفرجيس 8، ولكن بسبب زوجته لا أظن أنه يفضل أن تراسليه على ذلك العنوان، لديه عنوانان آخران، وبسبب زوجته ولمصلحته راسليه على عنواني أو عنوان: د. فليكس ولتش، جامعة ببلوثك.

(براغ،15 يوليو 1920م)

الخميس

وضعت نبتة «الآس-المرسين» في عروة سترتي، بدوت بهياً على الرغم من ألم رأسي، (الفراق، الفراق) استطعت أن أمضي بالزفاف جالساً بين أختي زوج أختي الطيبتين، لكني منهك الآن.

عدا عن غبار رجل منهك، كما أدركت في مكتب البريد، فالرسائل المسجلة يجب أن تكون غير مختومة، هذه ليست فكرة جيدة، بما يخص المال، يجب أن أرسلها بطريقة أخرى -فلو كانت بالبريد العادي- على الأقل أستطيع أن أرسلها لك مباشرة. لكني كنت أقف هنالك ومعي الظرف، قررت إعطاءها إلى السيدة كولير لتسلمها لك، أتمنى أن تصلك.

يا لها من حياة سهلة سنعيشها معاً، -كم من أنا أبله لأكتب عن ذلك- سؤال وجواب، لمحة فلمحة، والآن يجب أن انتظر إلى يوم الاثنين لاستلم ردك على رسالتي صباح اليوم، افهميني جيداً وأحسني التفكير بي.

ف

(براغ،16 يوليو 1920م)

الجمعة

أود النظر في عينيك، لأريك قوة إرادتي، لأنتظر قبل أن أراسلك، يجب أن أنهي التقارير. الغرفة تبدو فارغة، فلا أحد يهتم بي، يبدو وكأن شخصاً يقول «اتركوه وحيداً، ألا ترون كيف أنه غارق في علاقته الغرامية، وكأن هنالك قبضة في فمه»، ولهذا كتبت نصف صفحة من التقرير، وها أنا أراسلك مرة أخرى مستلقياً بجانب رسالتي كما كنت مستلقيا بجانبك في الغابة.

لم أستلم رسالة اليوم، لكن ذلك لا يخيفني، ميلينا أرجوك لا تفهميني خطأً، أنا لست خائفاً عليكِ، مع أن في بعض الأحيان أشعر أن ذلك ما يجب أن يحدث، وأشعر بذلك أحيانا بسبب ضعفي، وخواطر القلب، فهي التي تعرف لم تخفق أساساً. يا لضعفي العظيم! أعتقد أن هرقل فقد وعيه مرة، ومع اصطكاك أسناني،حين تكون عيناك مقابلي أستطيع تحمل أي شيء، البعد، القلق، التعب، وتأخر الرسائل.

وكما أشعر بالعادة، تجعلينني فرحاً، أتى عميل-تخيلي- لدي عملاء أيضاً، قاطع الرجل كتابتي، عجبت حينها، وجهه المبتسم الطيب البدين والذي يبدو صحيحاً كم هو وجه الألمان من ريتش، لقد كان لبقاً كفاية ليطلق بعض النكات عن الأعمال، ومع ذلك فقد قاطعني، ولهذا لم أستطع أن أغفر له، وفوق ذلك أجبرت على القيام لأرافقه إلى أقسام أخرى، وكل ذلك كان كثيراً ليفرق بيننا محبوبتي، فعندما كنت أهم بالوقوف وصلتني رسالتك، وفتحتها وأنا أصعد الدرج -يا لهي- تحتوي صورة بداخلها، وهو شيء يفوق الخيال، وهذا ما يجعلها تكفيني العام كله، والى الأبد وهذا شيء جيد، لا يوجد ما هو أفضل من ذلك، الصورة الرائعة، لم أكن لأستطيع أن أمسك دموعي، وأهدئ خفقات قلبي، لا حل لذلك.

ومع ذلك مازال هذا الغريب يجلس على مكتبي.

ولأكمل ما كنت أرويه لك مسبقا، فبوجودك في قلبي أتمكن من تحمل كل شيء، ومع أنني أكتب لك ذلك فتلك الأيام من غير رسائل كانت مرعبة، لا ذلك ليس صحيحا، كانت صعبة جداً، -كان القارب ثقيلا، كان أن يقارب على الغرق بعيداً، لكن وجودك جعله خفيفا ليجتاز البحار، شيء وحيد لا يمكنني أن أتخطاه دون مساعدتك يا ميلينا، الخوف، فأنا أضعف منه، إنه هائل يحجب رؤيتي، ففيضانه قوي يجرفني بعيداً.

ما قلته عن جارميلا ما هو إلا قول من قلب ضعيف،لقد توقف قلبك من صدقه معي للحظة، وذلك عندما أخرج مثل هذه الفكرة إلى رأسك. وحتى اللحظة تبدوان كشخصين مختلفين، وهل خوفي يختلف كثيراً عن الخوف من الأذى النفسي.

لقد قوطعت مرة أخرى، يبدو أنني لن أكمل رسالتي في المكتب.

تلك الرسالة الطويلة التي وعدتني بها كانت على وشك أن تخيفني، فلو لم تكن مكتوبة لتطمئنني؟ إذن ما الهدف منها؟

أعلميني حين تستلمين المال، فلو ضاعت في طريقها إليك سأرسل غيرها القليل، وإذا ضاعت تلك أيضاً، سأرسل غيرها أيضاً، وهذا ما سيحصل كل مرة، إلى أن تنتهي كل أموالي، وعندها فقط ستكون الأمور كما يجب أن تكون.

ف

لم أستلم الأزهار، هل ظننتِ أني لا أستحقها!.

(براغ،17 يوليو 1920م)

السبت

لقد عرفت ما ستحويه رسالتك، لقد كانت هنالك شخبطات في خلف رسائلك كلها، في عينيك - فما يمكن لهما أن يخفيا؟ ففي بعض الخربشات عرفت ما المضمون، بدت كشخص مختبئ خلف الملجأ، يخيم عليه حلم مخيف، فمن لا يفتح النوافذ بالليل، ولا يرى ما يلهمه؟ -لقد فهمت كل شيء- حتى الآن يبدو كظلام جميل، فيوضح كيف أنك تعاقبين نفسك، وتتلوين فكيف لك الخلاص؟ -فهيا نبدأ اللعبة بالبارود- وكيف لك ألا تفعلي؟ أراك جيداً من دون القدرة على أن أقول لك «ابقي مكانك، ولكن بدلا من ذلك أقول العكس، أقف بجانبك أنظر في عينيك المسكينتين الجميلتين، (فالصورة التي أرسلتها رائعة جداً، كم يعذبني أن أنظر إليها، عذاب يظهر 100 مرة يومياً، -للأسف-،فبامتلاكها أشعر أنني بقوة 10 رجال»، أنا قوي من الداخل، كما كتبتِ أنت، أنا أجبن عند بعض الأشياء التي لا قيمة لها، ومن جهة أخرى هذه القوة ليست عظيمة جداً، كما تبدو في كتابتي الآن، فأنا أنجرف في حزن وحب يمنعني من الكتابة.

ف

(براغ،18 يوليو 1920م)

الأحد

بالعودة إلى موضوع البارحة،

بما يخص رسالتك، أحاول النظر إلى الموضوع من وجهة نظر كنت قد تجنبتها قبل الآن، من نظرة الملائكة الغريبة: أنا لا أصارع زوجك عليك،

فالصراع موجود في داخلك، فلو كان قرارك عائداً لمعركة أخوضها ضد زوجك، فكل شيء كان قد حزم أمره منذ مدة، أنا لا أنقص من قدر زوجك ليس بالضرورة، -حتى لو بدا أنني كذلك- لكن هذا ما أعرفه: فلو كان يحبني، فهو حب رجل غني للفقراء، (وهذا ما يبدو أحيانا بعلاقتك معي) ففي جو حياتك معه أبدو كفأر في منزل كبير، يسمح له أن يجري بحرية فوق السجاد العتيق مرة بالسنة. هذا هو الأمر، ولا شيء غريب فيه، أنا لست متفاجئاً، ولكن ما يفاجئني، وهذا ما لا يمكن شرحه فعلاً، هو أنك أنت التي تعيشين في هذا البيت الكبير، فأنت التي تتصرفين بناءً على أحاسيسك، فأنت من تصارعين في حياتك، أنت من توجت فيه كملكة، فهذا هو الاحتمال الأقل لك -وأنا متأكد من ذلك- (أنا لن أتوقف -لن أفعل- لن أفعل). لكن ذلك ليس هو فعلاً ما يفاجئني، والذي هو واضح في حال قررت أن تأتي عندي، فلو أردت أن تتخلي عن العالم كله، -لحاكم موسيقي- لتنحدري معي، إلى أدنى توقعات فإن ذلك لن يكون غير محتمل فقط وإنما سيكون نهائياً، على كل حال لو أردت أن تأتي عندي، لن تحتاجي إلى أن تتسلقي للأسفل، (غريب - يكفي غرابة) فكل ما عليك هو أن تفهمي نفسك، أن تفوقي توقعاتك لتتحولي إلى شخص خارق فستتمزقين، أو تغرقين أو تختفين (معي خلالها)، وذلك فقط لكي تحظي بمكان معي بعيداً عن الجاذبية، حيث أجلس أنا بسعادة - بلا سعادة، من دون ندم، فببساطة هذا موقعي. ففي سلم الرجولة فأنا كصاحب محل في الضواحي كما قبل الحرب (لست بعابث أبداً ليس كذلك) حتى لو كنت قد قاتلت وعانيت من أجل أن أصل إلى هذا الموقع، -وأنا لم أفعل- فلن يكون ذلك بالإنجاز العظيم.

ما كتبته عن الجذور واضح جداً وصحيح، بجميع الأحوال، في «تورناو» أول مهمة تتضمن بتحديد كل الجذور الثانوية وإزالتها، فعندما

تظهر الجذور الأولية يكون العمل الأولي قد تم. وتمزق باقي الأشياء بضربة واحدة تعيدها إلى حقيقتها، ما زلت أسمع كيف بدا صوت تصدعها، طبعاً كان من الأسهل تمزيقها، لمن يعرف أنها شجرة ستزرع في مكان آخر، ولكنها لم تكن شجرة بعد، فقد بدت طفلاً صغيراً.

على العموم لا رغبة لي بالتحدث مع جارميلا، إلا إن كان هنالك سبب مهم بالنسبة لك. فعندها فقط سأذهب إليها على الفور.

تحدثت البارحة مع لورين مرة أخرى، كنا على اتفاق جيد كما بدا لي، يمتلك صفات مميزة، يبدو بأفضل حال حين يتحدث عنك، نعم إنه رجل جيد في أعماقه، ماذا قال لي؟ لقد كنت معه مرتين وبالمرتين قال نفس القصة بتفاصيل قليلة. فتاة خطبت لشخص آخر تأتي لزيارتهم لمدة 8 إلى 10 ساعات، ناهيك عما ينفر بحديثه (فتاة في شقته صباحاً، وأخرى في مكتبه مساءً، وهكذا يظهر أنه يقضي وقت صحوته)، تشرح له الفتاة أنها يجب أن تحصل عليه وإلا فإنها سترمي بنفسها من الشباك إذا رفض، يرفض طلبها لكنه يترك الشباك مفتوحاً دائماً، وبالحقيقة، لم يقفز أحد، لكن شيئاً فظيعاً حصل، تدخل الفتاة في نوبة من الصراخ، أما الأخرى فلا أذكر قصتها. لكن الآن من هما الفتاتان، الأولى كانت جارميلا قبل زفافها، والثانية هي زوجته يوم الثلاثاء، (عادة يتحدث عنها بلباقة -لكن ليس بوقتها- حيث تحدث بلباقة أقل) أنا لا أفترض أن ذلك لم يحدث بالشكل الذي وصفه، لكني لا أعرف لما ذلك ممل هكذا. للحظة كانت هناك لحظة طريفة وهو يتحدث عن خطيبته، لسنتين عانى والدها من الكآبة، وكانت تعتني به، كان يجب ترك نافذة غرفته مفتوحة على الدوام، لكنها كانت تغلقها للحظة حين مرور سيارة بالخارج، حيث لم يكن والدها يحتمل الضجة، رأت الفتاة

أن النافذة مغلقة، عندما روى لورين القصة قال: «فكر فحسب، مؤرخة الفن» (وهي كذلك).

لقد أراني صورتها، جميلة، كئيبة، بوجهها لمحة يهودية، أنف أفطس، عينان ثقيلتان، يدان طويلتان ممشوقتان، فستانها يبدو باهظ الثمن.

سألت عن الفتاة، ليس عندي أخبار جديدة عنها، لم أرها منذ أعطتني رسالتها الموجهة لك، صحيح أنني كنت موعوداً معها، لكن ذلك كان عندما وصلتني رسالتك عن حديثك مع زوجك، لم أشعر أنني قادر على الحديث معها، فألغيت الموعد لسبب حقيقي لطيف. وبعد ذلك أرسلت لها ملاحظة أخرى ويبدو أنها فهمتها خطأً، حيث أرسلت لي رسالة تعليمية، أمومية، (حيث طلبت مني عنوان زوجك وبعض الأمور الأخرى) وأجبتها عن ذلك برسالة بريدية شفوية، وقد مضى أسبوع على ذلك، ولم أسمع منها شيئا منذ يومها، ومازلت لا أعرف ما كتبت لها، وكيف أثرت بها.

على الهامش: أعرف جوابك، لكن أود رؤيته كتابة.

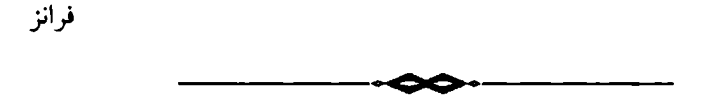
تقولين إنك ستحضرين إلى براغ الشهر القادم، أشعر وكأنني سأقول «لا تأتي، اتركي لي الأمل بأنك ستحضرين مباشرة إذا كنت بحاجة عاجلة لذلك أو طلبت منك ذلك» يبدو أنه من الأفضل ألا تأتي الآن حيث أنك ستغادرين مجدداً.

وعن تلك المتسولة، لم يكن هناك من خير أو سوء فيما فعلت، فلقد كنت محبوساً ومنجرفاً لسبب واحد، فتصرفاتي تنعكس من ذكريات براغ، وذكرى واحدة تقول مباشرة: «لا تعطِ المتسولين المال الكثير، فستندم لاحقاً» عندما كنت فتى صغيراً، كان معي (مبلغ من المال) Sechserl، وكنت أرغب بإعطائه بشدة للمتسولة التي كانت تجلس بين ساحتي

«جروسير» و«كلينر»، لكن المبلغ بدا لي هائلا حينها، أكبر مما قد يعطى للمتسولين، خجلت من أن أفعل شيئا يخجلني أمام المتسولة، ومع ذلك شعرت بأنني يجب أن أعطيها إياها، فأبدلت الـ Sechserl وأعطيتها كروزر، وثم بدأت بالركض، واستمررتُ بذلك لعشر دقائق، (ولربما أقل قليلا، فعلى ما أذكر فقدت المرأة صبرها ورحلت)، على كل حال، بالنهاية قد كنت متعبا جداً، «عقلياً وجسدياً» ثم ركضت إلى المنزل، واستمررتُ بالبكاء حتى أعطتني أمي مبلغاً بدلاً منه.

رأيت، لي حظ سيء مع المتسولين، لكنني لا أنكر رغبتي بأن أكشف كل ماضيَّ وحظي المستقبلي، في تلك القصص القصيرة في دفتر فيينا، واحدة تلو الأخرى، المتسولة التي كانت تجلس أمام الأوبرا، في حالة أنني أحسست بك بجانبي وبقيت معي.

فرانز



(براغ،19 يوليو 1920م)

الاثنين

لقد أسأت فهم عدد من الأمور ميلينا:

أولاً: أنا لست متعباً إلى ذلك الحد، فعندما أنام قليلاً أشعر بتحسن أكثر مما كنت عليه في ميران، فالأمراض الرئوية أخف من غيرها، حتى في الصيف الحار، أما كيف سيكون الحال في الخريف فلندع ذلك إلى حينه، في هذه اللحظة عندي شكاوٍ قليلة، كمثال أنا لا أستطيع إنجاز أي عمل في

المكتب، فإن لم أكن أكتب لك تجدينني متكئاً على كرسيي أسرح بالنافذة، فهناك الكثير لأنظر له، فالمنزل في الشارع المقابل هو وحده قصة كبرى، لا أقصد أن أشتكي لكن الوضع كئيب بما يكفي، لا ليس إلى ذلك الحد، إلا أنني لا استطيع تمالك دموعي.

ثانيا: أنا لست بحاجة للمال، فلدي ما يفيض عن حاجتي، قليل من هذه النقود - هي النقود التي تحتاجينها لإجازتك، وتضايقني لأنها مازالت موجودة معي.

ثالثا: أنت تساهمين مساهمة فعالة في شفائي، فأنت تفعلين ذلك كل مرة حين تفكرين بي.

على الهامش: عليك بعد هذه أن تطمئني، كما أنا مطمئن، فسأبقي منتظراً في آخر يوم، كما انتظرتك في اليوم الأول.

رابعاً: كل ما ذكرته من شكي عن رحلة براغ كان صحيحا، «صحيحا كما ذكرته من قبل»، على الرغم من أنه كان عن حديثي مع زوجك، والذي بدا أنه الشيء الصحيح لفعله. اليوم صباحاً على سبيل المثال، بدأت بالخوف، خوفاً نابعاً من حبي، خفت من أن تحضري إلى براغ، يدفعك لذلك وهم طارئ، لكن هل يمكن لوهم أن يدفعك إلى اتخاذ قرار كهذا في خضم مشاكل حياتك التي تعيشينها إلى الأعماق؟ إن وهماً لم يكن ليضلك في فيينا. ألم نعول على أمر دفين غير شعوري في داخلك أنك سترينه (الزوج) مساءً، لا أود التحدث أكثر عن هذا. ثم هنالك حقيقتان عرفتهما اليوم من رسالتك، أولها خطة هيدلبرج، وخطة باريس، وفكرة البنك، الأولى تظهرني وكأنني من زمرة المنقذين أو المجرمين، ولكني لست كذلك، الثانية يظهر فيها أنك تفكرين في مستقبل هناك، خطط واحتمالات وآمال، آمالك أنت..

خامسا: جزء من تعذيبك لنفسك، الألم الوحيد الذي أسببه لك، ويتلخص بكتابتك لي كل يوم، إذا أردتِ يمكنني أن أرسل لك كل يوم ملاحظة، لتنعمي بالوقت لعملك الذي تحبين.

شكرا على كتاب «دوناديه» «لسبب ما لم أستطع إرسال الكتب لك» في الوقت الحالي لن أتمكن من إيجاد الوقت لقراءته، وهذه شكوى أخرى لا أستطيع القراءة، وهذه مسألة لا تؤلمني، القراءة مستحيلة عندي.فثمة مخطوط كتبه ماكس: اليهودية والمسيحية والوثنية - كتاب رائع، علي أن أقرأه، وهو يلح علي دائما بقراءته لكني لم أفعل. كنت قد بدأت قراءته فجاءني شاب بخمس وسبعين قصيدة، بعض منها عدة صفحات، ويبدو أنه سيعاديني مرة أخرى، كما عاداني من قبل. فمن غير قصد قرأت مقالة «كلاود» مباشرة لكن لمرة واحدة وبسرعة، لا أذكر هل حررت من «كلاود» أو «ريمبود»، لم أشأ أن أكتب ملاحظاتي حتى أقرأها مرة ثانية، لقد أفرحني ذلك كما تفرحك الترجمة، لكني لم أكن أذكر إلا تجربة «ايف ماريا» مع شخص في المقالة الأولى.

أرسل لك الرسالة التي كتبتها الفتاة كرد لي، والتي ستعطيك الفرصة لتعيدي ترتيب رسالتي، وبهذه الطريقة سترين كيف أنني رفضت ومن دون سبب. لكني لن أرد بعد الآن.

بعد ظهر أمس لم تكن أفضل من الأحد الماضي، لقد بدأ بصورة جيدة، درجة الحرارة 36 بالظل، عندما تركت المنزل للذهاب إلى الجنازة كان عمال الترام مضربين عن العمل،لكنه بشكل عام أفرحني، حيث كنت أنوي المشي، كنت أرغب بالمشي في البستان القريب من سوق الأسهم يوم السبت، لكني حين وصلت إلى المقبرة لم أجد القبر، ومكتب المساعدة كان

مغلقاً، لا حضور ولم تكن النساء يعرفن شيئاً، بحثت في الكتيب لكنه كان الكتيب الخطأ، أمضيت ساعات أتجول في أنحاء المقبرة وأمضيت وقتي أقرأ شواهد القبور، ومن ثم غادرت المقبرة محتاراً.

ف

(براغ،20 يوليو 1920م)

الثلاثاء

ومن بين تلك الأوامر الصارمة، استطعت أن ألملم شتات نفسي اليوم:

رسالتا اليوم اتصفتا بالقصر والسعادة، والأقل عفوية، تبدو (تقريبا كأنها، كأنها، كأنها) وكأنها الغابة، ورياح تلاعب كميك، وتبدو كفيينا، ملينا، هل هنالك أحسن من أن أكون معك.

اليوم أرسلت لي الفتاة رسالتك ومن دون أن تنطق بكلمة، فقط قامت بالتخطيط تحت عدد من الفقرات، بدت وكأنها غير مسرورة بها، حسنا، وكأي رسالة مخططة بالرصاص بدت معيوبة، بمجرد نظري لها علمت أن طلبي منك الرد عليها كان طلباً تافهاً ومستحيلاً، ولذلك أنا أطلب منك الغفران. كما يجب أن أطلب منها هي أيضاًأن تغفر لي، فلا كلام ممكن أن يعجبها، وإنما سيسبب المزيد من الاضطراب، عندما كتبت لها وبكل وضوح «هو لم يتحدث أو يكتب عنك إطلاقاً» أعتقد أن كلامك آذاها، ومرة أخرى، سامحيني.

وبالمناسبة، وعن رسالة أخرى، تلك التي تتحدث عن ستيسا، لقد أفدتني كثيراً.

بعد الظهر،

نجحت في أن أبقي هذه الرسالة بعيداً عني في المكتب، وقد تطلب ذلك مني جهداً كثيراً، حيث لم يتبقَ لي الكثير لعمله.

رسالة إلى ستيسا:

أتي جيلفوسكي لرؤيتي البارحة، وذكر أن رسالة منك قد وصلت، لقد رآها على الطاولة حين هم بمغادرة المنزل صباحاً، لكنه لم يقرأها - ستيسا ستعلمني بمحتواها مساءً، وبذلك الوجه المتجهم، شعرت بعدم الاستقرار، وبدأت أفكر عما ممكن أن تتحدث رسالتك، وحين المساء، علمت أن الرسالة كانت جيدة إلى درجة أنهما شعرا بالراحة، على الأقل بدأ يتحدثا إلي بودية «علما أنني لم أقرأها»، علمت أنها احتوت على عبارات شكر لزوجها، والتي كتبت بناء على ما كنت ذكرته لك، أسعد ذلك ستيسا كثيراً، كما أن عيني زوجها أضاءتا من الفرح. إنهما شخصان طيبان على الرغم من كل شيء- يظهر ذلك عندما ننسى بعض الأمور، أو نتعامل معهم بودية، وعندما يشعر الشخص باضطراب معوي، وخصوصا عندما يكونا معا أو عند لقاء مع زوجها، (فالأوضاع تبدو شائكة أكثر مع ستيسا)، بدت ستيسا بمظهر رائع وهي تدقق في صورتك، وبصراحة بدت هادئة، مهتمة، جادة وقد أطالت النظر فيها. سأخبرك بتفاصيل المساء لاحقاً، فقد كنت أشعر بتعب، وفراغ، وملل، أستحق أن أضرب، بدوت مختلفاً، فقد كان جل ما يهمني هو أن أذهب للنوم. لقد طلبا مني أن أرفق لك صورة مرسومة من ستيسا، وملاحظات من جيفونسكي، فقد كنا نتحدث عن معطيات غرفتك. بالمناسبة هما يعيشان عيشة ملوكية، فهما يصرفان ما يقارب الستين ألف سنوياً، ويعتقدان أن ذلك لا يكفي .

حقيقة أنا مرتاح لترجمتك. فتبدو الكلمات من اللغتين وكأنها تخرج من فرانز إلى فرانز، كما تتسلق جبالك إلى جبلي، وكأنما الكلمات تتحول من فمي من الألمانية إلى التشيكية، وكأنها كانت أصلا كذلك، كأن الكلمات متزاوجة، أرجو منك أن تتركيها كما ترين أنت فكم يريحني أن أعرف أنك مرتاحة لها.

نصحتكم البارحة ألا تكتبي لي كل يوم، ومازلت أعتقد ذلك اليوم، فذلك أفضل لكلينا، ولذلك أعيد نصيحتي لك اليوم وبكل جدية ووضوح. أرجوكِ، ميلينا لا تستمعي لنصيحتي وراسليني كل يوم، يمكنك أن تكتبي رسالة مختصرة أكثر مما هي رسالة اليوم، وحتى لو سطرين، أو سطر واحد، فلو مضى يوم من غير رسالة منك سأعاني بشدة.

ف

(براغ،21 يوليو 1920م)

الأربعاء

يحصد المرء النتائج، إن كان شجاعاً كفاية ليتصرف:

في المقام الأول: لربما كان غروس ليس سيئاً إلى ذلك الحد، على الأقل كما أظنه، فكوني حياً مازلت أتحدث بالنيابة عنه، وإلا فإن شجاعتي الداخلية ستتقسم، حتى أنني كان يجب أن أتوقف عن الحياة منذ أمد بعيد.

بالإضافة، ليس السؤال هو ماذا سيحدث لاحقاً، فالشيء الأكيد هو *أنني كيف لي أن أحيا.بدونك من دون أن أستسلم للخوف، أن أستسلم للحياة أكثر مما ينبغي، أستسلم متطوعًا، فرحًا، أسلم نفسي لها.*

يحق لك أن تحاضريني بخوف عن تصرفاتي في فيينا، ذلك الخوف الغامض، فأنا لا أعرف قوانينه، أشعر بيده تخنقني، وذلك شيء أقسى مما اختبرت أو سأختبر يوماً.

فالنتيجة المنطقية الوحيدة هي أن نتزوج نحن الاثنين: أنت تتزوجين من فيينا، وأنا أتزوج من خوفي في براغ، فبالأخير لست وحدك مرتبطة بزواج، فلتري ذلك ميلينا، فلو كنت اقتنعت بي ونحن في فيينا، (لو كنت اقتنعت لتخطي خطوة في سبيل انتزاع شكك) لما كنت الآن في فيينا بعيدة عن كل شيء، أو ما كنت لتعيشي بخوف في فيينا وإنما كنت ستكونين معي هنا في براغ، فكل ما قلته في رسالتك الأخيرة كعزاء لنفسك ما هو إلا مجرد عزاء،ألا توافقينني في ذلك؟

هل كنت لتأتي مباشرة إلى براغ، أم كنت ستقررين فعل ذلك فوراً، فما كان ذلك ليبدو كإثبات لشيء ما.أنا لا أريد إثباتات، فلا شيء في عقلي واضح أكثر من علاقتي بك، فذلك كان سيبدو كإثبات هائل، وهو ما ينقصني الآن، فالخوف يتغذى علي من ذلك.

حقيقة يمكن لذلك أن يكون أسوأ، بأن أكون أنا من أربطك بفيينا كما لم يفعل أحد سواي.

كأن ذلك بمثابة العاصفة التي تهدد الغابة، فقد كنا سعيدين للغاية، كما لو كنا سنمضي بالعيش معاً على الرغم من عقباتها، وكأن لا مفر لنا من ذلك.

اتصل لورين ليقول لي أن الترجمة كاملة في «التريبونا»، وبما أنك لم تقولي لي ذلك من قبل لم أعرف إن كان لا بد لي من قراءتها أم لا، سأبحث أين وضعتها الآن.

لم أستطع معرفة ما يزعجك في رسالة الفتاة، لكنني أعرف أنها أثارت غيرتك، لم لا؟ سأقوم في المستقبل بكتابة رسائل مثلها وأرسلها لك، وربما أفضل منها ومن دون تهديدات بقطع العلاقة.

الرجاء إرسال عدد من الملاحظات عن الأعمال التي لديك.

شيء آخر كنت أود أن أحادثك به،لكن كان عندي شاعر جديد، لم أفهم كلامه، فعند ظهور أحد أمامي أتذكر عملي في المكتب وأبدأ بفقدان تركيزي طوال المقابلة، أشعر بتعب يمنعني من التفكير بأي شيء آخر، وتأمل روحي أن أضع رأسي في أحضانك، وأن أشعر بيديك على رأسي، وأبقى على ذلك الحال طوال عمري.

لك

هذا ما رغبت بقوله «رسالتك تتضمن حقيقة واحدة عظيمة»، بالإضافة إلى عدد غيرها، «وربما هو شيء لم تعرفي بوجوده» وذلك حقيقة الكلمة بالكلمة، لقد بدت كلها رجسة، مسحورة، وكأنها الجحيم، ومن هذا المنظور آتيك كطفل قام بفعل سيء، كطفل يبكي أمام أمه ويصيح بنواح «لن أفعل ذلك ثانية» وهذا ما يستمده الخوف من الشجاعة، «بالضبط، بالضبط» هو يقول «أنه لا يعرف شيئاً، لم يحدث شيء بعد، وبذلك مازال بالإمكان إنقاذه»

لقد قفزت، الهاتف يرن لتحديد مقابلتي مع المدير منذ أن عدت إلى براغ، لقد اتصلوا بي لموعد رسمي، الآن كل الخدع ستظهر، لم أعمل شيئا منذ 18 يوم غير كتابة الرسائل، قراءة الرسائل، وفوق ذلك النظر من النافذة، فكلما فعلته هو أن أمسكت الرسائل بيدي، وضعتها من يديّ، أو استقبلت عددا من الزوار وماعدا ذلك لا شيء. لكن عندما زرته بدا ودوداً، كان

مبتسماً وقال لي كلاماً رسمياً لم أفهمه، وودعني حيث أنه ذاهب في إجازة، شخص طيب جداً. «لقد بدأت أتمتم بأني سأعمل وسأقوم ببعض الإملاءات بدءاً من الغد». وهاأنا أرسل ما حدث للملاكي الحارس، ما استغربته أن رسالتي له من فيينا مازالت على مكتبه، ظننت بالبداية أن حديثنا سيكون عنك.

(براغ، 22 يوليو 1920م)

الخميس

نعم تلك الرسالة، لقد أحسست وكأن شخصاً ينظر إلى الجحيم، وكأن رجلاً من الجحيم ينظر إلى رجل بالأعلى ويصفه له كيف هي حياته وكيف اعتاد عليها. وكأنه يحمص مرجلا، وثم آخر، ثم يجلس جانباً ليبخر بدنه. لكني لم أكن أعرفه مسبقاً، «لقد كنت أعرف لقبه منذ زمن، لكن لورين هو من كان يناديه بذلك، ولكني لم ألحظ ذلك» أظن أنها مستاءة أو مجنونة. كيف لها ألا تلحظ القدر، والذي لاحظناه نحن، إني لأجد نفسي مستاء لفكرة أن أقف بجانبها، فالأمر بالنسبة لها تعدى كوننا أناساً، فالأمر مختلف عندها، وكيف لها أن لا تلاحظ ذلك، كيف لها ألا تلاحظ استياءك منها في رسالتك، فكلماتك بدت وكأنها من مخلوقات فضائية، لكن للحقيقة كلانا نعلم تماماً أن ذلك هو ما يميز جارميلا.

بالمناسبة، يبدو أن هاس لم يتركها إطلاقا، إن لم أكن مخطئا، كانت رسالة نابعة من حزن مسكر، ولم أفهمها إطلاقا.

ميلينا، أيتها المجتهدة، يجب تغيير رفتك لتصبح كما تبدو في عقلي، فلم يبدو مكتبك ولا حتى الغرفة كأنها مجهزة للعمل، لكنها كذلك الآن،

فكأنني أشعر أنها مناسبة الآن، يجب أن تكون غرفتك آسرة، حارة، باردة وسعيدة. يجب أن نبقي على خزانة الملابس فقط مع أن قفلها مكسور إلا أنها لا تلقي بها بداخلها، تبقى ساكنة، ترفض رمي فستان الأحد، إن قمت بالانتقال إلى منزل آخر بيوم من الأيام سنرميها حينها.

أنا آسف لعدد من الأشياء، كنت قد كتبتها منذ مدة قصيرة، لا تغضبي مني، وتوقفي عن تعذيب نفسك بأنها خطأك، فلم يكن يوما خطؤك بمفردك، فلم يكن يوما خطؤك، يجب عليك أن تلوميني، وهو ما علي أن أوضحه لاحقاً.

(براغ، 23 يوليو 1920م)

الجمعة

لا لم يكن بذلك السوء،وعلى كل حال، كيف للروح أن تحرر نفسها من دون أن تتأثر بالحقد؟ كما أنني أعتبر كل ما كتبته حتى اليوم هو صحيح، لقد أخطأت في فهم بعض منه، كما هو في قول «عذابي وحدي» مازلت تعذبين نفسك وهو «عذابي الوحيد» كيف تكونين كذلك ورسائلك هي ما تمدني بالقوة كل يوم لأجتاز أيامي، فأنا لا أريد أن أفقد ولا حتى رسالة منك، «حتى رسائل العتاب» فرسائلك متكئة على مكتبي لتقابل الباب الرئيسي من غير أن تضايقني، حتى أن مجرد الكتابة لك ووضعهم جانباً يعني لي الكثير. أنا لست غيوراً إلى ذلك الحد، -صدقيني- فمن الصعب ملاحظة أن الغيرة لا أهمية لها، وأنا نجحت بذلك، وللحقيقة، لطالما نجحت في ألا أكون غيوراً، نعم أعتبر نفسي «المنقذ» المنقذ هل ترين، كلمة

تنجح بأن تنقض كل ما سبقها، وبكل جدية ، وذلك هو ما تستحقه، وليس ذلك بنقطة معينة وإنما على كل قوانين الحياة في العالم.

أخيراً، لدي ما أقوله لماكس، فكرتك- مجرد مقتطفات عنها- عن مخطوطته، ألا تعلمين أنه دائم السؤال عنك، عما تفعلينه، وعما هو جديد بيننا، ويقول كل ما يقول وهو نابع من قلبه.

لكن فعلاً لا أجد ما أقوله له غير ذلك، فاللغة وحدها تصعب الأمور، فلا يمكن لي أن أتحدث عن ميلينا تلك في فيينا، وأبدأ بالقول أنها قالت أو ظنت أو فعلت وغيره. فبالنسبة لي هي إما أن تكوني «ميلينا» أو «هي» وهذا ما يمنعني عن الكلام، وذلك واضح كفاية لئلا يحزنني.

طبعا أستطيع أن أتكلم عنك مع أناس لا يعرفونني، وهو شيء مفرح فعله، إذا سمحت لنفسي أن أضحك قليلا بشأنه، -وهو مغر نوعا ما- ففرحتي ستكون لا توصف. منذ وقت قريب التقيت بـ «رودلف فاش» أنا أحبه، لكني لا أكون فرحاً جداً برؤيته، غير أني لم أصافحه بطريقة طبيعية، ومع ذلك، عرفت أن العواقب لن تكون كما كنت آمل، لكني قلت لنفسي، «ماذا لو أنه صغير» تحولت محادثتنا فجأة إلى فيينا، ومن قابله هناك، لقد كنت مسروراً بسماع أسمائهم، بدأ بذكرهم، لا، لم أكن أقصد ذلك، كنت مهتما بسماع أسماء النساء اللاتي قابلهن، «حسنا، كان هنالك اسم ميلينا بولاك، والتي أظن أنك تعرفينها» «نعم ميلينا» لقد بدأت أتلهف لسماع ما سيقوله عنها، لكنه ألحق كلامه باسم آخر، وفجأة بدأت السعال بشدة، وتوقف حديثنا حينها، كيف لي أن أحيا بعدها، «هل تستطيعين تحديد العام متى كنت أخر مرة في فيينا وقت الحرب» «1917» «ألم تكن EP في فيينا حينها» «لم أره حينها، ألم يكن متزوجا حينها؟» «لا» لقد كان

ذلك هو كل حديثنا. لقد كنت أرغب بأن أجره إلى الحديث عنك، لكني استجمعت قواي ومنعت نفسي عن ذلك.

كيف أصبح حالك بعد الدواء الآن وتلك الأيام السابقة؟ كنت قد ذكرتِ صداعاً للمرة الأولى.

ماذا قالت جارميلا أخيراً عن دعوتك؟ هل من الممكن أن تقولي لي شيئا عن خطة باريس؟

إلى أين ستذهبين الآن؟ «هل هو مكان يستقبل البريد» متى؟ كم ستبقين هناك؟ ستة أشهر؟

دائما أعلميني مباشرة حين يستجد شيء معك.

هل خططت لرحلتك -خطة اليومين- إلى براغ ؟ أنا فقط فضولي بشأن ذلك.

شكرا لك على تلك الكلمات التي تدخل مجرى دمي فوراً.

(براغ،23 يوليو 1920م)

الجمعة بعد الظهر

في المنزل وجدت تلك الرسالة، لقد عرفت الفتاة منذ أمد طويل، لقد كنا على اتصال من بعيد، على الأقل كان يربطنا قريب على الأقل، ذلك القريب الذي ذكرت.أنها كانت تمرضه هي وأختها لأشهر، أجدها غير جميلة، وجهها كبير جداً، دائري وبخدود حمراء، جسدها صغير وممتلئ،

صوتها ممل كالهمس، لكني كنت قد سمعت ما هو مريح عنها، مع أن أقاربها لطالما شكوها من خلف ظهرها.

منذ شهرين كان سيكون جوابي على رسالة كتلك سهلا جداً، لا لا لا لا أعتقد أنني الآن قادر على فعل ذلك، ليس وكأنني أظن أنني أستطيع مساعدتها، وليس كأن شخصا كان قد سيهتم برسائلها مرة، فالحياة قد اهتمت لأمرها مرة، وكأنها ضيفة تنتظر التحلية. تلك الأمور تافه جداً، غبية جداً، فإنني أكتب لك لمصلحتي أنا وليس لها، أكتب لأخبرك أنني سأحدد موعدا معها، نعم ميلينا، فأنت بين يدي لست بشيء أستطيع أن أتخلى عنه.

سيغادر عمي غداً، ولمرة أخرى سأغادر المدينة، إلى الهواء الطلق، إلى المياه العذبة فكم أشعر أنني بحاجة إليها. كتبت لتعلمني أنني وحدي لي الحق بقراءة الرسالة، وإرسالها لك، وهناك شيء سأقوم به من أجلها ... سأمزقها، كم تلك الجملة معبرة «النساء لا يحتجن الكثير».

(براغ،24 يوليو 1920م)

السبت

ما يقارب النصف ساعة أمضيتها بقراءة رسالتيك والبرقية، «من دون ذكر المغلف، أستغرب كيف أن المكتب لم يقدم اعتذاره بالنيابة عنك»، الآن فقط انتبهت أنني كنت أضحك طوال الوقت، فهل كان هناك إمبراطور عاش حياة أجمل من حياتي؟ أدخل إلى غرفتي لأجد ثلاث رسائل بانتظاري، ولا بد لي إلا من أن أفتحهنّ، بأصابعي ببطء، لأتكئ جانباً وأشعر بأنني محظوظ وسعيد.

لا لم أكن أضحك طوال الوقت، لن أقول كلمة عن حملك الأمتعة، حيث أنني لا أصدق ذلك، حتى لو صدقت ذلك،لا أستطيع تخيله، وحتى لو استطعت، فأنت جميلة جداً - ليس ذلك الجمال العادي، فكأنما جمالك سقط من الجنة، كما بدوت يوم «الأحد»، مع ذلك لا، مازلت لا أتخيل ذلك، فلو أن ذلك حدث، فسيبدو ذلك وكأنه مرعب جداً. فالحقيقة أنك جائعة ولا تأكلين، «وأنا لا آكل ولا أكون جائعا حقاً»، كما أنك تعانين من انتفاخ تحت عينيك، «لا يمكن للصورة أن تكذب، تلك الانتفاخات قد سلبتني نصف الفرح الذي أشعرتني به صورتك، مازلت أشعر أنني أرغب بتقبيل يديك، حتى لا تضطري إلى الترجمة مرة أخرى، أو حمل الأمتعة يوماً، لا أسامحك ولن أسامحك كيف لي أن أغفر لك ذلك، وسأستمر بتأنيبك على فعل ذلك إلى مئة عام» لا أنا لا أمزح، تدعين أنك متيمة بي، وكيف تكونين ذلك وأنت تجوعين نفسك، وترسلين لي بالمال المتبقي.

هذه المرة سأغفر ما تقولينه عن رسالة الفتاة، فأنا لست بسكرتير كما قلتِ عني، «وأنا أقبل ذلك لأنه منذ ثلاثة أسابيع هذا هو ما أفعله» وأنت على حق بذلك، لكن هل يكفيكِ أن أقول أنك على حق؟ ولكن فوق ذلك كله أنا لست على صواب، فهل لك أن تتحملي بعضاً من أخطائي، أعرف أن ما يهم هي تلك الرغبة بقراءة الماضي من رسائل الفتاة، والتركيز فيها على أخطائي، والتي هي مكتوبة بوضوح الشمس، كما أنني لا أرغب في أن أسمع أكثر عن تبادلكما لتلك الرسائل التي كنت أنا سبباً فيها، فقد أرسلت لها عدداً بسيطاً من الأسطر الودية، ولم أسمع منها بعد ذلك شيئا، كنت قد اقترحت فيها لقاءً متمنياً أن أفجر فيه صمتها وحبها.

لقد دافعت عن رسالة ستيسا، وذلك شيء أشكرك عليه، فمازلت أتوقع الأسوأ وأصفها بلا عدل، أتمنى أن أتوقف عن ذلك يوما ما.

هل كنت تذهبين إلى «نيولديج»؟ فقد كنت أذهب هنالك أحياناً، أستغرب كيف أننا لم نتقابل هناك مسبقاً، حسناً، أنت تمشين وتتسلقين بسرعة، ربما أنك كنت قد مررتِ بجانبي، كما فعلت في فيينا، يا لهم من أربعة أيام جميلة؟ كانت كآلهة يغادرون السينما، وحمال صغير يقف بجانب العربة، وهذا كله كان أربعة أيام.

سيستلم ماكس رسالتك اليوم، لم أقرأ ما كتب فيها وكأنها احتوت على أسرار.

نعم، لم تكوني محظوظة في «لودمير» ويبدو أنها أفضل لك في ألمانيا، ماذا فعلت هنا؟ يا لك من مسكينة، «لست طفله، لاحظي ذلك» كيف لك أن تعذبي نفسك وترهقي عقلك بما أكتبه لك، هل أنا على حق حين أقول أن رسائلي تزعجك؟ ولكن ما الفائدة منها إذن؟ عندما أستلم رسائلك أشعر أنني متصالح مع الحياة، وحين لا أفعل أشعر أن الحياة مخطئة وأبدأ بالتصادم مع كل شيء، مع الحياة.

نعم، مع الذهاب إلى فيينا.

أرجو أن ترسلي لي الترجمة، فأنا لا أستطيع أن أوقف يديّ عن الكتابة لك.

هناك جامع طوابع بريدية رائع هنا، وهو يسحب الطوابع البريدية من يديّ، لديه ما يكفي من الطوابع البريدية، لكنه مصر أن هنالك المزيد من البطاقات، السوداء، البيضاء، البنية. أنا أستلم الرسائل، وأحتفظ له بالطوابع البريدية، ولذلك إن استطعت أرفقي تلك الطوابع البريدية الكبيرة إن أمكن.

(براغ،26 يوليو 1920م)

الاثنين

حسنا، لم أستلم جواباً على البرقية، لكني استلمت رداً على رسالة مساء يوم الخميس، لقد كان أرقي مبرراً، كما كانت تعاستي صباحاً. هل يعرف زوجك عن الدم؟ لا يجب عليك المبالغة؟ ربما ستكون لا شيء، فالنزيف له أسبابه، ومع ذلك هو دم ولا يجب إهمال ذلك. وجوابك بأن تعيشي حياتك البطولية السعيدة، اذهبي لتعيشها وكأنك تذرفين الدم عليها، «نعم، سأستمر بذلك، ستعود أخيرا» وبذلك ستأتي. وأنت لا تعرفين البتة ما سيفعل بي ذلك وأنا هنا، فأنت لست غبياً، فأنت تعرفين مآل ذلك، فهل يجب علي أنا أن أقف هنا على شاطئي في براغ أنظر لك فيما تغرقين في بحر فيينا، متعمدة ذلك، وأمام ناظري؟ فلو لم تجدي ما تأكلينه، أليست لك حاجة بذلك، هل تظنين أن الطعام أساسي لي وليس لك، حسنا أتوقع أنك على حق في ذلك، وللأسف لن أتمكن من أن أرسل لك مالاً مرة أخرى، فأنا سأعود إلى المنزل مساءً وسأشعل الموقد بكل تلك الحبوب غير المفيدة التي لدي» .

أشعر أنك تتخذين مكانا بعيداً عني، ميلينا، أشعر أن كل ما تشاركيني به هو آمالك بأن تكوني هنا، وأن يكون وجدك قريباً من وجهي، وطبعا كلانا نتمنى مثل تلك الأمنية المميتة، أمنية أن نموت «مرتاحين» لكن هذه أمنية يتمناها حتى الأطفال، كما أفعل أنا أيضاً، في يوم الحساب «سأرى الأستاذ يقلب صفحات كتابه، ربما يبحث عن اسمي، وسيقارن ما بين ضعف معرفتي بتلك القوة التي أتحلى بها، والرهبة والحقيقة ، نصف أحلامي أستشعر الخوف بها، أتمنى لو أن بإمكاني أن أظهر كشبح، أركض بين الأدراج، أطير باتجاه معلمي وأضيء بمعرفتي بالرياضيات، أمر بجانب

الباب، ومن ثم أعبره، ألملم شتات نفسي وأتحرر في الهواء الطلق، وأذوب في العالم، من دون أي اهتمام لما يشرح في الفصل، يبدو ذلك مريحا جداً. لكن الحياة لا تسير هكذا، لقد أعطيت يوماً سؤالاً يتطلب عقلاً مفكراً لإجابته، نسيت موقع درجي، وكذبت أنني تركت الحل في الدرج «ظناً مني أن المعلم سيعطيني درجه» لكنه قادني إلى درجي لأسلم الحل، وعلم بعدم وجوده وأعطيت إنذاراً، «لم أُعطَ يوماً إنذاراً في المدرسة» وذلك المدرس «الذي صادفته منذ يومين» قال لي: «أنت أيها التمساح» لقد أحسست بعدم الراحة حينها وهو ما ظننت أنه جيد، فقد كان كلامه عاماً، ولم يخفني حقاً، «ومع ذلك كذبت، لم يكن لأحد أن يكتشف كذبتي، هل هذا جائز؟» لكنني لم أُبدِ خجلي، ومع ذلك بدا الوضع مريحاً، وتحت أي ظرف كان بإمكاني الاختفاء في الغرفة، لقد كانت الاحتمالات لتصرفاتي عديدة إلى حد كبير، وهذا ما يجعل المرء يحس بأنه حي.

كُتِبَ على رأسية الصفحتين بخط كبير: أنا أثرثر بمثل هذا الكلام لأنني أشعر أنني على ما يرام معك على الرغم من كل شيء.

هنالك احتمال واحد ناقص فقط، وهو واضح على الرغم من تلك الثرثرة، أن أمر بك الآن، وأن تكوني هنا، وأن نفكر باحتمال ما عليك فعله لتستعيدي صحتك، هذا هو المهم فعلياً.

لقد كان في خاطري الكثير لأحدثك عنه اليوم، قبل أن أقرأ رسالتك، لكن ماذا يمكنني أن أقوله بعد أن عرفت عن الدماء؟ أرجوكِ اكتبي لي ما قاله الطبيب، كيف يبدو كرجل؟

شرحك عما حدث بالمحطة غير صحيح، لم أتردد للحظة، لقد غمرني الحزن والسعادة، لقد كنا وحدنا وهو ما يبدو هزلياً لحد كبير، فكيف

يمكن لمن لم يكن معنا، لينهضوا ويطالبوا بفتح باب العربة. أما ما قلته عما حدث أمام الفندق فهو كما حدث فعلاً، بدوت جميلة جداً يومها، لربما لم تكوني أنت هي، فهو شيء غريب أن تستيقظي بالصباح الباكر، لو لم تكوني أنت، كيف عرفت تلك التفاصيل الدقيقة عما حدث.

من الجيد أنك تريدين الطوابع البريدية، فلد أنبت نفسي عدداً من المرات عن سؤالك إياهم، حتى حين كتبت لك وطلبتهم، لقد كنت أمنع نفسي من ذلك.

(براغ،26 يوليو 1920م)

الاثنين، لاحقاً

أووه، استلمت العديد من التقارير اليوم، كيف أستطيع أن أعمل وأنا رأسي متعب، لم فعلت ذلك؟ لم وضعتهم في الموقد؟

والآن وفوق كل شيء، الشعر، الأولى، إنه يصنع الألواح الخشبية، والنقش، ولا يغادرنا، إنه مفعم بالحياة لا إنه يتكل علي بكل شيء، ويراني أقلب وينفذ صبري، يرى يديّ وهما ترتجفان أثناء كتابة رسالتي هذه، ورأسي يكاد يسقط في حجري وهو لم يغادر بعد، ذلك الفتى الطيب، السعيد - اللاسعيد أحياناً، المنفتح للحياة، يتحول الآن أمامي إلى كتلة من الإزعاج، وأنت تعانين من دم يخرج من فمك.

يبدو لي كأننا نعيد كتابة ما نكتبه، أنا أسألك إن كنت مريضة، وأنت تخبرينني أنك كذلك، أنا أرغب بالموت، ثم أنت تقولين نفس الشيء، أنا أريد طوابع بريدية، ثم أنت تريدين الطوابع البريدية، أحياناً أشعر أني

أرغب بالبكاء على كتفيك كفتى صغير، ثم أنت تودين البكاء على كتفي كفتاة صغيرة، ثم أحيانا، وعشر مرات، وآلاف المرات، أريد أن أكون معك، وأنت تقولين لي نفس الكلام. هذا يكفي، هذا يكفي.

وما زلت لم تراسليني عما قاله لك الطبيب، أنت أيتها الكسولة، كاتبة الرسائل السيئة، أيتها الساحرة، أيتها الفاتنة، .... أنت، حسناً، ماذا الآن، لا شيء، أن أرتاح في أحضانك، هذا هو الحال.

(براغ،27 يوليو 1920م)

الثلاثاء

أين هو الطبيب، أتصفح رسالتك لأجد ما كتبته عنه، لكن لا شيء، أين هو ؟ أنا لا أنام، لا أقول أنني لا أنام بسبب ذلك، فالقلق يجعل الأشخاص الواقعيين يفقدون قدرتهم على النوم أكثر من غيرهم، لا أستطيع النوم. هل كانت رحلتنا إلى فيينا منذ زمن طويل؟ هل رفعت آمالاً عاليةً جداً؟، ألا يمكن للحليب والزبدة والسلطة أن يكونا مفيدين أبداً، وهل يجب علي أن أغذي نفسي إلا بوجودك؟ أعتقد أن السبب ليس أيا من ذلك، لكن هذه أيام تمر بصعوبة، لم أعد أشعر بالسعادة التي كنت أشعر فيها بغرفتي الفارغة، مع أنني أعيش فيها، «ولهذا استلمت رسالتك فوراً» لربما لم تكن الحياة الفارغة في الغرفة هي ما كان يشعرني بتلك السعادة العارمة، ربما ليس ذلك هو السبب الرئيسي، فلو كان ذلك لكان عندي الآن غرفتان بنفس الوقت، إحداها لليوم والأخرى للغد، أو أن إحداها للنهار والأخرى لليل، هل تفهمين شيئا؟ أنا لا أفعل، لكن هذا هو حالي الآن.

نعم، خزانة الملابس، هي ستكون شاهداً على أول ليلة لنا وأول شجار، وأنا أقول: «لنرم بها خارجا» وأنت ستقولين: «ستبقى مكانها» ثم أقول لك «اختاري من منا تريدين أنا أم هي» ثم تقولين: «لحظة الخزانة أم أنت، أختار الخزانة إذن» «حسناً» سأقول، ومن ثم أنزل على درجات السلم خائباً فلو لم أر ممر دانوب المائي لربما كنت مازلت حياً سعيداً إلى اليوم.

وبالمناسبة أنا أنا معجب بخزانة ملابسك، لكن لا تلبسي ذلك الفستان، فلو فعلت ماذا سيبقى لي؟

الضريح غريب، لقد كنت أبحث عن واحد هناك وبكل حياء، ثم بدأت أتجول بوقاحة بخطوات كبيرة هنا وهناك، حتى أخطأت باتخاذ واحد بجانب كنيسة صغيرة.

إذن ستغادرين من دون أن تحصلي على تأشيرة، وبذلك تنتهي أحلامي بقدومك إلي في المساء لو أمكن، ومازلت تستهجنين عدم نومي. (...)

والطبيب؟ أين هو؟ مازال غير موجود؟

لم أجد أي طوابع بريدية مهمة في المؤتمر، ظننت أنني سأجد البعض، شعرت بالخيبة حين أحضر لي شخص تلك الطوابع من المؤتمر، إنها مجرد طوابع بريدية عادية، بختم من الكونجرس، والتي كان من المفترض أن تزيدهم أهمية، لكن الفتى لم يفهم ما طلب منه، في هذا الحين سأرسل لك واحداً فقط، فكبداية سعرهم غال جداً، ثم أن ذلك يكفي لتشكريني عليه كل يوم.

هل ترين ما أرى ؟ أنت بحاجة إلى قلم برأس مستدق، لم لم تستغلي وجودنا معاً في فيينا؟ لم لم تقضي أغلب وقتك في مكتبة القرطاسية؟ فعلى سبيل المثال لقد كان مكاناً جميلاً، وكنا قريبين فيه من بعضنا بعضاً.

طبعا أثق في أنك لم تقرئي نكاتي الغبية لخزانتك، فانا أحب كل شيء في غرفتك إلى حد النشوة.

والطبيب؟

هل ترين مجمع الطوابع أحياناً؟ فلا سؤال أخبث من ذلك الذي يسأل بعد حرمان من النوم، ويظل المرء يسأل إلا مالا نهاية، ففي النهاية، عدم النوم يعني السؤال أكثر فأكثر، فإذا وجدت الإجابة أستطيع النوم.

أما ذلك التوضيح عن عدم مسؤولية الشخص عن أفعاله لهو شيء سيء، لقد استملت جواز سفرك، أليس كذلك؟

(براغ،28 يوليو 1920م)

الأربعاء

هل تعرفين شيئاً عن هروب كازانوفا من «العملاء»؟ أظن أنك تعرفين، إنها تضم عدد هائلاً من شناعات الهرب من السجن، هنالك في الزنزانة، في العتمة، في الرطوبة، في ذلك المستوى من الخيران، الماء تكاد تغمر القارب، ومع ذلك يصلها في لباقة، لكن السيئ في ذلك هو فئران المياه، تصرخ في الليل، تتجاذبه، تمزقه وتقضمه، -أعتقد أن على السجناء محاربتهم على الخبز- هذا هو تماماً ما أشعره حين أقرأ رسائلك. تثير الرعب في نفسي، غامضة، منغلقة، بعيدة كبعد ماضي المرء. وهنالك شيء واحد لا يريح المرء ويرعبه، كما يرعب المرء منظر تلك الفئران في الظلام، فلا يظهرون إلا في الظلام، فلا يشعر المرء هل مازال حياً أم ألقي به إلى جهنم، تعرى أسنان المرء، وتهمهم كما لو كانت ستأكله، لا لا يجب أن نروي

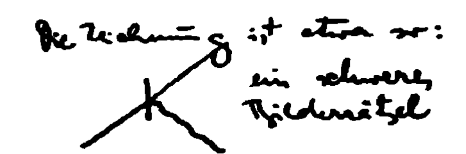
حكايات كهذه، سأترك لكِ الفرصة لتطاردي تلك الوحوش فقط إن كنتِ ستطردينهم من المنزل.

* * *

والآن ما زلت لم تذكري شيئا عن الطبيب، وكنت قد قطعت وعداً على نفسك بأن تذهبي إليه، وعلى كل حال أنت دائما تنفذين كلامك، هل مازلت لم تذهبي لأنك لم تري الدم مرة أخرى؟ أنا لا أستخلص شيئا، كمثال «أنت لست بحال صحية أفضل مني، سأكون دائما ذلك الرجل الذي يحمل حقيبته» ذلك الرجل الذي لم يغير مكانه بعد، فكبداية تجدين ذلك الرجل الذي ينتظر الحمال ليحمل أمتعته، ثم يأتي الحمال، الذي ينتظر أن يسأله الرجل أن يحمل عنه أمتعته، فهو في أي لحظة سينهار، حين كنت أخيراً عائداً من المحطة، كان حمل أمتعتي قد بدأ يزعجني، لم أجد الحمال يحمل أمتعتي من غير أن أطلب منه، فقد بدا لي وكأنه رأى حاجتي إليه، وبما أن حمل الأمتعة هو عمله، فلم يمانع ذلك أبداً، الآن -إليك ما أزعجني- وهو ما لم أعبر عنه مسبقاً، على كل حال، أنا لا أقارن نفسي بك، لكن لا يسعني أن لا أفكر كم كان سيساعدني لو كنت قد ذهبت إلى طبيب منذ بداية مرضي، فمنذ ثلاث سنوات لم تكن أعراض المرض ظاهرة على رئتي، لم أكن متعباً، لقد كان بإمكاني أن أمشي إلى ما لا نهاية ولم تكن قوتي تخمد، (تفكيري هو ما كان يزعجني)، وفجأة في شهر أغسطس، كان يوماً حاراً جميلاً، بدا كل شيء جميلاً إلا أن رأسي بدأ يؤلمني، وفي المسبح العام، بصقت شيئاً أحمر، كان ذلك شيئاً غريباً ومهماً، نظرت له قليلاً ثم نسيته تماماً، وبدأ يظهر بين الحين والآخر، حتى بدأت أستطيع أن أبصق الشيء الأحمر متى ما أردت، لم يعد ذلك.مهماً إلا أنني بدأت أمل منه حتى نسيته، هل ذهبت إلى الطبيب في وقتها؟، لا وأتوقع أن الأمور لم تكن لتختلف كثيراً لو كنت

فعلت، فلم يكن أحد قد سمع عن لطخات الدم حينها، حتى أنا لم أفعل، ولم يكن ذلك يقلق أحد حقاً، ولذلك أرجوكِ اذهبي إلى الطبيب.

على الهامش: لم دائما تدخلين جفينوسكي في قصصك، مازال لدي قطعة من ورق النشاف ما يمكن أن يهمك:



من الغريب أن يقول لك زوجك أنه سيكتب لي هذا وذاك، وماذا عن الضرب، المخانقة، أنا حقا لا أفهم هذا، طبعا أنا أصدق، لكني أستغرب حقيقة أنني لا أشعر بذلك، حتى لو فعلت لظننت أنها مجرد نزوة أو حتى قصة خرافية، وكما لو أنك تقولين «أنا الآن في فيينا، وهنالك صراخ هنا، الخ.» وننظر كلانا من خلال النافذة إلى فيينا، ولا نجد ما يستحق الانفعال له.

لكن هنالك شيء واحد، حين تتحدثين عن المستقبل، هل تنسين أحيانا حقيقة أنني يهودي؟ حتى لو سجدت تحت قدميك، ستبقى اليهوديات واليهود خطرين بالنسبة لك.

(براغ،29 يوليو 1920م)

الخميس

تلك الملاحظة تدل على طيبة ستيسا، وما زال شك لدي بأنها تغيرت عما كانت عليه، إنما ليست ظاهرة في الملاحظة، فهي تتحدث عما هو لصالحك، هنالك ترابط عجيب بينكما، وكأنها علاقة روحية، أشعر بها

تقول ما تودين قوله، وكأنها تقول ما يسمح لها وحدها بسماعه، وحتى ملاحظاتها عما يدور هو شيء عجيب، (كملاحظات حول قصة الجميلة والوحش)، هو لا يستطيع أن يفعل ما لم يسمح له به، ويبقى كذلك بلا تحرك، لكني لا أظن أنها تغيرت حقاً، فتحت أي ظروف كانت ستستطيع أن تكتب مثل ملاحظتها اليوم.

تلك قصص غريبة، إنها تظلمني، لكن ليس لأنها قصص يهودية، ولكن لأن كل يهودي له نصيب منها، شيء مبغض، مسمم، شيء أبدي كالطعام، يجب تناوله متى ما وضع الصحن على الطاولة. لن تستطيعي أن تعبري من خلال تلك القصص إلي، ولن تستطيعي ترك يدينا متلاحمتين طويلاً، لوقت طويل؟

وجدت الضريح البارحة، فلو نظرت إليه بخجل لن تستطيعي إيجاده، لم أكن أعرف أنه يقع بجانب أقارب زوجك، فالكتابة ممكن أن تقرأ إذا انحنيت إليها وأمعنتِ النظر، لقد أزيل الذهب منه تقريباً، لم يبقَ منه إلا الأحجار، وتقريباً لا أزهار تحيط فيه، ولكن ما نفع الأزهار المحيطة بالقبور، لم أفهم الغاية منها إطلاقاً، وضعت بعضاً من زهور القرنفل، على حوافه، شعرت بحال أفضل في الجنازة أكثر مما فعلت بالمدينة، لقد استمر شعوري بذلك لفترة طويلة، فاستمررتُ بالمشي في أنحاء المدينة وكأنها مقبرة.

«جينسيك» هل كان أخاك الصغير؟

هل تشعرين بخير، بدا المرض مخيماً على صورتك، لربما كنت أبالغ، ولربما أنا أبالغ، فما زالت لا أملك صورة حقيقة لك، تلك الصورة التي تظهر فيها تلك الفتاة الباهرة الجمال، الأنيقة، تلك التي في عام أو اثنين ستتخرج من المدرسة، «أما عن فمك فهو منحن إلى الأسفل قليلا، ولربما

سبب ذلك هو الخجل أو التدين» أما صورتك الأخيرة -يجب أن تكون مليئةً بالمبالغة- ، «يجب أن تحكي عن أوقاتنا في فيينا» تلك التي بدوت فيها مرة أخرى بجمال خارق للطبيعة، كصديقي الخيالي، يوماً سأحدثك عنه.

لا لن آتي إلى فيينا، فيبدو الكذب لا مجال له، كيف لي أن أتصل بالعمل مدعياً المرض، وأطلب إجازتين متتاليتين، يبدو ذلك منافياً للعقل، يا روحي الهائمة (وكأنني أناجي نفسي).

لقد قضت ستيسا بعض الوقت معك في «فيلسيلفين» كتبت لك يومياً، أتوقع أنك ستستلمين رسائلي، أما عن البرقية -شكراً- أشكرك حقاً، أتراجع عن كل كلماتي، كما أنه لا يوجد ما أؤنبك عليه، فما تكتبه يداي ما هي إلا مداعبات، فهي غيورة منذ وقت. الآن الشاعر، والمصمم المسرحي، «والذي يبدو أنه موسيقي أيضاً» قدم لزيارتي، لا ينفك عن الزيارة، أحضر لي اليوم قطعتين خشبيتين من عمله هو، يبدو أن عالمه لا يضيق، ومن أجله، ولكي أتصرف بما هو صواب، قمت بإعلامه أنني سأرسلهم إلى صديق لي في فيينا، -كنت أقصدك فيه- لأحصل على تلك النتيجة الفورية، «سأبقي ما هو لك هنا، أم أنك تريده في الحال؟»، وفجأة وصلت برقيتك، وحين كنت أقرؤها وأقرؤها تملكني شعور رائع بالبهجة والطمأنينة، بدأ يتحدث معي بلا انقطاع، «ومن دون أن يهتم بأنه يقاطعني، إطلاقاً» وحين قلت له أن لدي عمل ما، قلتها بصوت عالٍ ليسمعني، قطع حديثه وجمع أغراضه وخرج من دون أن يحس بأنني أسأت له» .

كل أخبارك تهمني، التفاصيل، هي أكثر ما يهمني، وفوق كل ذلك، كيف لك أن تأخذي الأمور بروية، ذلك مستحيل، لا يمكن للطبيب أن يتحدث بما ليس مهماً، على الأقل لا أعتقد ذلك، آه كم يبدو ذلك سيئاً، لكن شكراً، شكراً لك.

(براغ،29 يوليو 1920م)

الخميس، لاحقاً

لا مجال هنا للشك، ميلينا:

كانت حالتي ليست أفضل ما يكون، لربما كنت لأشعر بمزيد من السعادة، بأمان أكثر، بجزالة أكبر، لو لم يكن هناك مجال للشك، حتى في براغ. بجميع الأحوال، أنا أشعر أنني سعيد، حر، وأتحسن -بشكل ملحوظ- يثير الرعب في داخلي، ولو استمرت الأمور على هذا المنوال، لو لم تكن تلك الإضرابات كبيرة لذلك الحد، لو كنت أستلم رداً منك كل يوم، ولم أشعر بأن كتابتك لي تسبب لك تلك التعاسة، ربما كان ذلك سيكون كافياً لي لأتعافى بشكل كبير. والآن ميلينا، أرجوك لا تعذبي نفسك بعد اليوم، لم أفهم الفيزياء يوماً: «أفهم فقط كيف أشعل النار، هذا هو من الفيزياء أليس كذلك؟» وأفهم أيضاً «ميزان العالم» لا أعتقد أنا أحداً يفهمني بشكل أكبر، «كيف لخمسة وخمسين كيلو- عارٍ، أن يغير ميزان العالم؟، كيف له أن يظهر أي تأثير ملحوظ؟» وها أنا هنا كما كنت في فيينا، ومازالت يدانا متماسكتين حتى تفلتي يدك.

~~Franz~~ falsch ~~F~~ falsch ~~Frau~~ falsch
nichts mehr. Stille. tiefer Wald

شعر «ويرفيليبدو» وكأنه صورة تحدق بمن حولها، بما فيهم أنا، وحتى بالشيطان، الذي تشعرين أنه من كتبه.

لم أفهم ما كنت قد كتبته عن رحلتك، لم أفهم إلى أين تودين الذهاب؟

(براغ،30 يوليو 1920م)

الجمعة

دائماً تريدين معرفة إن كنت أحبك ميلينا، ولكنه سؤال صعب الجواب لا يمكن إجابته في رسالة، «ليس حتى في رسالة الأحد الماضي» أضمن أنني سأقول لك الجواب حين نتقابل المرة القادمة، إن لم تخني عباراتي.

لكن لا يجب عليك أن تراسليني عن قدومي إلى فيينا، فلن أتمكن من ذلك، فكلما ذكرت ذلك أشعر وكأنك تشعلين ناراً في جلدي، والتي هي أصلاً كمحرقة، والتي دائماً تحرق وتحرق ولكنها لا تُحرق، بالحقيقة أشعر كأن الشعلات تزداد، وأنا واثق من أنك لا تريدين ذلك.

أنا آسف بخصوص الأزهار التي وصلتك، آسف جداً، لا أستطيع أن أخمن حتى ما كانت تلك الأزهار، والآن هي في غرفتك، فلو كنت خزانتك لانسليت خارج غرفتك إلى الردهة حتى تذبل، لا لا يبدو ذلك شيئاً طيباً، يبدو كل شيء بعيداً، مازلت أرى مقبض باب غرفتك، يغلق أمام عيني كما أرى المحبرة أمامي.

في الهامش: ~~ذلك الرجل غريب، انه مهتم فقط بالطوابع البريدية النمساوية، يمكن لك أن تستخدمي طوابع صغيرة أن لم تستطيعي الحصول على الكبيرة منها~~لا، أرجوك انسي ذلك، فقط انسيه.

حسنا، استلمت برقيتك منذ الأمس، لا، منذ أول الأمس، وحتى الأزهار لم تذبل، ولم تشعرك بالسعادة؟ إن كانت تلك هي أزهارك المفضلة، فأي من الأزهار في كل هذا العالم تسعدك؟ هذا السؤال أيضاً صعب ويجب إجابته شفهياً، لكن أين أنت؟ هل أنت في فيينا؟ وأين تقع؟

لا لا أستطيع أن تخطي الأزهار، وكأنها أحلام يقظة أستمر بالتفكير بها، لكن الأزهار حقيقية، لقد وضعتها في المزهرية، تستمرين بالإمساك بهم وإبقائهم بجانبك، يجب ألا يمسهم أحد فهي أزهارك المفضلة، انتظري، حين تخرج ميلينا من غرفتها، سأمزقك أيتها الأزهار، وسأرمي بك من النافذة إلى ساحة المدينة.

لم أنت كئيبة، هل حدث شيء لم تحدثيني عنه، لا، لا، أعتقد ذلك.

على الهامش، لم أنت حزينة؟

تسألين عن ماكس، وقد أجابك منذ مدة، لا أعرف بها رد عليك، لكني رأيته يرسل رده يوم الأحد، *بالمناسبة هل استلمت رسالة يوم الأحد؟*

كان يوم البارحة يوماً متعباً، ليس إلى حد الإرهاق، لكنه كان متعباً، ربما سأخبرك بتفاصيله قريباً، لقد استلمت برقيتك، وكان شيئاً غريباً علي، تجولت حاملاً إياها في محفظتي، فيها من الود ما لا يمكن لأحد أن يشعر به، للحظة كنت أمشي باتجاه جسر التشيك، وأخرجت البرقية وقرأتها «إنها جديدة، تلك اللحظة التي أقرأ فيها وأمتص كلماتك لأفرغ الورقة، وباللحظة التي أعيدها بها إلى محفظتي تعود كلماتها» وأنظر حولي لأرى وجوهاً لئيمة، ليست حسودة بالضرورة، لكن تلك الوجوه التي تقول «ماذا؟ أنت من دون كل الناس استلمت هذه البرقية» يجب عليك أن تبلغ بذلك فوراً، فلا زهور في طريقها إلى فيينا حالاً، على كل حال، لا يعد استلامك لبرقية شيئاً مغامراً ولكن بدلاً من ذلك؛ أرى تلك الوجوه المريحة الهادئة، الصياد يتجه إلى الصيد، المتفرجون ينظرون حولهم، الأطفال يلعبون كرة القدم، ذلك الرجل على الجسر يجمع أغراضه، ولو أمعنت النظر لوجدت القلق بأعينهم، وكأنهم يجبرون أنفسهم بأن ينشغلوا بما يخصهم، وذلك هو ما يجعلهم

محبوبين، ذلك الصوت الخافت الذي يقول «لا تقلق تلك البرقية تخصك، نحن نوافق عليها، لن نتساءل عن حقك باستلامها، تستطيع أن تحتفظ بها لنفسك»، عندما أخرجها مجدداً،تظنين أنهم سينزعجون من كوني لا أخفيها وأقرؤها بهدوء، لكنهم ليسوا منزعجين، وإنما يظلون على ما هم عليه.

تحدثت اليوم إلى شرقي - يهودي، من الصعب علي أن أصفه لك في الرسالة، لأشرح أهميته لي، ذلك الرجل الضعيف، الصغير، الضعيف، له لحية وعين واحدة، مجرد تفكيري به يسلبني نصف ليلتي، سأخبرك عن ذلك لاحقاً.

إذن لا تملكين جواز سفر، ولا تنوين الحصول على واحد؟

وعلى الهامش: لم أنت حزينة؟



(براغ،31 يوليو 1920م)

السبت

في هذه اللحظة أنا مشتت وحزين، أضعت برقيتك، كيف حدث ذلك لا يمكنها أن تضيع! إن ذلك سيء،أنني أبحث عنها، إنه خطأك أنت، لو لم تكوني بمثل ذلك الجمال لما اضطررت أن أحملها طوال الوقت معي.

ومع ذلك، ما كتبته عن الطبيب أراح قلبي، إذن الدم كان لا شيء، لقد قلت ذلك أنا أيضاً، أنا الطبيب العتيق، والآن ماذا قال عن الالتهاب على رئتيك، لا أتوقع أنه نصحك بالصيام أو حمل الأمتعة، وهل نصحك بأن عليك أن تتحسني من أجلي، أم أنه لم يذكرني إطلاقاً؟ كيف لي أن أكون

مكتفياً إن لم يتحدث عني الطبيب ولو بكلمة، هل هناك خلل بي، أذلك ما وجده في رئتيك!.

وهل حقاً هو شيء غير مهم؟ وحقا لم يكن ليفعل شيئاً آخر غير إرسالك إلى الأرياف لأربعة أسابيع؟ ذلك يبدو بسيطاً.

لا، لا أملك الكثير ضد رحلتك، ليس أكثر مما أحمله على حياتك في فيينا، هيا غادري، أرجوك غادري فيينا، كنت قد كتبت عن توقعاتك العالية بخصوص الرحلة، وهذا كل ما آمل لك.

على الهامش، هل حقا هنالك حرف (T) كبير على جانب المغلف، لا أستطيع رؤيته بوضوح.

ها أنت الآن تتحدثين مجدداً عن حضوري إلى فيينا، يبدو الأمر أسوأ عندما تكتبين عنه بمثل هذه الجدية، تبدأ حينها الأرض تتزلزل من تحتي، وأتسمر مكاني خوفاً من أن تنبذني، ولكنها لم تفعل. لقد كتبت لك عن ذلك مفصلا، -لا أود مناقشة الموضوع مجدداً، فالأسباب أقوى مني، لا أتوقع أنها يمكن أن تكبحني، ليس لأنني أقوى منها، لكني أضعف من أن أترك نفسي مقيداً- أستطيع السفر فقط إن كذبت، وأنا خائف من أن أكذب، ليس ككذب رجل شهم، وإنما كخوف ولد صغير حين يكذب، كما أنني أشعر في أعماقي أنني سأسافر يوماً إلى فيينا من أجلي ومن أجلك، لكني لن أكذب مرة أخرى، حتى لو كان للكذب تحفظات من طرفين إلا أنك وعدتني بالقدوم حالاً،ولهذا لن أذهب، فبدلاً من أن أشعر بعمق علاقتنا ليومين، أرجوك لا تصفي لي كيف سيكونان، ميلينا، إن ذلك يعذبني، وهو ليس بضروري الآن، فهي آمالي اللانهائية.

وتلك الأزهار؟ من الطبيعي أنها ذبلت، هل رأيت يوما الأزهار وهي تذبل إلى الأسفل، لم يعجبني ذلك.

لن أتدخل في حرب تخوضينها أنت وماكس، سأقف على الجانب، أتوقع أن كليكما على حق، وبذلك أكون آمناً. ما تقولينه وبلا شك صحيح، والآن لنعكس أماكننا، لديك بلدك، وتستطيعين نطق اسمها، وذلك أفضل ما يمكن للمرء أن يفعله في بلده، حين يبدأ المرء فلا يستطيع التوقف عن نطقها.

ومن لا بلد له فلا يمكنه أن يتحدث عنه أو يذكره، أن يبحث عنه أو يبنيه، سواء خلع قبعته تحيه لها، أم اتكأ بجانب المسبح في الشمس يروي عنها القصص لتترجم لاحقاً، «وهنا يمكن أن يظهر توتره، ولكن أنتِ يا عزيزتي المسكينة، كم من العمل أرهقتِ نفسك به من داعي الذنب، أتوقع أنك انحنيت بأعمالك، وتشنجت رقبتك وأنا أقف خلفك، لكنك لا ترينني، أرجوك لا تخافي من أن تحسي بشفتيّ تداعبان عنقك، لا أقدر أن أقبلها، لكنه الحب الذي لا يقف بوجهه أحد. نعم، فماكس يظل يفكر بذلك كلما كتب لك.

غريب كيف يستطيع أن يهزمك بكلماته، على الرغم من أن هجومك عليه يبدو صائباً. كتب لك مرة عن عيشي مع والدي و«ديفوس»، وكلاهما خطأ. فالعيش في المنزل كان سيئاً، وليس العيش فقط - إنها الحياة، العيش في محيط طيب -ألم تقرئي رسالتي إلى والدي- كطنين الذبابة على الليمون الغض، طبعاً لها حسناتها أيضاً، أشعر كأنني أسبق نفسي في ماراثون، والآخر في غرفة الطعام، وكأن الإله في حرب، وآلهة النصر تحوم في كل مكان، ما الفائدة من تنقلي الجسدي، حتى لو أكلت في المنزل، وهو ما يبدو أصح لي في وضعي الحالي. أما بالنسبة لـ «ديفوس» فما أوافقه عليه هو تلك القبلة عندما أغادر.

على الهامش: نعم، أرسلي لي «حزينة» كنت أود سؤالك مسبقاً، أن أطلب من أحدٍ في تريبونا أن يتحرى عنك ليس بالأمر الصائب.

(براغ،31 يوليو 1920م)

السبت، لاحقاً،

مها حاولت فرسالة اليوم تجلب السعادة واليمن، فهي مازالت مخلصتي، ميلينا، هل لي من أحد أولئك المخلصين، (لو كنت أحدهم ، هل كنت ستقررين أن تعيشي معي؟، وأنا على أتم الثقة بذلك)، ميلينا هل أنت أحد المخلصين، الذين يؤمنون أنه لمساعدة أحدهم عليه أن يتواجد معهم ولا شيء غير ذلك، وقد كنت قد أنقذتني مرة حين ظهرت في حياتي ومازالت، للحقيقة مازالتِ تفعلين ذلك معي ومع غيري، حتى لو لم يكن يعني لها ذلك الكثير، فإنقاذ شخص ما هو كزراعة بذرة في الأعماق، لكن ما الجيد في ذلك إن كان المنقذ سيسلمك في النهاية شهادة تعليم السباحة، لماذا يرغب المنقذ بتسهيل الأمور على نفسه، لم لا يرغب أن يستمر بمساعدة المرء بظهوره المستمر بحياته، رغبته الدائمة بالتواجد معه؟ وزني 55.4كيلو، ولا أستطيع الطيران، كيف لي أن أطير وهنالك من يمسك ذراعي؟وما الفائدة لنا إن طرنا سوياً؟ بالإضافة إلى ذلك، وهو أهم من كل شيء، أنا لن أستطيع الابتعاد عنك، أنا أحاول فقط الهروب من سيطرة ميران علي.

مساء السبت

كما ذكرت من قبل، كانت غايتي أن أكتب لك عن شيء آخر، لكن ما الفائدة من ذلك، رجعت إلى المنزل بالعتمة، ووجدت راسلتك غير

المتوقعة متكئة على مكتبي، قمت بتمزيق ظرفها، ثم نادوني مباشرة إلى العشاء، فأكلت مسرعا ما لم أعرف بوجوده لولا إحساسي بابتلاعه، حينما قرأت الرسالة بتمعن، بسرعة، ببطء، بشوق، بسعادة، وبلحظة من الروعة، ونهاية باليأس، شعرت بيأس سحق قلبي، لقد كان يفوق تخيلاتي، لكنه كان حقيقياً، لكني على الرغم من ذلك مازلت لا أصدق، مازلت هائماً بسببه، والهيام حقيقي كما هو التصديق، «لا أستطيع القدوم» -لقد قرأت أول سطر وآخر سطر بوضوح،- لكن ما ذكر عن تواجدك في فيينا مرات كثيرة وكأن للمرء عشرات الأحلام، -كل منها تستغرق نصف دقيقة- خلال صحوتك، وأرقك المستمر. أسرعت إلى مكتب البريد أرسلت لك برقية، أخذت نفساً عميقاً، وجلست قليلاً، أجلس هنا أحاول أن أجد مبرراً لأشرح لك لِمَ لن أستطيع القدوم، حسناً، أنت تعتبريني لست ضعيفاً، وربما سأنجح باجتياز الأسبوع القادم،عندما تبدأ الساعات تتبسم لي، (كما تفعل الآن) وتسأل «هل تقصد أنك لم تذهب إلى فيينا؟ استلمت هذه الرسالة ولم تذهب إلى فيينا؟ لم تذهب إلى فيينا؟ لم تذهب إلى فيينا؟» لست بارعاً في الموسيقى لكن تبدو لي ككلمات موسيقية كما لن يفهمها سواي.

أنا غير قادر على الذهاب إلى فيينا لأني لن أستطيع الكذب على إدارة المكتب، وهنالك فقط سببان ممكن أن أكذب لأجلهما، الخوف: «وهو جزء لا يتجزأ من عملي هذا، فأحياناً أكذب في عملي بكلمات تحضرني فجأة»، أو ممكن أن أكذب لحاجة ماسة إلى ذلك «في حالة أن أحد آخر قد مرض، شخص آخر، آخر، وليس أنت ميلينا، فأنت لن تمرضي، وهذه هي أسوء الأحوال، ولن أتحدث عن ذلك أبداً»، كما أنني سأكذب إن مست الحاجة إلى ذلك، وفي تلك الحالة لن يكون للبرقية أي أهمية «ليس لها من حاجة كما لو احتجزت نفسها في مكتب البريد»، وستذهب إليك سواء سمحت لها أم

لا. لكني لن أكذب لاحتمالات أخرى، ففي حالة كانت سعادتي منطوية على ذلك، فيبقى السؤال ، كم حاجتي إلى تلك السعادة؟.لن أستطيع فعل ذلك، كما لن أستطيع أن أنزل 20 كيلو آخر. لو أخذت البرقية الأخيرة إلى المدير، أعرف أنها ستسقط من يديّ، ولو سقطت سأدوس فوقها، سأدوس على الكذبة، وقد فعلت ذلك، وأعرف أنني سأترك مكتب المدير كما لو لم أكن ذهبت إليه.

اعرفي يا ميلينا، أن المكتب ليس مجرد مؤسسة غبية، بلهاء، «وحتى لو بدت كذلك في أغلب الأحيان، لكن تلك ليست هي النقطة المهمة، فبالحقيقة هي مؤسسة رائعة بدلاً من أن تكون غبية» لكن في هذه اللحظة المؤسسة هي حياتي، صحيح أنني أستطيع أن أتركها، وذلك لا يبدو وكأنه شيء سيء فعله، إلا أنها كانت حياتي لهذه اللحظة، أستطيع فيها أن أخدعهم، وأعمل أقل من غيري -وأنا فعلاً كذلك-، أستطيع أن ألخبط الأوضاع وأنا أفعل ذلك، بينما مازلت أظهر كالرجل المهم فيها – كما هي الحال الآن، أستطيع أن أقبل تلك المهمة السحرية كعمل لي، لكن أن أغادر فجأة بكذبة، كرجل حر، لا تنسي أنني مجرد موظف، -ليس أكثر- لا مجال لي أن أذهب إلى المكان الذي يدق له قلبي أكثر من غيره، لا أستطيع الكذب هكذا. قبل أن أستلم رسالتك، كنت عزمت أن أكتب لك أنني سأسعى إلى تجديد أو استبدال جوازي هذا الأسبوع، لأكون قادراً على القدوم لك متى أردت ذلك. أنا أعيد قراءة ما كتبته، ويجب ألا يبدو كما هو الآن، قد لا أكون قوياً، لم أستطع قول ما أريد بطريقة صحيحة. شيء آخر،من المحتمل أنني أسوأ كاذب في المكتب، -مثل موظفي الإدخال، من يدعون أنهم ضحايا العمل، أحدهم يعتبر نفسه يعمل كثيراً، فمجرد تفكيره بذلك يجعلني أرغب بالذهاب إلى فيينا،- فهم يحاولون أن يشعرونا أنهم كماكنات

في المكتب، وهو يديرها أفضل من غيره، ماكنة وضعت في المكان الخطأ كنتيجة لاقتراح أحمق. فتبعا لمعتقداته، يجب أن يكون عجلة كبيرة جداً، جداً، لكنهم يتعاملون معه وكأنه عجلة صغيرة، بل أصغر .. الخ . بالنسبة لي أتعامل مع المكتب على أنه بشري، كما هي حال المدرسة الابتدائية، المدرسة الثانوية، الجامعة، الأهل، وكل شيء آخر، تنظر لي وكأنني شخص بعينيها البريئتين، شخص حي وما أصبحت إليه، مرتبط بشيء لا أعرفه. يبدو لي ذلك الشخص غريباً عني، فها أنا أسمعهم يقودون سياراتهم حول الساحة، كما تبدو حماقة الغريب، حقيقيةً. ولكن ذلك هو سبب اختياري، فأنا لا اطمح لتغيير الحقائق، فأنا نفسي أعتبر نفسي غريباً، فهل لعاقل أن يفقه ذلك؟ هل ترين أنا لست جيداً كفاية بالكذب. لا أنا لست قوياً، ولا أستطيع الكتابة، ولا عمل أي شيء، والآن ميلينا وفوق كل ذلك أنت تبتعدين عني، حتى لو لم يكن لفترة طويلة، وأنا أعي ذلك، لكن تذكري أن المرء لا يستطيع الحياة من دون خفقات قلبه، فكيف لقلبي أن يخفق وأنت بعيدة عنه؟

لو استطعت فقط أن ترسلي لي برقية بعد هذه الرسالة، كرجاء وليس أمراً، افعلي ذلك لو رغبت به، فقط إن رغبت بذلك، ولاحظي أنني لا أضع لك خطا تحت ذلك.

تذكرت الاحتمال الثالث الذي يجعلني أكذب، لو كنت قريبة مني، وعندها فقط ستبدو أبرأ كذبة على الإطلاق، وعندها من سيذهب إلى المكتب ليطلب إجازتي سيكون هو أنت.

(براغ، 1 أغسطس 1920م)

الأحد

لازلت لا أتخيل ما سيكون ردك على رسالة مساء السبت، ويبدو أني لن أعرف لزمن طويل، على كل حال أنا أجلس في الكتب لمناوبة يوم الأحد، «مؤسسة غريبة، يكفي أن تجلسي هنا لتجعلي الموظفين الآخرين يعملون أقل من المعتاد، وأنا أفعل ذلك»، الجو كئيب خارجاً، لدقيقة الجو ماطر، وبعدها يظهر النور من بين الغيوم، لتزعج كتابتي، هذا ما يبدو عليه الحال هنا، كئيب وثقيل. وثم تكتبين لي عما إن كان لي رغبة حقيقية بالحياة، ليس الأمر كذلك اليوم، لكن ما هو اليوم بالنسبة لي!، أو حتى الليلة، أرجوك أن ترسلي كلاماً رقيقاً من فترة إلى أخرى، فهذا ما أرغب به، القليل منه على السطح. فأنا لا أعجب نفسي كثيراً، أنا أجلس مقابل باب مكتب المدير، والمدير ليس موجوداً، لكني لن أستغرب إن خرج قائلاً: «أنا لست معجبا بك أيضاً، ولهذا أنت مطرود» «شكراً لك» كنت سأرد عليه، «أنا بحاجة إلى ذلك لأذهب إلى فيينا» «في تلك الحالة» كان سيقول: «لقد بدأت أعجب بك ثانية، ولذلك أتراجع عن طردي لك» «أووه» كنت لأقول «إذا الآن لن أستطيع الذهاب» «لا طبعا تستطيع الذهاب» كان سيرد قائلاً: «لأنني لمرة أخرى توقفت عن الإعجاب بك، أنت مطرود» وهكذا ستستمر القصة إلى ما لا نهاية.

اليوم حلمت بك لأول مرة منذ رجوعي إلى براغ، أتوقع أنه كان في الصباح، قصيراً، وثقيلاً، بدا كسعال قوي بعد نوم مزعج، لا أذكره جيداً، لكنك كنت في براغ، كنا نمشي باتجاه «فيردينانْدستريس» بجانب «فييليمك» باتجاهنا إلى الأحواض المائية، أحد من معارفك مر بجانبنا، التفتنا باتجاههم، تحدثنا معهم، وكأنك ناقشت شيئاً عن «هو ليس في براغ،

إلا أنني سأبحث لك عن عنوانه» تحدثت بنفس أسلوبك المعتاد، لكنك بدوت كمن تخفين شيئاً، شيء كان من الصعب معرفته، بعض من الرفض، لم أتحدث معك عن ذلك، إلا أنني لعنت نفسي، وكأنني أعيد تلك اللعنة الواقعة علي أصلاً، ثم كنا في المقهى، بدا كمقهى الاتحاد، «كان في طريقنا، وكان الوحيد المفتوح في ذلك المساء»، كان رجل وامرأة يجلسان على طاولتنا، لكنني لا أذكر من كأنا، بدا الرجل شبيها بـ «دوستوفيسكي» لكنه أكثر شبابا، بلحيته السوداء وشعره، بدا يشبهه بكل شيء، كمثال حاجبيه، وتلك العقدة المرسومة فوق عينيه، وكنت جالسة هناك وأنا كذلك، لم يبد عليك خيانة نابعة من تصرفاتك، لكن الرفض كان ما زال موجوداً، -لم أستطع أن أرفع عينيّ عن منظر وجهك الغريب- المغطى بالبودرة، ماذا أيضاً، بدا وكأنه غير مصقول، موضوع بشكل سيء، كان الجو حاراً، فبدأت البودرة تذوب على خدودك، مازلت أراهم إلى الآن، كنت أحاول أن أميل عليك لأسألك لم تضعين البودرة، كأنك عرفت أنني سأسألك ذلك فأجبتني في منتصف حديثي، وكما قلت سابقاً، الرفض من جهتك كان واضحاً، فقلت «ماذا تريد؟»، لذلك لم أستطع أن أسألك، لم أجرؤ على ذلك، فبدأت أفكر أن وضعك لتلك البودرة ما هو إلا اختبار لي، كمحاكمة حاسمة، فقد كان علي أن أسألك، وقد كنت أريد ذلك، لكني لم أجرؤ، تلك النسخة من «دوستوفيسكي» عذبتني أيضاً، فقد كان أسلوبه شبيها بأسلوبك، لكن باختلاف بسيط، فكلما كنت أسأله عن شيء كان يرد بودية، واهتمام، منحنياً باتجاهي، بصراحة، عندما كنت أفرغ من أسئلتي كان يعود إلى تصرفاته الحمقاء، -كما كان قبل أسئلتي بدقيقة- منغمساً في قراءة كتابه، متناسياً العالم كاملاً وحتى أنا، وكأنه يختبئ خلف لحيته وشعره، لم أعرف لِمَ احتملت ذلك، حاولت استدراجه مرة أخرى بسؤال، لكن مع مرور الوقت كنت قد خسرته مرة أخرى بسبب أخطائي، فلم أستطع فعل غير ذلك.

عندي نهاية صغيرة عن ذلك، لن تستطيعي أن ترفضيني بذلك اليوم، لقد أنحى الخطاب نحوي، لم يكن علي أن أتمرد على الأوامر، اشتريه، استعرته من زوج أختي، أعارني إياه زوج أختي، فوهبني تلك المتعة.

على كل حال أنا لست مهتماً بها داخله، لكني أسمع صوتاً، صوتا بداخلي، امنحني تلك السعادة، أحطني لتمنع عني ضجيج العالم، وما يتبقى من مقاله أجمل، فقد قرأته بعينيَّ فقط، لكن كيف شعر دمي بكلماته بتلك السرعة، بسرعة حتى شعرت بحرارة في أوردتي بسبب كلماته، إنه ممتع. عادة أنتمي للمجموعة الأخرى، فالوزن في قدميَّ يخصاني، ولا أضغط على أحد من الناشرين بشأن منشوراتي، قال عني رجل ذات مرة أنني أسبح كالبجعة، وكان ذلك بعيداً عن المديح، لكنه محمس، أشعر بعملاق بعيداً عنك، بتلك اليدين الممتدتين، ذلك صعب عليه فقد ظن أنه سيردهم عنك، لكنه يحاول جاهداً ألا يضيع سماع كلمة منك أو أن ينزل ناظريه عنك، ذلك الغبي ذو الرأس الضخم -حتى النساء منهم- واللاتي كن يصرخن، أين هي الموضة؟ متى ستظهر أخيراً؟ إلى الآن مازلت لا ترى إلا «ميلينا» وهذا فعلا ما أعيش من أجله. في الحقيقة، لقد ارتحت من العالم وقذفت في البحر الهائل، يا لها من راحة! ما الذي قلته عن اختراع كذبة؟ أنك لا تستطيع الكذب على المكتب؟ حسناً، سأجلس هنا فلم يتبقَّ لي سوى التعاسة اليوم وغداً، فلن يكون هنالك رسائل. فذلك الحلم كان آخر خبر منك.

(براغ،1 أغسطس 1920م)

مساء الأحد

بسرعة، ها هو الاحتمال الذي يتجدد كل أسبوع، لِمَ لم أفكر به سابقاً؟ على كل، علي أن أجهز جواز سفري أولاً، وليس ذلك سهلاً كما تعتقدين، ويكاد يكون مستحيلاً لولا «أوتلا»:

سأسافر من الخط السريع من هنا إلى فيينا عند الساعة الثانية صباحاً، غدا سأتأكد من التوقيت، وفي ذلك الوقت تكونين حجزت لي تذكرة العودة إلى براغ يوم الأحد على الخط السريع، وترسلين لي برقية أنك فعلت، فمن دون أن يصلني خبر منك لن أتمكن من مغادرة براغ، تلاقينني في المحطة، ونبقى معاً لأربع ساعات، وأعود مسرعاً إلى براغ الساعة السابعة صباحاً.

إذن هذا هو الاحتمال الوحيد، أعترف أنه محزن نوعا ما، فقط لنقضي أربع ساعات متعبة، «وأين؟ في فندق فرانز - جوسيف - باهنهوف»، لكن مع ذلك هذا احتمال، إن كنت توافقين عليه، عليك أن تلاقيني في «جموند» حيث سنقضي الليلة، «جومند» مستعمرة نمساوية صحيح، إذن لن تحتاجي جواز سفرك، سأصل تقريباً الساعة العاشرة مساءً، ولربما أبكر قليلاً، وسأغادر يوم الأحد على الخط السريع، فمن الأسهل الحصول على مقعد يوم الأحد، حوالي الحادية عشرة صباحاً، ولكن لا أعرف كيف ستأتين إلى هناك وكيف ستعودين؟

إذن ما هو قولك، غريب أن أذكر ذلك الآن في حين تحدثت كثيراً طوال اليوم، عنوان «كراسا» : فندق ميرنباد سترين.

(براغ،2 أغسطس 1920م)

الاثنين،

يظهر من خط الرحلات أن الأمر سيكون أفضل مما توقعت، أرجو أن تكون خطة السير صحيحة، وهذا ما بدت عليه :

أولا، أسوأ الاحتمالات: أغادر يوم السبت الساعة الرابعة والربع، وأصل الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق إلى فيينا، ولدينا بهذه الحالة سبع ساعات نقضيها معاً، طبعا 7 ساعات إن استطعنا النوم الليلة السابقة (ليس ذلك سهلاً)، وإلا سأتحول إلى حيوان مريض بين يديك.

الاحتمال الثاني: وهو ما يبدو رائعاً على خط الرحلات، أغادر من براغ الساعة 4:15، وأصل إلى «جومند» 7:28، حتى لو غادرت على الخط السريع لن أصل قبل الـ 10:45، بذلك نحصل على 15 ساعة معاً، وبهذا نحصل على نوم قليل، وما هو أفضل في هذه الحال هو أنني لن أضطر إلى الرجوع عن طريق القطار، فهناك عربة إلى براغ تغادر 4:38 مساء، وأغادر على متنها، وذلك يعني 21 ساعة معاً، وهذا ما نستطيع -لو فكرت قليلا فيه- أن نفعله نهاية كل أسبوع، على الأقل سنفكر بذلك.

لكن هنالك فقط نقطة واحدة، لكني لا أظن أنها جدية، على كل حال عليك أن تبحثي بخصوصها، فالقطار في «جومند» تشيكي، على أرض نمساوية، فهل ستحتاجين إلى جواز سفر لتعبري إليها، ففي هذه الحالة، لو أراد احد سكان «جومند» أن يذهبوا إلى فيينا سيحتاجون إلى جواز سفر بتأشيرة تشيكية، لكني لا أعتقد أن هذا هو الحال، فذلك سيكون ضدنا، ألا يكفيني أننا سأضطر إلى تضييع ساعة في المنطقة الجمركية قبل أن أغادر المحطة، وهذا ما سيقتطع من ساعاتنا 21.

لا إضافة إلى هذه الفكرة المذهلة، أشكرك على أنك لن تتركيني من دون رسائل اليوم، لكن ماذا عن الغد؟ لن أهاتفك، لأنه يضايقني، وثانيا لأنه شبه مستحيل، فقد بحثت بذلك الخصوص، وثالثاً: لأننا سنتقابل شخصياً قريباً جداً. للأسف لم تتمكن «أوتلا» من أن تذهب إلى محطة

الشرطة لاستعجال جواز سفري ستهتم بالموضوع غداً. ما تفعلينه بخصوص البطاقات البريدية مذهل، -كان الرجل سيبدأ بالبكاء حين أعلمته عنها- طبعاً سهلت الأمور على نفسك، بأن تشكريني على البطاقات، وذلك يجعلني سعيداً حقاً، يجعلني بذلك سعيداً إلى حد أنني سأرسل لك بطاقات بريدية للفيالقة، تخيلي ذلك، لا أشعر أنني قادر على أن أروي لك قصصاً خيالية اليوم، أحس رأسي وكأنه مضمار سباق أو سكة قطارات تصل وأخرى تغادر، ناهيك عن المنطقة الجمركية، «ضابط التفتيش يتكئ منتظراً، ينظر لكي يثب على تأشيرتي، لكن هذه المرة كل شيء قانوني، أرجوك «انظر هنا» أو «حسنا، انظر هناك ذلك هو مخرج المحطة»، «أرجوك سيدي المفتش، هل يمكنك أن تعطف علي تمسك لي باب الخروج، لا أستطيع فتحه، أظن أنني ضعيف جداً فميلينا تنتظرني خارجاً» «أووو..أنا أعتذر» يقول «لم أعلم ذلك» وتفتح الأبواب أمامي.

(براغ، 2، 3 أغسطس 1920م)

ليلة الاثنين،

الوقت متأخر جداً، يتبع يوما كئيباً في كل تفاصيله، أظن أنني لن أستلم رسالة منك غداً، فمعي رسالة يوم السبت، فرسالة مكتوبة يوم الأحد لن تصلني قبل يوم بعد غد، بذلك سيكون غداً متحرراً من الرسائل، أستغرب كيف تعميني رسائلك، ميلينا، منذ أسبوع أكثر بقليل، أشعر أن شيئاً غريبا يحدث معك، شيء مفاجئ أو متدرج، شيء أساسي أو مجرد عارض، شيء واضح أو متشكك، فمهما كان هو أشعر بوجوده. لا أستشعر وجوده من كلمات رسائلك، -على الرغم أنني يمكن أن ألحظه بين

الأسطر- فحقيقة أن رسائلك ممتلئة بالذكريات، -الذكريات المميزة جداً- ومع أنك تجيبين على كل شيء كما جرت العادة، إلا أنك لا تفعلين، يبدو أن حزناً يتملكك بلا سبب، لحد أنك تريدين إرسالي إلى «ديفوس»، ففجأة تريدين مقابلتي، «بعد أن وافقت من دون اعتراض على عدم قدومك إلى هنا، وبعد اقتناعك أن فيينا لا تصلح للمقابلة، وبعد أن قلت أننا يجب ألا نتقابل قبل مغادرتك، والآن فجأة، وبعد رسالتين أو ثلاث، تبدين مستعجلة جداً لرؤيتي، فرسائلك تحوي خوفاً دفيناً، سواء علي أو مني ذلك ما لا أعرفه، والآن ذلك الخوف الذي يجبرك على طلب رؤيتي بسرعة، وأنا فرح حقاً لإمكانية تقابلنا، وحتمية حدوثه، لو لم تستطيعي أن تمضي الليلة خارج فيينا، سنتمكن من أن نغامر بقضاء عدد من الساعات معاً، استقلي الخط السريع يوم الأحد قبل الساعة 7:00 إلى «جومند»، كما فعلت المرة الماضية، تصلين الساعة العاشرة، نتقابل حينها، وبما أنني لن أغادر قبل الساعة الـ 4:30، فسنتمكن من قضاء ست ساعات معاً، ثم تغادرين إلى فيينا في الخط السريع مساءً، لتصلي الساعة الـ 11:15، قبل بداية ليلة يوم الأحد.

لهذا أنا لست مرتاحاً، وبدلاً من أكون مرتاحاً، أتغذى من القوة التي تمدينني بها، وبدلاً من أن أرتاح من قبلك أجد شيئاً مفقوداً في رسائلك، هل أنت مضطرة إلى إخفاء شيء ما، أو أنك تخفين شيئاً بغير قصد منك، فبدلا من أن أكون غير مرتاح، أبقى هادئاً، واثقاً بك أتم الثقة على الرغم من تصرفاتك، فلو كنت تخفين شيئاً، أظن أنك على حق بذلك.

ربما هناك سبب وجيه لهدوئي في وجه كل ما يحدث، فأنت تفضلين الخصوصية، وهو أمر ينبع من طبيعتك، أو من خطأ ارتكبه أحد في حقك، وهو ما لم أره في غير مسبقاً، ولهذا أنا غير قادر على تخيله، وأجده الآن فيك، فعدم قدرتك على أن تزيدي معاناة الناس، ليس من شفقة، فقط لأنك لا

تستطيعين. لا فذلك رائع إلى حد الخيال، لقد كنت أفكر به طوال فترة الظهيرة، و أنا الآن لا أجرؤ على كتابته، - فكل ما أفكر فيه هو محاولتي بالحصول على ضمة منك.

والآن إلى السرير، ماذا تفعلين الآن؟، ما يقارب الـ 11 ليلاً.

الثلاثاء

معرفتي بسيطة في بشرية الناس، ميلينا، ولطالما قلت ذلك مسبقاً، حسناً، «إيليس» مريضة، وهذا يمكن أن يكون دافعا للمرء أن يذهب إلى فيينا، لكن حالة عمتي «كلارا» حرجة، هل تظنين أنني أستطيع أن أخبر المدير عن حالة عمتي من دون أن تتغير ملامحي؟»-طبعا هو خبير بطبع الأشخاص، طبعاً فكل يهودي له عمة اسمها العمة كلارا، لكن عمتي فارقت الحياة منذ زمن طويل- هذا ما يعقد الأمور، ما هو جيد أننا لن نحتجها منذ الآن، لندعها تموت، فهي ليست لوحدها، أوسكار معها، وبالمناسبة من هو أوسكار، العمة كلارا، هي العمة كلارا، لكن من هو أوسكار، ليكن من يكن، المهم أنه معها، أتمنى ألا يمرض هو أيضاً، مطارد الأرامل.

هي رسالة في الآخر، وما هي إلا رسالة، ما قلته في البداية لا ينطبق على رسائل المساء، حتى لو أنهم كانوا سبب ما يحدث معي الآن، (وكما قلت - الهدوء)، ذلك الهدوء الذي لا يغادرني، يا له من أمر رائع أننا سنتقابل! سأرسل لك برقية غداً أو بعد غد على الأكثر، «غادرت «أوتلا» اليوم لترتب أمور جواز السفر»، قالت سواء كنت ذاهباً إلى «جومند» هذا السبت أم لا، فالأمر متأخر جداً لرحلة إلى فيينا هذا الأسبوع، فكما تعلمين أنك على الأغلب قد اشتريت تذكرة العودة من المحطة، أرسلي برقية أعلميني بها

إن كنت قادمة أم لا، استمري بالذهاب مساءً إلى المحطة لتستلمي البرقية المرسلة مني، أعتقد أنها ستكون كالتالي «هذا مستحيل» لا أستطيع الحضور هذا الأسبوع. وإن حدث ذلك لن انتظر التبرير عن طريق البرقيات، فالرسائل تكفي. (سواء التقينا خلال الأسابيع الأربع القادمة اعتماداً إذا كنتِ بالمدينة أم لا، فستكونين مع ذلك بعيدة عني، وفي حالة كهذه يفضل ألا نرى بعضنا لشهر كامل، أو سأتصل بك لإعلامك «سأكون بجومند يوم السبت»، وحينها سأنتظر أحد رديك «لا مستحيل» أو «سأصل إلى جومند يوم السبت» أو «أصل إلى جومند يوم الأحد» وفي مثل هذين الردين سيكون الأمر محسوماً، ولا مزيد من البرقيات حينها. (لا سأرد عليك لأعلمك أنني استلمت برقيتك وأؤكد موعدنا)،كلانا سنغادر إلى جومند لنتقابل، يبدو أمراً بسيطاً جداً.

أضعت ما يقارب الساعتين، اضطررت إلى ترك الرسالة جانباً، «لقد حضر أوتو لزيارتي. أنا متعب، متى سأراكِ، لم لا أسمع اسمك إلا ثلاث مرات كل ساعة ونصف؟ فلو كنت أقدم اعترافاً سأعترف أنني كنت في فيينا، مع أنني لم أحدث أحداً عن ذلك أو أقابل أحداً، ألم أكن هناك؟ أين أنت؟ هل أنت متجهة إلى الكوخ في القرية؟ أنا أيضاً متجه إليه، يا لها من رحلة طويلة، لكنني لن أحتضر من أجل ذلك، فمهما حدث كلانا في طريقنا إلى هناك، لم يبق شيء لنفعله سوى المغادرة.

(براغ،4 أغسطس 1920م)

الأربعاء

أفضل أن أقرأ عن وجهة نظرك عن رحلتي، «فأنت تنتظرين حتى تعلمي عن شوقي» إلا لأنك تعرفين أن تأخرت، ثانياً لأنه أمر مؤلم، أعرف

أن لك تبريراتك، ولم تيأسي من رسالتي يوم مساء السبت وصباح الأحد ؟ ثالثا، فعلى الأغلب أننا سنتقابل يوم السبت. بدا يوم الاثنين أنك لم تستلمي برقياتي الثلاث، أتمنى أن تصلك برقيتي الأخيرة قريباً.

أعلم ما يزعجك من رسالة والدك، بقدر ما تزعجك العلاقات الجديدة مؤكدة -مثل تلك العلاقات التي استمرت طويلاً- والتي تجلب اليأس إلى نفسك، لن تقرئي شيئاً جديداً في رسائله، ولا حتى أنا، الذي لم أقرأ كلمة من رسائله، إنه يشعر بألم في قلبه وبحب اتجاهك، واستبداد، يشعر أن عليه أن يكون مستبداً ليريح قلبه، فالتوقيع لا يظهر الكثير، يظهر الاستبداد فقط، لكن ما يشعر به هو الأسف والحزن الشديد على حالك وهو ما يلغي ما سبق.

على الهامش: جامع الطوابع البريدية سعيد جداً، يا لها من فرحة صادقة.

ربما تكونين مرعوبة من اليأس المتلخص في رسائلك ورسائله، أعلم أني لا أعلم ما تحويه رسائلك، لكن من جهة أخرى، فاليأس ناتج من استعداداته، وكلماتك اللغوية الدفاعية.

وهل ما زال الشك يملأ ردودك؟ أو أنك تفضلين الشك حين تقولين إنك تعلمين ما تودين قوله، هذه غريب، ألم تكوني أجبت وأعدت سؤالك؟ «ماذا يجب أن أقول؟» كنت لأجيب من دون تردد ما ترغبين سماعه.

طبيعي أن بالنسبة لوالدك لا يوجد اختلاف بيني وبين زوجك، ولا شك في ذلك، فبالنسبة للأوروبيين نملك كلانا ذلك الوجه الزنجي، لكن لم ذكرت ذلك في رسائلك، فما زال باكراً أن نتحدث عن ذلك، ولم من الضروري الكذب؟

أعتقد يمكن لجوابك أن يكون كإجابة شخص يراقب حياتك بقلب ممزق، وبلهجة مؤلمة، حيث لا تفارق عيناه النظر إليك، لم قلت لوالدك إن كان سيتحدث عنك بنفس اللهجة «كلها اقتراحات» كل ما هو «مرتب، مرتبط بقوة» لا فائدة منه.

ميلينا تعيش حياتها هي فقط، ولا يمكنها أن تعيش حياة غيرها، أعترف أن حياة ميلينا حزينة، لكن هي حياة صحية وهادئة، وكأنها الجنازة، كل ما تطلبه منك ميلينا هو أن تلحظ ما يلي، إنها لا تطلب منك أي شيء آخر، وخصوصاً لا تطلب مكاناً تقيم فيه، جل ما تطلبه منك هو أن تتبع قلبك وتحدثها من شخص إلى آخر، بمساواة، وألا تبعد نفسك عن قصتها، عندما تفعل ذلك ستكون قد أزلت الغم من حياة ميلينا، ولن تقوم بإضافة المزيد من الحزن إلى حياتك.

ماذا قصدت بكلامك أن كلام والدك سيتحقق يوم ميلادك؟ سأبدأ الخوف من يوم ميلادك، سواء تقابلنا يوم السبت أم لا، أرجوكِ أرسلي لي برقية في مساء يوم العاشر من أغسطس.

ليتك تستطيعين أن تحضري إلى جومند يوم السبت أو الأحد، فذلك ضروري جداً، ستكون هذه آخر رسالة تستلمينها قبل لقائنا وجهاً لوجه، وتلك العينتان اللاتي لم تفعلا شيئاً لأشهر، غير أن تكتبا لك أو تقرأ رسائلك، أو تنظر من النافذة» أخيراً ستراك.

المقال يبدو أسهل بالألمانية، ومع ذلك فيه بعض التحفظات، فبداية قراءته يشبه دخولك إلى مستنقع، وكم من الصعب أن ترفع قدميك لتخطو خطوة جيدة، راسلني قارئ لقصة المنبر، وكان قد وضع بعض التعليقات على بعض النقاط التي اعتقد أنها فهمت خطأ نتيجة الترجمة. ولذلك سأبقي الترجمة معي لمدة.

(براغ،4 – 5 أغسطس 1920م)

مساء الأربعاء

الآن تقترب الساعة من العاشرة مساءً ومازلت في المكتب، فقد استلمت برقيتك بسرعة هذه المرة، وأعتقد أنها جواب البرقية التي أرسلتها لك بالأمس، لكن ختم عليه 4 أغسطس، 11:00 صباحاً، وقد استلمتها الساعة السابعة، لم تستغرق أكثر من 8 ساعات للوصول، وجدته كعزاء لي في البرقية أننا متقاربان في المدة الزمنية، فأستطيع أن أسمع ردودك خلال 24 ساعة، وتلك الإجابة لم تكن «لا تأت».

ومازال عندي شك أنك لم تستلمي رسالتي والتي شرحت لك فيها أنك لست مضطرة للنوم خارج فيينا، ومع ذلك تستطيعين أن تأتي إلى جومند، ومن ناحية أخرى، وكان يجب عليك أن تتنبهي لذلك وحدك. لا مشكلة، ما زلت لا أعرف إن كان علي أن أحضر تذكرة وتأشيرة، مدتها فقط ثلاثون يوماً، كمدة إجازتك، مازلت متمسكاً بتلك الفكرة مهما كانت ضئيلة.

«على الأغلب، سأراك»، كان تلك البرقية واضحة جداً، مازال عندك شك باحتمال مقابلتي، انتبهي لكلامي، ميلينا، ما كنت أحلم بأن أراك بتلك السرعة، سأنتظرك أربعة أسابيع «فأنا لم أنتبه مسبقاً كم هو سهل علينا أن نتقابل»، ولو كنا تقابلنا كنت لأترك لك الفضل في ذلك، ولك الحق أيضاً بأن ترفضي أيضاً، (فذلك بسبب تجاهل حقيقة أنك لم تكوني أتيت فحضورك لن يكون مفيداً، وهذا ما أفهمه)، لم يكن علي أن أذكر ذلك إطلاقاً،لكني كنت مسروراً جداً بأن أعرف بوجود ذلك النفق الضيق الذي يقودني من حجرتي المعتمة إليك، لقد تعلقت به بكل روحي، في طريقي

إليك «قال غبائي مسرعاً: نعم إنه ممكن، طبعاً طبعاً»، وبدلاً من أن أُقتاد إليك، تلقيت صفعة بتلك الصخرة القاسية «أرجوك لا تأت»، والآن يجب على أن أعود خائباً إلى روحي، أن أعود من خلال ذلك النفق، بدأت أحفر سريعاً وملأته. إن ذلك مؤلم، هل تعلمين ذلك، لا يمكن أن يكون بذلك السوء حيث أنني سأكتب عنه في أوقات متفرقة، فالمرء سيجد دائماً طرقاً ليعبرها، وحتى لو كانت من صنع الخلد قديماً.

على الهامش: لست ضد رحلتك، وكيف لي أن أكون، لم تظنين ذلك؟

ما يشعرني بسوء هو أنني ظننت أن مقابلتنا مهمة جداً لأسباب أوضحتها بالأمس، ولك ما حدث لن يغيره شيء وهو ما وضحته لي برقيتك لتضعني بذلك الحزن العميق. لكن يمكن لرسالتك التي ستصلني بعد غد أن تحوي على ما يريحني.

لي طلب واحد بعد، رسالتك اليوم تحوي عبارتين قاسيتين، الأولى «لكنك لا تأتي إلا إذا شعرت أنك تريد ذلك» وهي عادلة نوعا ما، الأخرى فرويل فرانك، -سأستعير الباقي لتري كم كانت كلماتك قاسية- «في هذه الحالة لن يكون معقولا أن أرسل لك تلك البرقية المزيفة، لن أرسلها، إذن لم أرسلتها»، تلك هما العبارتان، أما رسالة فرويل فرانك فليست عادلة أبداً، هل من الممكن أن تتراجعي عن كلامك بطريقة ما، إن تتبعتهم جيداً، الأولى بما يخصك، أما الثانية فلتسحبيها كاملة.

نسيت أن أرفق رسالة والدك هذه الصباح، كنت قد انتبهت أنها رسالته الأولى لك منذ ثلاث سنوات، أفهم الآن لم شعرت ذلك الشعور، وهذا ما كان يجب أن يميز رسالتك، فهي تحوي العديد من الأمور الجديدة.

وبالمناسبة، أظنني أخطأت فهمك كثيراً، ظننت أن والدك لم يتحدث مع زوجك من قبل، ستيسا - أو غيرها. ذكر أنهما تحادثا مرات عديدة، وهذا شيء ربما تحدثت عنه مسبقا.

نعم رسالتك تحوي عبارة ثالثة أيضاً، والتي وجهت إلي بقسوة أكثر مما فعلت سابقاتها، تلك الجملة عن الهلوسات التي تؤذي المعدة.

الخميس

إذن هو اليوم الذي خفته مسبقاً، ذلك اليوم الذي يمر من دون رسائل، وهل حقا تقصدين ما قلته في رسالة يوم الاثنين بأننا لن نستطيع الكتابة بعد ذلك، من الجيد أنني مازلت محتفظا ببرقيتك لأتشبث بها.

(براغ،6 أغسطس 1920م)

الجمعة

تشعرين بحال سيئة، أسوأ ما كنت منذ التقيتك، وأكاد أكون متأكداً أن سبب سوء حالك هو ابتعادك عني، نعاني معاً، يشعرني ذلك بأنني في غرفتك، وأنت لا تلحظينني، وأنا أتفاجأ من دون حول ولا قوة، ذهاباً وإياباً بين السرير والنافذة، غير قادر على أن أثق بأحد، لا الأطباء، ولا العلاجات، ومن دون أن أعرف شيئاً، أحدق في تلك السماء الكئيبة، والتي للمرة الأول -تظهر بذلك الهرج منذ سنوات عديدة- لتكشف عن حقيقتها، بائسة لا فائدة منها مثلي، هل تستلقين على فراشك؟ من يحضر

لك طعامك؟ ما نوع الطعام الذي يقدمونه؟ وماذا عن ذلك الصداع. اكتبي لي القليل عنهم حين تسمح لك الظروف، تصادقت مع رجل يهودي غربي مرة، ممثل، والذي كان يعاني من صداع سيء كل ثلاثة أشهر يلازمه عدداً من الأيام، وعدا ذلك كانت صحته جيدة، لكن أيام تعبه كان يذهب إلى الشارع، كان عليه أن يتكئ على جدران البيوت، ولم يكن لأحد أن يفعل له شيئاً عدا المشي صعوداً ونزولاً لنصف ساعة بانتظاره، المعافى يهجر المريض، لكن المريض أيضاً يهجر المعافى، هل يشفى الألم وحده؟ ماذا إذن عن الطبيب؟ ومنذ متى كنت تعانين منه؟ ولربما تتناولين الأدوية أيضاً؟ سيء سيء، ولا أستطيع أن أقول عنك طفلة.

على الهامش: أرفق لك 6 طوابع بريدية للفيالقة، مجرد شكر واحد يكفيني، لكن ضعيه في رسالة، حيث أن الجو أدفأ له هناك.

من المخجل أن مغادرتك تأجلت مرة ثانية، والآن لن تستطيعي المغادرة إلا بعد أسبوع من الخميس، حسنا، لن يفرحني أن أعرف أنك تعيشين بين البحيرات، والغابات، والجبال. ولكن كم من السعادة ينقصني؟ طماع، يا لي من رجل طماع! من المؤلم أن أعرف أنك ستعذبين نفسك لمدة أطول في فيينا.

سنتناقش بموضوع «ديفوس» مرة أخرى، لا أريد أن أتحدث لأنه بعيد جداً، وغال جداً، ولا حاجة له، إن تركت براغ، وأتوقع أنني سأفعل ذلك، سيكون من الأفضل لي أن اذهب إلى قرية ما، لكن من سيستقبلني هناك؟يجب أن أفكر بذلك بترو، على كل لن أغادر قبل شهر أكتوبر.

ليلة البارحة، قابلت «شتاين»، أعتقد أنك تعرفينه من أيام ذهابك إلى المقهى، يقارنه الناس دائماً بالملك «ألفونسو» إنه الآن متدرج عند محام،

كان فرحاً جداً برؤيتي، أراد أن يتحدث عن بعض أمور العمل، واتفقنا أن يتصل بي لاحقاً اليوم التالي، «حسنا ما هو؟» «إنه عن الطلاق، والذي يظهر أنني مرتبط به بشكل ما، لقد طلب مني أن أتدخل من أجل الصلح» «بأي طريقة» يجب علي أن أتواصل مع قلبي، ولكن علمت لاحقاً أن والد أحد الشعراء الذين يعملون معي هم من يريدون الطلاق، طلبت والدته مني أن أكتب لها شعراً عن طلاقهما وكيف كان يعاملها.

يا له من زواج غريب! كانت الأم متزوجة من قبل، ورزقت بطفل الشاعر، من زوجها الحالي أثناء زواجها من الأول، نسب الشاعر إلى زوجها الأول وليس لوالده، ولكنهما الآن وبعد أن تزوجا أرادا أن يعيدا نسب الشاعر إلى والده، الآن طلاقهما مكتمل، وهي تبحث عن سكن لتقيم فيه، ولعدم تمكنها من إيجاد مسكن، استمرا بالعيش معا كزوجين، وعلى الرغم من طريقة السكن هذه -لعدم توافر مسكن- لم يقم الرجل بإرجاع زوجته إليه، ولم يثنيه ذلك عن إكمال إجراءات الطلاق، أليس حالنا نحن البشر يرثى له إلى حد الضحك؟ أنا أعرف زوجها، رجل أنيس، طيب، مسؤول، قادر مادياً واجتماعياً.

أرجو أن ترسلي لي كل ما تفعلينه، وكلما كانت رسالتك أطول، كلما كان ذلك أحسن، سأزحف إلى كل كتاب، إلى كل ما يمكنه أن يرسلني إلى فيينا، «والمدير لا يمانع ذلك» وأرجوكِ أعطيني فرصاً لأسافر بقدر استطاعتك، يمكنك أيضاً أن ترسلي التقرير الذي طبع عن كتاب المنبر. بالمناسبة أنا أتطلع شوقاً إلى رحلتك مثلك تماماً، عدا البريد السيئ، ستكتبين لي كيف المكان هناك، ليس أنت، بل المكان نفسه، حياتك فيه، الشقة، مشيتك، المنظر من نافذتك، ماذا تأكلين، لأستطيع أن أشاركك بعض الشيء.

(براغ، 7 أغسطس 1920م)

السبت

هل أنا حقاً طيب وصبور؟ لا أعرف عن ذلك شيء، لكن ما أعرفه أن برقية تدب الحياة بي، مع أنها مجرد برقية وليست يدك لأمسك بها. لكنها تبدو حزينة، متعبة، مكتوبة بألم المرض، إنها حقاً حزينة، ماذا بعد، لم يصلني رسالة اليوم، يوم آخر من دون رسالة، يبدو أنك تكتبين القليل، من يمكن أن يضمن لي أنك أرسلت البرقية بنفسك، ولا تمضين يومك كاملاً بالفراش، مسجونة في غرفتك، والتي أرغب أن أعيش بها أكثر من غرفتي؟

البارحة ارتكبت جريمة من أجلك، حلم جامح، ليلة سيئة جداً، لا أذكر الكثير عنها حقاً.

وأخيراً استلمت إحدى رسائلك، إنها واضحة، حسناً، حسناً، لم تكن أكثر وضوحاً من غيرها، لكن المرء لم يجرؤ أن يدقق أكثر في وضوحهم، بالمناسبة، منذ متى أصبحت تستطيعين الكذب؟ فرأسك ليس من أولئك القادرين على الكذب. أنا لا ألوم ماكس، طبعاً، من دون أن أعرف ما كان في رسالته، لقد أخطأ، لا شيء، ولا أحد من أفضل الأشخاص عندي يمكن أن يقف بيننا، ولهذا تماماً ارتكبت الجريمة في حلمي ليلة أمس، أحد ما، من الأقارب، قال في خضم محادثة لا أذكرها جيدا لكنها تخص ذلك الشخص أو شيء لم يستطع إكماله، قال أحد الأقارب بسخرية: «لربما هي ميلينا» عندئذ قتلته وعدت إلى المنزل، وكل شيء تم على ما يرام، استمرت أمي بالركض خلفي، هنا في المنزل جرى حديث شبيه بذلك، وفجأة انفجرت غاضباً، «إن تكلم أي شخص بسوء عن ميلينا، ولو كنت أنت يا والدي، سأقتله، أو سأقتل نفسي» وثم استيقظت، لم أعرف حينها إن كان ذلك حلم أو حقيقة.

وبالعودة إلى رسائلك السابقة، إنها تشبه رسالتك للفتاة، فلم تكن رسائل الليل إلا آسفة عن رسائل النهار، فبرسالة الليل ذكرت أن كل شيء ممكن، ماعدا فقداني لك، وبصراحة كنت محتاجاً لمثل هذه الدفعة وأصبح المحتمل ممكناً .

فبكل المناسبات: تريحني تلك الرسالة، فأحيانا يشعر المرء أنه سيدفن حياً من وقع الرسائل التي سبقتها، يشعر المرء أيضاً أنه مسجون بالمرض، فربما المرء كان ميتا أصلاً.

لا شيء من ذلك فاجأني، فقد كأن متوقعاً، لقد تجهزت له كما لم أفعل من قبل، لأكون جاهزاً لتحمله إن حصل، وبما أنه قدم الآن، لست مستعداً تماماً، لكنه لم يحطمني كثيراً، مع ذلك، فما كتبته عن حالتك وصحتك شيء مرعب، فأنت أقوى مني بكثير، حسناً، سنتحدث عن ذلك بعد أن تعودي، ربما أن المعجزة التي تأملينها ستشفيك هناك، على الأقل المعجزة الجسدية. بالمناسبة، لدي كامل الثقة فيما يتعلق بذلك، فانا أقحمتك بهدوء في الغابة، في البحيرة، والطعام، أنت معجزة الطبيعة، منتهكة، -ولا يجب لمثلك أن ينتهك- لو أن ذلك كان لكل شيء آخر.

عندما أعيد التفكير برسالتك -قرأتها مرة واحدة- ما كتبته عن حاضرك ومستقبلك، ما كتبته عن والدك، ما كتبته عني، ما استنتجته من كلامك وقد بان بوضوح أمامي: أنا أكبر خيبة أمل في حياتك، - فلولا وجودي في حياتك لكنت غادرت فيينا منذ ثلاث شهور على الأقل، وإن لم يكن منذ ثلاثة أشهر الآن على الأقل، أنا أجزم أنك لا تريدين مغادرة فيينا، حتى لو لم أكن حولك كما رغبت بذلك، وهذا هو السبب الذي سيقال عنه، حين النظر إليه من أعين العصفور الصغيرة، يبدو تأثيري العاطفي عليك هو ما يجبرك على البقاء في فيينا، (بالإضافة إلى أمور أخرى طبعاً).

لكن المرء لا يود أن يشارك في الخفايا اللزجة، ماعدا ما هو واقع وهو أنك تركت زوجك مرة، وهذا ما جعل تركك إياه أسهل هذه المرة، فضغط الحياة معه أعظم هذه المرة، والسبب الرئيسي أن تتركيه لأنك يجب أن تتركيه، وليس من أجل أحد آخر. كل هذه الأمور تؤدي إلا إلى الصراحة.

ميلنا، عندي طلبان، طلب بسيط وآخر أكبر، الطلب الأصغر: توقفي عن هدر الطوابع البريدية، وإن استمررت بإرسالها لن أقوم بإعطائها للرجل، أخطط تحت هذا الطلب بالأزرق والأحمر، وهو أقصى ما أستطلع فعله، وهذا ما يجب أن تعرفيه منذ الآن.

أما الطلب الأكبر: توقفي عن مراسلة ماكس، فأنا لا أستطيع طلب ذلك منه، فليس من المقبول في المصحة، وبعد أن قام الطبيب بزيارة المرضى، أن يسأل الضيف وبكل ثقة كيف هي صحة مريضنا، وحتى بالمصحة يبدو المريض يزمجر بجانب الباب.

طبعا يسعدني أن أهتم بكل شيء، لكني أظن أنه من الأفضل شراء (التريكيو -نسيج محبوك-) من فيينا، فهو سيحتاج إلى ورقة سماح بالتصدير، (فبالمكتب البريدي لم يوافقوا على استلام الكتب إلا بورقة سماح بالتصدير، وحين جهزت استلموها من دون أي كلمة)، حسنا ربما يعرفون عن ذلك في المحل، سأستمر بإرسال بعض المال لك في رسائلي، وسأتوقف مباشرة حين تقولين «كفى».

شكرا لسماحك لي بقراءة خطابك، رأيت يوم الأحد فتاة تشتري نسخة من مجلة الموضة، كان واضحاً أنها غير أنيقة، ليس بعد، من المخجل أنني لم ألحظها جيداً، فكيف سأعرف تطوراتها، فأنت على خطأ حين تقللين من شأن مقالات الموضة التي تكتبينها، أنا ممنون لك أنني أستطيع قراءتها على الملأ، (فقد كنت مثل الوغد أقرؤها خفية).

(براغ، 8 أغسطس 1920م)

الأحد

البرقية، نعم من الأفضل أن نلتقي، وإلا كيف لنا أن نضع الأمور في نصابها. من الصعب أن يرى المرء أكثر من خطوة واحدة إلى الأمام. وكيف أن مثل هذه الأمور أدت إلى معاناتك، بالإضافة إلى الأمور الأخرى التي كان يجب أن أوقفها منذ زمن. أستطيع أن أرى الأمور بوضوح أكبر، لكن جبني كان أكبر، ولكن أليس من الكذب أن أرد على رسائلك وكأنها تخصني، حين أعرف تماماً أنها لا تخصني؟ أتمنى أن يكون ذلك الجواب الخادع، هو ما ابتززتك به لتذهبي إلى جومند.

أنا لست حزيناً كالحزن الذي شعرته من رسالتي، لا أجد المزيد من الكلام الآن، لا يستطيع المرء أن يكسر صمته بكلمة واحدة، إذن سنلتقي يوم الأحد لخمس أو ست ساعات، لا تكفي لنتحدث، أو لنتشارك صمتنا، نمسك بأيدي بعضنا، وننظر بأعيننا.

(براغ، 8-9 أغسطس 1920م)

مساء الأحد

هنالك ما يزعجني دوما في طريقة تفكيرك وتحليلك للأمور، وكان ذلك واضح في رسالتك الأخيرة. فمن الصواب أن تبحثي عن ذاتك، عندما تقولين «كما يبدو» أنك تحبين زوجك جداً بحيث لا تستطيعين تركه، - ولا حتى من أجلي، أعرف أنه سيكون سيئاً أن تفعلي ذلك من أجلي «وأعتقد أنك توافقينني على ذلك، وحين تقولين أنك وحتى لو تركته

تعلمين جيداً أنه سيكون بحاجة ماسة لك. ولا يستطيع العيش من دونك، وأنت أيضاً لا تستطيعين العيش من دونه، وأنا أصدقك القول وأوافقك عليه. لكن حين تقولين أنه لا يستطيع مواجهة العالم الخارجي بدونك، وهذا سبب عدم تركك له (وهذا ما يبدو أنه السبب الرئيسي)، يظهر الأمر وكأنك تقولين ذلك لمجرد أن تخفي حقيقة أسبابك التي ذكرتها سابقاً، وليس لتقويهم، (يبدو ذلك كمزحة) وما ذكرته في رسالتك السابقة، يجعل الجسد يتطوى، وليس فقط الجسد.

على الهامش: أشكرك على الطوابع البريدية، بهذه الطريقة يبدو الأمر محتملاً، لكن الرجل لم يعمل أبداً، فقط يبحث عن الطوابع البريدية، يا له من مضطرب. وكما أفعل بالرسائل بالطابق السفلي، فتلك الرسائل المرسلة من 10 ساعات تبدو ثخينة وخفيفة، لكن الرسائل الخفيفة نادرة، ها قد أرسلت المزيد من الطوابع أيتها الملاك الطيب.

الاثنين

لقد كنت أهم بكتابة المزيد عم ذكرته سابقاً، لكني كان ذلك قبل أن تصلني أربع رسائل، بالمناسبة، كانت أول رسالة تحوي أسفك على الخطأ اللفظي الذي تحويه، والثانية احتوت على نفس الخطأ الذي اقترفته مسبقاً، ثم تلك الرسالة الجميلة، وآخرهم تلك الرسالة التي تحدثت عن «إيميلي»، لا أستطيع أن أميز بأي ترتيب كتبن، فقد توقفت عن كتابة الأيام.

سأحاول الرد على سؤالك، ولربما لن أفلح بالرد في محاولتي الأولى، لكن إن استمررتُ أفكر فيها وأعود للكتابة عنها، عندها سأنجح بعد عدة

رسائل من الإجابة بالطريقة المناسبة، سيساعدني لو قرأت رسالتي المفاجأة إلى والدي، فربما سآخذها معي إلى جومند.

إذا دمجتِ بين الخوف والشوق، كما فعلتِ في آخر رسائلك، سيكون السؤال صعباً، لكن إجابته بسيطة جداً، ففي هذه الحالة أنا فقط من أهاب الخوف، إنها كما يلي:

أسترجع ذكريات اليوم الأول، حين سكنا في «زيلنترجيس» مقابل محل الألبسة، كانت تقف فتاة المتجر على الباب دائماً، كنت أسرع بخطواتي على الدرج وأتجه إلى غرفتي، كان عمري حينها أقل من 20 عاما، كنت متوتراً دائماً بسبب اقتراب امتحاناتي، أحاول الالتزام بالحقائق التي لم أستوعبها. كان فصل الصيف، حاراً جداً، بمثل هذه الأيام، كان حره غير محتمل، قضيت معظم وقتي أقف على النافذة، وفمي مملوء بسخافات القانون الروماني، توصلنا أخيراً بعدها إلى التفاهم باستخدام لغة الإشارة، كان يجب أن أذهب لأحضرها الساعة الـ 8:00، ولكن حين ذهبت إليها مساء وجدت شخصاً آخر بانتظارها، لم يختلفا كثيراً، مع ذلك، كنت خائفاً من العالم أجمع، كما كنت خائفاً من ذلك الرجل أيضاً، وكنت لأخاف أكثر لو لم يكن موجوداً، ومع ذلك تمسكت الفتاة بذراعه، ولم تعطني أي إشارة بأن ألحقها، وهكذا ذهبنا إلى المقهى، حيث شربنا شراب الشعير، جلست على الطاولة الجانبية لهما، ثم اتجهنا إلى غرفة الفتاة، ببطء وأنا أخطو على أطراف أصابعي، وهناك غادرنا الرجل، وركضت الفتاة إلى المنزل، انتظرتها لمدة حتى حضرت مرة أخرى وذهبنا إلى فندق في «كلينستيه» لقد كان مغرياً، مدهشاً، ومقززاً بنفس الوقت، وحتى قبل أن نصل إلى الفندق،لم يختلف خارجه عن داخله. وحين اتجهنا إلى المنزل قبل الصباح، كان الجو ما يزال حاراً وجميلاً، لقد كنت فعلاً سعيداً، وكانت سعادتي تنبع من كون هذا

الجسد الغض قد أراحني إلى سعادتي لمرة، ولأن الأمر لم يكن مقززاً أكثر مما كان عليه، أكثر قذارة مما كان عليه. قابلت الفتاة مرة أخرى بعد ليلتين، وجرى كل شيء كما جرى أول مرة، لكنني رحلت إلى رحلتي الصيفية بعد ذلك. في الأرياف تلاعبت بفتاة أخرى هناك، ولم أستطع بعدها احتمال منظر فتاة المتجر في براغ، لم أحدثها بعدها أبداً، فبدت لي «حينها وكأنها عدوي الشيطاني» على الرغم من أن طبيعتها كانت طيبة وودودة. كانت تلاحقني بنظرات عينيها، ولأن الفتاة كانت قد تصرفت تصرفاً مقرفاً في الفندق، (لا يستحق الذكر) وقد قالت شيئاً فاحشاً (لا يستحق الذكر)، لا أقول أن ذلك كان سبباً لعداوتي لها (وأنا على ثقة أن ذلك لم يكن السبب) ومع ذلك ما زالت كذكرى في مخيلتي، لقد علمت حينها والآن أعرف أنني لن أنساها، عرفت ذلك في أعماقي، فالقذارة والقرف كأنا شيئان مهمان في القصة) فكيف أنها أثارتني بمجرد لفظ واحد، مجرد كلمة، تلك الكلمة لتي قد أثرت بي بقوة غامضة في ذلك الفندق، وما زلت أتجنبه إلى يومنا هذا بكل قوتي.

ومازال الأمر كما كان عليه سابقاً، فجسدي ارتاح لسنوات طويلة، ألم يحن له الوقت أن يرتجف من الشوق لشخص معين، شيء تافه، قذر، شيء يبدو بغيضاً، مخجلاً، فاحشاً، كما وجدته سابقاً في أفضل الأحوال، تلك الرائحة المميزة، التي بها رائحة كبريت، رائحتها كما النار. ذلك الحديث الشجاع الذي بداخله اليهودية، ها هو ينجرف في الملذات، يجول عابثاً بهذا العالم الفاحش عبثاً.

كما كانت هنالك فترات لم يرتح جسدي فيها، حين لم يكن هنالك ما يهدئه، وحين بدأت بالإحساس بعدم وجود الضغوطات، بدأت الحياة تبدو أفضل، مسالمة، كان القلق الوحيد فيها هو الأمل. (هل عشت حياة أفضل

منها؟) لقد كنت وحيداً أغلب الأوقات، وكان ذلك معظم الأحيان، والآن وللمرة الأولى في حياتي، أواجه مثل هذه الأيام عندما لا أكون وحيداً، وأنا لا أتحدث عن وجودك الجسدي، لكن أنت نفسك هادئة - مقلقلة. ولهذا لا أشعر بذلك الحنين للاشتياق، (في فترات وجودي الأولى في ميران، قضيت وقتي أضع الخطط الواحدة تلو الأخرى، ومن دون أن أشعر بذلك) فقد خططت لطريقة كي أغري الخادمة، وحتى أسوأ من ذلك، وفي قرب انتهاء إجازتي ارتمت فتاة جميلة بين ذراعي، كان علي أن أترجم كلماتها الكلمة تلو الأخرى للغتي حتى أفهم ما تقول. ولأعود إلى نقطتي، أنا لم أعد أشعر بشوق لأحد، لم أعد أشعر بتلك الرغبة اتجاه أحد آخر، لكن الحياة تقدم لنا المسرات بين الحين الآخر، باختصار،من الهواء ما يستنشق من الجنة قبل أن نزفره، ما يكفي من الهواء لتنسينا الحنين، لكن لا يكفي فلا خوف فيه، وهذا هو السبب لتخوفي من ليلتي في جومند، لكن بتلك الطريقة عشت الخوف الطبيعي، والذي هو للأسف كاف، لما عندي هنا في براغ، فلم يكن خوفاً مميزاً ما شعرت له في جومند.

والآن أخبريني عن إيميلي، فمازلت قادرا على استلام البريد في براغ.

لم أرفق لك شيئاً اليوم ربما غداً، فبجميع الأحوال هذه الرسالة مهمة، أود أن تستلميها بأمان.

يعتبر الإغماء عارض من بعض العوارض، أرجوك تعالي إلى جومند، لن تستطيعي القدوم إن أمطرت يوم الأحد صباحاً؟، حسنا بكل حال، سأنتظرك مقابل المحطة يوم الأحد صباحاً. لا تحتاجين إلى جواز سفر، أليس كذلك؟ هل تأكدت من ذلك؟ هل تريدين مني إحضار أي شيء لك؟ هل ذكرك لستيسا أنك تريدينني أن أذهب لرؤيتها؟ لا أتوقع أن

أجدها في براغ، (وحتى لو كانت في براغ، فإن من الصعب علي رؤيتها) سأنتظر حتى تذكريها ثانية، أو حتى عودتي من جومند، بالمناسبة وبما أنني أتذكر ذلك الآن ذكرت ستيسا مرة أن ظنها كان واضحا جداً: نعم تحدث والدك وزوجك مرات عديدة.

لقد فهمت ملاحظاتي عن لورين خطأ، (يا لها من ذاكرة، ذاكرة حديدة غيورة، ولو لم تكن غيورة كانت ستكون مزحة غبية)، ما يصفعني حقا هو حين ذكر بعض الأشخاص قال عنهم «متخلفون، محتالون، أو متسللون» بينما أنت كنت فقط ميلينا، وميلينا محترمة جداً، وذلك أسعدني، ولذلك كتبت لك عنه، ليس لأنني أنقذت شرفك، لكن شرفه هو، إلا انه كان هنالك عدد من الاستثناءات، فقد ذكر كل من «والد زوجته، أختها، وأخيها، وخطيبته، وزوجها السابق» كلهم وصفهم بالمستقيمين، الأشخاص الرائعين.

على الهامش: إن وصلتِ بعد الساعة التاسعة، وبما أنك نمساوية، لا تسمحي لهم بتأخيرك في الجهة الجمركية، فانا لا أستطيع أن أستمر طويلاً بإعادة ما أرغب بقوله لك، وكأنني أُسمعه لنفسي.

كانت رسالتك اليوم تعيسة جداً، والألم الذي أصابني منها دخل إلى صميمي، أشعر بأنني مستبعد من حياتك تماماً، كلما هممت بمغادرة غرفتي، أبدأ الركض على الدرج للأعلى وللأسفل، فقط لأرجع إلى غرفتي وأجد برقيتك على الطاولة «وأنا أيضاً سأكون في جومند يوم السبت» لكن لم يصلني ردك بعد.

(براغ، 9 أغسطس 1920م)

~~السبت~~، ظهر الاثنين

(يبدو أنني أفكر بيوم السبت فقط)

سأكون كاذباً إن لم أقل أكثر مما قلت لك اليوم صباحاً، وخصوصاً لك أنت، ومع من أتحدث بحرية غيرك، حيث لم أجد يوماً من يقف بجانبي وبإرادته كما تفعلين أنت، فعلى الرغم من كل شيء، على الرغم من كل شيء، (تتميزين بكل شيء عظيم يتميز به العظماء).

تلك الرسائل الجميل منك، (وهذا ما أقوله دوماً، وكما هو الأمر دوماً، وأحياناً، كل سطر من كتاباتك تتجسد لتصبح أجمل ما حدث في حياتي)، وتلك الأسطر التي تستقبل خوفي، والتي تحلله بعدل، حتى لو كنت بعض الأحيان أشبه محام دفاع أخذ رشوة، هنالك جزء مني وربما يكون الجزء الأفضل فيه، وبما أنه أفضل جزء بي فربما كان هذا الجزء الذي تحبينه بي، وماذا بي شيء آخر لتحبيه؟ لكني أستحق حبك.

وحين سألتني كيف أعتبر أن يوم السبت سيكون جيداً وبذلك الخوف في قلبي، الذي يصعب علي وصفه، لأنني أحبك (*هل ترين، أنا أحبك، أيتها البلهاء، حبي يحتضنك كما يحتضن البحر الحصوة الصغيرة في مجراه،* وهل لي أن أكون مثل الحصوة معك، لأعيش بتعيم مطلق)، أنا أحب العالم كله، وهذا يتضمن كتفك الأيسر، لا، الكتف الأيمن كان أولا، وبذلك أقبله متى ما أردت، (وحين تسمح لك طيبتك بأن تنزلي القميص إلى الأسفل قليلاً، وهذا أيضاً يتضمن كتفك الأيسر، ورأسك فوقي في الغابة، ومرات تحت رأسي بالغابة، وأنا أرتاح على نهديك المكشوفتين، وهذا فعلاً يؤكد ما قلته مرة أننا شخص واحد، وأنا لست خائفاً من ذلك، على العكس، فأنت سر سعادتي، وكبريائي، ولن أحصر علاقتي بك في الغابة فقط.

فبين تلك الأوقات الصباحية في العالم، وتلك النصف ساعة في السرير -كتبت عن ذلك مرة بازدراء- كان ذلك هو ما يشغل الرجال فقط، فكأنني سأقع في هاوية أخاف أن أتمدد منها، فما بين كذبات الليل عن تلك العلاقة الغرامية، وفي كل وقت أمكننا، وفي جهة أخرى، ذلك العالم الذي أمتلكه، والذي يجب علي أن أقفز من خلاله إلى الليل حتى أحكمه مرة أخرى. لكن هل نستطيع امتلاك الأشياء مرة أخرى؟ ألا يعني ذلك أننا خسرناها؟ هذا العالم الذي أحكمه، الذي أنا مضطر إلى أن أقفز خلاله لأحصل على بعض السحر الأسود، وبعض الخزعبلات، بعض الكيمياء، حصاة الفيلسوف، الخاتم الأماني، كل ذلك يخيفني بشكل مخيف.

إلى منتجع السحر الأسود بالليل، متعجلاً، لاهثاً عاجزاً، لأتمكن من الحصول على ما هو مجاني بالحياة، ربما هنالك طريقة أخرى للحصول على الأطفال، نعم، بالسحر الأسود، لنؤجل السؤال قليلاً، لهذا أنا ممتن كثيرا لك ولكل شيء آخر، ولذلك من الطبيعي أن أكون هادئاً هكذاً، مركزاً جداً، حراً جداً، كلما كنت بجانبك. لقد نبذت كل الحيوات الأخرى، انظري إلى عيني.

لقد عرفت من «السيدة كولهر» أن الكتب قد هُجرت من المنضدة إلى الطاولة، ولا شك أنهم سيراجعونني أن كنت أقبل بهجرتها تلك أم لا. وسأجيب حتما بـ «لا»

والآن كوني ممتنة لي، تغلبت على الإغراء مسروراً وأضفت بعض الأسطر المغرية المجنونة في هذه السطور الأخيرة، (شيء مجنون وغيور).

يكفي ذلك، والآن أخبريني عن إيميلي.

(براغ، 10 أغسطس 1920م)

الثلاثاء

لا أستطيع القول أنني مستعد لعيد ميلادك، لقد انقضت ليلتي بأسوأ ما يكون، فحرارة رأسي مرتفعة، وعيناي ملتهبتان، آلام بدني تعذبني، وكذلك سعالي، أصبو إلى أن أتلو على مسامعك تلك التهنئة القلبية وألا يقاطعها السعال، لحسن الحظ لا ضرورة للتهنئة، فقط شكري العميق لوجودك في دنياي، والتي لم أبدأها من قبل حتى وجدتك في حياتي، (معرفتي لك!) أقبلك كما قبلتك في المحطة، بغض النظر أن ذلك لم يعجبك، (فأنا أصر على تقبيلك اليوم).

لم أشعر بمثل السوء الذي أشعر به اليوم من قبل، فمن حين إلى آخر شعرت بأنني بصحة جيدة، إلا أن أفضل أيامي كان الأسبوع الماضي، ومع كل ما كنت أشعر به من إنهاك، لم أتوقف أبداً عن السير حول البركة في مدرسة تعليم السباحة، اقترب المساء، وبدأ الناس يغادرون تدريجياً، اتجه نحوي مساعد مدرس السباحة، وأخذ يجوب بعينيه حولي وكأنه يبحث عن أحد ما، ومن ثم انتبه لوجودي، أو أنه اختار أن يحادثني، وسأل «هل تحب أن تجدف شوطاً؟» فقد بدا وكأن أحداً آخر موجود، أحد المضاربين في العقارات على ما أظن، وصل لتوه من جزيرة صوفيا، وكان يبحث عمن يوصله للجزيرة اليهودية، حيث يوجد مبنى هائل هناك، حسان، لا أريد المبالغة في الأمر، لاحظ المدرب وجودي وأراد أن يمنحني أنا الفتى البائس شوطاً مجانياً على القارب، فمن أجل رجل العقارات، كان عليه أن يختار فتى أبله يعول عليه وليس من أجل مهاراته، وإنما فتى لن يستغل القارب بعد أن يعودوا أدراجهم، في رحلات مختلسة، وبعيدة، يبدو أنه قد رأى

تلك الصفات بي، وانضم إلى رحلتنا (ترنكا العظيم، صاحب المسبح، وسأحدثك عنه لاحقاً)، سأل إن كنت قادراً على السباحة، وأجابه المدرب بقدرتي على ذلك من مجرد أن نظر في وجهي، وكأنه استخلص الجواب من تقاسيم وجهي، في حين لم أكن أجبت أصلاً، جاء الراكب وانطلقنا في رحلتنا، وكفتى طيب السلوك لم أتحدث مطلقاً، حتى قال لي أنها ليلة سارة، فأجبته «نعم»،ومن ثم زاد في حديثه وقال، أن الجو يتسم بالبرودة قليلاً، فأجبته «نعم»، أخيراً قال أنني أجدف بسرعة وعلي أن أتمهل، وكان ذلك ما لم أستطع الرد عليه، ووصلنا إلى شاطئ الجزيرة بأفضل أسلوب تجديف، غادر الرجل القارب، وكأنه نسي أن يعطيني إكرامية على تجديفي، وهو ما أزعجني «حسنا، فأنا لست بفتاة» جدفت مسرعاً في طريق العودة، واندهش ترنكا من سرعتي في التجديف، فلم يكن من قبل أن كنت فخوراً مثل تلك المرة، أحسست في ذلك الحين أنني بدأت أستحقك، فقد كانت جدارتي أكثر من المعتاد، وها أنا أنتظر كل أمسية في مدرسة تعليم السباحة ظهور أحد ما بحاجة إلى شوط تجديف، ولكن لم يظهر أحد منذ وقتها.

في الليلة الماضية، وبعد فترة غفوة قصيرة، خطر لي أنني يجب أن أحتفل بعيد ميلادك، وذلك بزيارة كل الأماكن التي تهمك، ومباشرة بعد ذلك انطلقت إلى المحطة الغربية، بدا كمبنى صغير جداً، وكأنه لا يتسع إلا لقطار سريع واحد، أو لعربة واحدة، حيث لم يبدُ أنها ستتسع لأكثر من ذلك، كانت جميعها تقف خارج المحطة، بالحقيقة سررت جداً لرؤية ثلاث فتيات أنيقات يقفن خارج المحطة، كن نحيفات جداً، (لإحداهن ضفيرة طويلة)، كن يعملن كحمالات للأمتعة، وعلمت حينها أن عملك في هذا المجال لم يكن غريباً على الفتيات، ولكن ما أسرني أنك لم تكوني إحداهن، وأنا كنت، ولكن بنفس الوقت حزنت لعدم وجودك، وأثناء حزني وجدت

حقيبة يد يبدو أن أحد الركاب نسيها، ولأزيد الموقف غرابة للركاب من حولي، بدأت أسحب بعض الثياب الطويلة من الحقيبة، للأسف لم أجد ذلك المعطف الذي ذكرته في رسالتك يوم الأحد، إذن سأرسل لك معطفي حتى لو يكن مقاسه مناسباً.

الجزء الثاني من تايبوس يبدو ممتازاً، حاداً، غاضباً، معاد للسامية، ورائع، فالآن فقط أدركت روعة ما نشرت، فأنت تتحدثين إلى القارئ برصانة، وحميمية. شغلني مقالك، ونسيت كل ما في العالم حولي، وها أنت تقولين بالنهاية، «هل يعجبك ما كتبت، نعم إنه جيد، حسنا، أنا بعيدة عنك جداً ولن أحصل على قبلات كشكر منك» وهذه كانت النهاية، ومازلت بعيدة عني.

هل تعرفين أنك ولدت عام تهويدي «مناسبة احتفالية لتثبيت اليهودية» ولقد ولدت عام 83، وكان عمري ثلاثة عشر عاماً، وعيد الميلاد الثالث عشر يعتبر مناسبة خاصة، فعند المذبح كان علي أن أتلو كلمات حفظتها بصعوبة عن ظهر قلب، ومن ثم كان علي أن أتلو بالبيت خطبة صغيرة «كنت حفظتها أيضاً»، تلقيت يومها العديد من الهدايا، إلا أنني لم أكن راضياً جداً، أعتقد أنني كنت في داخلي أتمنى الحصول على هدية أخرى لباها لي من في السماء في الـ 10 من أغسطس من ذلك العام.

طبعا أكيد، سأسر بقراءة آخر 10 رسائل مرة أخرى، مع أنني أحفظها عن ظهر قلب، لكني سأقرأ رسائلي أيضاً، وستجدين أسئلة كثيرة كمدرسة البنات.

ستتحدث عن والدك في جومند، وكالعادة عندما أتواجه مع فتيات، أبدو عاجزاً كما يصفني «جريتيه»،أما إن كان ذلك فعلاً ما واجهته حين

قابلتك؟ ذلك ما لا أذكره، فأنا أحب أن أمسك يديك، وأحب أن أنظر بعينيك، وهذا ما يهمني، فلتغرب عن وجهي يا «جريتيه».

وليس بعيداً عن ذلك «عدم الكسب» هو ما يهمني، «لا أعلم كم يحتاج المرء..» أنا أواجه هذا اللغز بنفسي، ولا أعتقد أن بإمكاننا حله معاً، إنه يشبه التجديف، ولا أود أن أضيع دقيقة في جومند بمثل هذا الأمر، أرى الآن أنك على الأغلب كذبت أكثر مما قمت أنا، وهذا ما يحبطني، إن ظهر أي شيء جديد بالأفق، اذهبي وعيشي في فيينا، ومن غير أن تعلميني، وسأقوم بأخذ رحلة إلى جومند لأقترب منك ثلاث ساعات زمنية، وعندي تأشيرة سفري، لن تستطيعي أن تتواصلي مع اليوم، بسبب الإضرابات.



(براغ، 11 أغسطس 1920م)

الأربعاء

لا أعلم لم تطلبين المغفرة مني، فان انتهى ما بيننا لا داعي لأن أسامحك على ذلك، أنا سأظل صارماً مادام كان هذا ما سيحدث، وها أنت لا تهتمين، كيف لي أن أسامحك على شيء لم ينتهِ بعد؟ كم يبدو بالك مشغولاً لتفكري بمثل هذا الأمر.

لا أحب أن تقارنيني بوالدك، على الأقل ليس الآن، ها من المفترض أن أخسر أنا أيضاً؟ (كما أنني لا أملك تلك الشجاعة التي تسمح لي أن أتصرف كوالدك؟) وان أصررتِ على المقارنة، إذن عليك أن تعيدي لي التريكو (النسيج الذي طلبته مسبقاً).

بالمناسبة، استغرقني شراء وإرسال التريكو أكثر من ثلاث ساعات، وهو ما أنعشني حقاً، وهذا ما أنا ممتن لك به،أنا متعب جداً لأخبرك بذلك اليوم، فالليلة أيضاً لم أستطع النوم، لا أستطيع أن أجمع شتات نفسي، فربما سأوافق على تقبل المدح في جومند.

حقا الآن؟ تظنين تلك الفتاة من أمستردام؟ صحيح أن ما تقوم به شيء جميل، إن قامت به على اقتناع، لكنك تقومين بخطأ منطقي، فبالنسبة لفتاة تعيش كما تعيش هي، فهي مكرهة على حياتها، فهي لا تستطيع أن تعيش بحرية، كما هو الحال لغيرها، أما أن تغاري وتحسديها على حياتها، ما هو إلا أمنية بالموت.

بالمناسبة، ما هو سبب «الثقل، والإغماء، والتقزز» الذي تشعرين به؟ كيف ربطته بمشاعر الحسد عندك؟ لم يكن ذلك مناسباً إطلاقاً، فبعض أساسيات الحياة نحصل عليها فقط إن عشنا حياة الأموات.

سأذكر بعض الكلام اللئيم عن العيش في فيينا، غير ما ذكرته أنت من قبل، فأنت على حق في ذلك، إنه من المدهش أن والدك مازال يتمتع بتلك القوة، -أو هذا هو ما أشعره- مقارنة بالسنوات الماضية . (فلتبقي التريكو معك).

افعلي ما تشائين بأمر ماكس، لكني بما أنني أعرف رؤيتك عنه، -فعندما تقترب تلك الأمور من الانتهاء- سأذهب إليه لأخطط معه إلى رحلة سوياً لعدة أيام، «وخاصة لأنني أشعر بقوة في جسدي» ومن ثم سأزحف إلى المنزل وأتمدد للمرة الأخيرة.

طبعا سأتحدث بتلك الطريقة مادام الأمر هكذا، فعندما تصل حرارتي إلى 37.8، أو 38 تحت المطر، علماً أن موصلي البرقيات يتخبطون

بطريقهم على الأدراج ذهاباً وإياباً ليوصلوا لي برقياتك، وأتمنى أنهم سوف يدهشون حين يعلمون أنه يوم عيد ميلادك.

استقبل مكتب البريد تهديدي بعدم إعطاء طوابعي للرجل بجدية كبير، وكان طابع البريد المستعجل قد أزيل من الرسالة قبل أن يصلني، ولذلك يجب عليك أن تعرفي مساعي الرجل، ولا تظني أنه يجمع طابعاً واحداً من كل مجموعة، فلديه صفحات كثيرة لكل مجموعة، وعندما تمتلئ الصفحة يبدأ بصفحة أخرى، وهكذا، وفي فترة إلى أخرى تجدينه يتأمل تلك الصفحات، وهذا سبب كونه بديناً، مرحاً وسعيداً، فكل سلسلة تزيد سعادته، بخصوص طوابع الخمسين هيلر، «أيتها المسكينة ميلينا،ستزيد أثمان الطوابع قريباً، وستزداد قيمة طابع الخمسين هيلر».

أعجبني ما قلته عن «كرويتس»، وليس عن «أفلير»، والتي هي مصحة لالتهابات الرئة، فهم يستمرون بحقن المرضى، أووو...، كان ذلك المكان هو آخر مكان توجه له أحد زملائنا قبل وفاته بالسل، أنني أحب الأماكن الريفية، كما أن لها ذكرى تاريخية، هل تبقى مفتوحة في آخر الخريف؟ هل يستقبلون الأجانب؟ وهل يمكن لأحد غيري أن يستوعب لما أذهب إلى مكان الجوعى لأزداد بدانة؟ على كل، سأراسلهم.

تحدثت أمس مع «ستاين» إنه أحد الأشخاص الذين ظلمتهم الحياة، لا أعلم لم البعض يسخر منه، فهو يعرف الجميع، يعرف كل تفاصيل حياة الناس، لكنه مع ذلك متواضع، وحكمه على الأمور ذو معني، يظهر في إهماله المهارة والاحترام، ويبدو ذلك واضحاً جداً، لا براءة فيها، يكاد المرء يرى فيه الشخص المزهو بنفسه، الغامض، الشهواني، الإجرامي. حدثته مرة عن هاس، ومن ثم عن «جارميلا» وأخيراً تطرقنا إلى زوجك، وللعلم،

أنا لا أستمتع بأن أسمع تلك التقارير التي تتداول عن حياتك، لكن ما أرغبه هو أن أسمع اسمك المرة تلو الأخرى خلال يومي، ولو كنت سألته كان لأسترسل بالحديث عنك، ولكن بما أنني لم أطلب منه، قال شيئا ندم عليه لاحقا، قال إن الحياة تدمرك، وأن الكوكايين كان ملجأك مرة وكاد ينهي عليك. (كم شعرت بالامتنان تلك اللحظة لأنك مازلت على قيد الحياة)، وأضاف بحذر وتواضع معهود منه، بأنه لم يكن حاضراً على ذلك، وأنه سمع عنه فقط، أما طريقة حديثه عن زوجك كانت كأنه ساحر بارع، وكما ذكر أنه كان حاضراً برفقة هاس، جارميلا، ورينير، قبل الانتحار، بدا أن رينير كانت على علاقة طيبة مع هاس وقد استلف منه بعض المال، كما ذكر اسماً جديداً على مسامعي يعود إلى أيام براغ اسم «كرايدلوفا» على ما أعتقد، لو لم أكن قد هممت بالمغادرة كان سيستمر بحديثه لوقت طويل، فقد أحسست ببعض الغثيان، لأنني كنت أمشي حوله واستمع إلى كلام لم أكن أرغب بسماعه، ولم تكن تلك هي الأمور التي تهمني.

أيبد كلامي لك، ابقي في فيينا، لو كان هنالك شك بأنك ستعانين بطريقك، إن لم يكن هنالك باليد حيلة. ولا داعي لإخباري بذلك، ولو كنت قد غادرتها فعلاً، اعبري الحدود فوراً، ولو حدث -لأي سبب خارج عن إرادتي- أني لم أستطع الحضور، سألاقيك في فيينا، حينها سأتصل ب «السيدة كوهر» وستجدين برقية بانتظارك في فندق المحطة.

هل وصلتك الكتب الستة؟

قراءة قصة «المقهى» كانت كاستماعي لكلمات «ساتين» لكنك تروين القصص بطريقة أفضل منه، ومن غيرك يروي القصص كما تفعلين؟ لكن لم تخبرين قصصك لمن يشتري مجلة التريبونا، فحين كنت أقرؤها شعرت أنني

أسير ذهاباً وإياباً أمام المقهى صباحاً ومساءً، السنة تلو الأخرى، وفي كل مرة يفتح الباب ليخرج أو يدخل ضيف إلى المقهى كنت أختلس النظر لأتأكد أنك مازلت موجودة فيه، ومن ثم أستمر بالسير أمامه وأنتظر، وكم سيكون مجهداً أن أنتظر وأنظر إلى مقهى أنت داخله!

(براغ، 12 أغسطس 1920م)

الخميس

سأذهب لزيارة لورين اليوم، فالاتصال الهاتفي غير محتوم وصعب، ومع ذلك الوسيلة الوحيدة للتواصل مع «بك» هي بمراسلته بريدياً مع أنني لا أملك عنوانه، ويبدو أنني لن أتمكن من إيجاد آخر رسالة منه، إنه موجود في الأرياف، قدم إلى براغ عدة أيام ثم عاد. يفرحني أن «مونشوسين» قام بعمله بشكل جيد، وعلى الفور قام بأعمال لا تقل صعوبة عما قبلها، وهل للجوري أن يقبل بأن يعتنى به كما الزهور الأخرى؟، وما هو نوع تلك الأزهار؟ ولمن هي؟

لقد أجبتك عن موضوع جومند من قبل أن تسألي، فكلما قللت من تعذيب نفسك، ستقللين من عذابي، لم أكن أتوقع أنك ستكذبين كما فعلت، ولكن كيف لزوجك أن يتخيل هذا، «أنني لا أحب رؤيتك، أنني لا أحب أن أراسلك، أنني لا أود رؤيتك بعد أن أتيحت لي الفرصة بذلك؟»

تكتبين أحياناً أنك تودين وضعي باختبار، هذه مزحة أليس كذلك؟ أرجوكِ لا تفعلي ذلك، فكم من الطاقة يلزمني لأميز شيئا كهذا؟ وكيف لي أن أميزه!

يسرني أن الإعلانات راقت لذوقك. كلي، عليك أن تأكلي، لو بدأت التوفير ابتداءً من اليوم، وانتظرت أنت لعشرين عاماً، حتى يرخص سعر الفراء، (فربما حينها ستصبح أوروبا خراباً، وتسير حيوانات الفراء في الشوارع) ربما حينها فقط سأتمكن من شراء الفرو.

هل تعرفين متى سأتمكن من النوم أخير؟ ربما يوم السبت أو مساء الأحد؟

لمعلوماتك تلك الطوابع باهظة الثمن هي ما يرغب، (فكل حياته رغباته الخاصة)، لا ينفك عن القول «إنها جميلة، جميلة» وأي جمال ذلك الذي يراه في الطوابع!

والآن سأذهب لتناول بعض الطعام، ومن ثم إلى مكتب التحويلات، ومن ثم أمضي إلى يوم عادي بالمكتب.



(براغ، 13 أغسطس 1920م)

الجمعة

لا أعلم ما السبب بمراسلتي لك الآن، ربما لأنني متوتر، وربما لذلك أجبت على رسالتك المميزة التي وصلتني البارحة بجواب أخرق في برقية اليوم صباحاً، بعد أن أستفسر عن «شنكر» سأجيبك حالاً.

مازال ردك على تساؤلاتي يوما بعد يوم يظهر أنك ما زلت مرتبطة بزوجك بكل أنواع الارتباطات ما عدا ارتباط الزواج المقدس، «كم يثير ذلك العصبية بي، وكأنني سفينة أتخبط في هذه الأيام القليلة الماضية» أشعر

أنني أيضاً مرتبط بمثل هذا الزواج - لا أعرف بمن، وكأن أعين تلك الزوجة المرعبة تراقبني، أشعر بنظراتها لي، ومع أن كلا الزواجين لم يعودا رباطاً لا شك فيه، حتى لا يتبقى ما نقول عنه، لكن أن لا نستطيع الانفصال من هذا الزواج، وعلى الرغم من صعوبة الحياة فيه، «فلا مجال لأن نحكم هذا الرباط أو نوثقه ولا العكس»، ولكن لا يتبقى إلا تلك الكلمات المحكمة منك «ذلك لن يحدث أبدا» دعينا نترك الحديث عن المستقبل ونركز فقط على الحاضر.

هذه هي الحقيقة المحكمة، وهي الأساس التي تقوم عليها الحياة، وأنا أعترف، أنه في داخلي ذلك الإحساس «في إحساسي، تبقى تلك هي الحقيقة المطلقة» هل تعرفين أنني عندما أحاول الكتابة عن ذلك أشعر أن سيوفاً تحيط بي بشكل دائري وتبدأ بالاقتراب من جسدي ببطء، ويبدأ العذاب حين تبدأ تلك السيوف بكشط جلدي، وليس وكأنها نخز، لا وإنما كشط للجسد، يبدو ذلك مرعباً جداً، «وكأنني أخون كل شيء ومع صرختي الأولى، أخونك، وأخون نفسي، وكل شيء» هذا الوهم الذي أحسه، وأعترف فيه في كلماتي يدور حول مثل هذه المواضيع التي تمس أحاسيسي «أكرر مرة أخرى ولأجلي فقط، هذا مجرد أحساس» وبذلك لو كنت أعيش في أفريقيا، وأردت أن أخبر من يعيش في أوروبا - في منتصف أوروبا، آرائي عن التطور السياسي القادم، ستبدو وكأنها مجرد مجاز، مجاز غبي أخرق، زائف، عاطفي، بائس، أعمى عن قصد، وصدقيني، سيوفي لا تختلف كثيراً عن ذلك.

لك الحق أن تقتبسي لي بعضاً من رسالة زوجك، ومع أنني لم أفهم الكثير عنها، لكن لا ترسلي لي الرسالة،لكن ما وجدته أن الرسالة وكأن من كتبها رجل أعزب يسعى للزواج، وما أهمية خياناته، العرضية، والذي يتبرأ

منها الوفاء، على الرغم من وجودك بجانبه على طوال الطريق، إلا أنه يجوز له أن يضل قليلاً إلى اليسار؟ ما أهمية ذلك «الخيانة» التي لم تتوقف أبداً، وكيف لها أن تصيب أعمق مشاعر العادة فيك، وأن تمسك إلى أشد حالات حزنك، كيف يمكن مقارنة خياناته، بولائي وعبوديتي لك.

لم أسئ فهم ما قصدته عن زوجك، لا تنفكين تذكرين سر ذلك التماسك الدفين بينكما، تلك العلاقة المتينة التي لا سبيل لتحطيمها، وتليها الاعتناء الغريب بحذائه ذي الرقبة العالية، هنالك ما يعذبني في داخلي لك، ولا أعرف ما هو فعلاً، إن الأمر بسيط للغاية، فلو تركته فأتوقع إما أنه سيذهب للعيش مع امرأة أخرى، أو ينتقل للعيش بنزل، وسيتم الاعتناء بلمعان أحذيته أكثر مما تفعلين، هذا أمر غبي وليس بغبي، لا أعلم الغرض من ذكر مثل هذه الأمور، ربما أنت تعرفين.

ذهبت لزيارة لورين البارحة، لم يكن متواجداً في مكتبه، ولذلك اتصلت به هاتفياً اليوم، وقاطعت حديثه الذي كان عن أحد مقالاتك، وقال إنه أرسل رسالة إلى زوجك البارحة، وستصله الرسالة فوراً إلى سكرتيرته، وهي من أحد معارف لورين، راسلت البارحة «بك» من «هندورف-فريرندانستال» لم يكن ليمضي يوم ميلادك من دون احتفال لو كنت طلبتِ مني المال الذي ينقصك، وسأرسله لك اليوم، لكن يبدو أننا لن نرى بعضنا إطلاقاً، وفي خضم هذه اللخبطات، مازلت أرى أن الأمر ممكن.

هنالك شيء آخر، كنا تحدثنا عن أولئك الأشخاص الذين يتشاركون ليلهم ونهارهم، وأولئك الذين لا يفعلون، في رأيي، النوع الآخر هم المفضلون لدي، وكان في حياتهم احتمالات، وتأكيد، كمن تصرف تصرفاً خاطئاً، والهوس الناتج عن كونهم يعيشون تقريباً كالغرباء، -كما لاحظت

حتماً- وهل الهوس الجسدي مثل الهوس بتلك الشقة التي لم تباغت فجأة، لتمزق بهوس وحشي . يبدو وكأن الأمر سيئاً ولكن ليس حاسماً، فلا شيء حاسم في الجنة أو في الأرض، تبدو الحياة كلعبة بالكرة، كما ذكرتها من قبل، وكأن حواء قد فكرت مليا قبل أن تقطف التفاحة، (وهو ما أصدق حدوثه كما لا يفعل غيري)، لكن فقط لتريها لآدم، لأنها أحبت منظرها، لكن القرار كان ناتجاً بسبب قضمه لها، وطبعا اللعب بالتفاحة لم يكن ليكن مقبولاً، ولكن بكلتا الحالتين كان ممنوعاً.

(براغ، 17-18 أغسطس 1920م)

الثلاثاء،

سيمضي ما يقارب الـ 10 إلى 14 يوماً قبل أن أستلم رداً على هذه الرسالة، مقارنة بكيفية الوضع الراهن، يبدو الأمر وكأنك تخليت عني، أليس كذلك؟ وفي هذه اللحظة أشعر أن علي أن أخبرك أمراً، شيء غير منطوق، لا يمكن كتابته، وليس لأعتذر عن تصرف قمت به في جومند، وليس لأنقذ أمراً حتم عليه الغرق، ولكن لأوضح لك تماماً ما هو وضعي، وذلك لكي لا تخافي علي في بعدك عني، طبعاً هذا يحدث مع أغلبية الناس على الرغم من كل شيء، أحس أحياناً أنني أحمل وزناً ثقلاً يشدني إلى الأسفل، إلى قاع البحر في دقيقة. وكل من يحاول أن ينقذني أو يمسك بي سيتخلى عني، وليس لضعف منه، أو يأس، وإنما بسبب الانزعاج الكبير. والآن من الواضح أن هذا الكلام غير موجه لك، وإنما لردك الباهت، الذي لا يخفى علي بسبب تعبي ورأسي الفارغ، (سواء كنت غير سعيد أو متحمساً فيكفيني الامتنان الذي أشعر به).

ذهبت البارحة لزيارة جارميلا، وبما أن الأمر كان مهما لك لم أشأ أن أتأخر أي يوم إضافي، لأقول الحقيقة، فكل الفكرة بأن أتحدث مع جاميلا كانت صعبة علي، وفضلت أن أنهي موضوعها فوراً، غير مهتم لأني لم أحلق ذقني، (فقدت بدت مثل جلد الأوز)، ومع ذلك لم يمنعني ذلك من أداء المهمة المطلوبة مني، ذهبت إليها ما يقارب الساعة الـ 6:30، لم يرن الجرس، ولم يفد القرع على الباب بشيء، كانت المجلة موجودة في صندوقها، وأكد لي ذلك أن لا أحد بالمنزل، وانتظرت وقتاً طويلاً مقابل الباب، وأتت سيدتان من طريق الساحة، وكانت أحداهما جارميلا، وأعتقد أن الأخرى هي والدتها، وقد عرفت جارميلا فوراً، مع أنها لا تشبه الصورة التي بعثتها لي مطلقاً.

تركنا المنزل مباشرة ورحنا نتمشى ذهاباً وإياباً في طريق أكاديمية الشرطة، ما فاجأني حقاً أنها متحدثة جيدة، عكس ما وصفته لي، وتحدثت باستمرار في تلك الـ 10 دقائق، بدأت تتكلم بجنون، لتذكرني برسائلها التي أرسلتها لي مرة، لقد تحدثت عن مواضيع كثيرة لا تمت لما ذكرته لي برسالتك بصلة، كان الوقت يقطعنا، ولم تتحدث عما كنت أنتظره. يبدو أن سبب حماسها كما ذكرت عائد إلى كرهها للعلاقة الغرامية لأيام طويلة، وقد اتصلت بهاس عن طريق ويرفيل، ولكن لم يرد عليها إلى الآن، وقد كتبت لك واتصلت بك بمناسبات عدة. وتبعاً لنصيحتك قامت بحرق الرسائل مباشرة، فلم تجد طريقة لكي تريح عقلك بها، إلا بأن تنصاع إلى كلامك، ولهذا تماماً كانت تفكر بزيارتي اليوم مساءً، ولكي تتناقش بالموضوع مع شخص يعرف القصة كاملة، «كانت واثقة من أنها تعرف أين أقيم، أعتقد أن سبب ذلك كان أن مرة في الخريف أو ربما كان الربيع، لا أعلم تماماً، ذهبت للتجديف مع أوتو وروزنكا، تلك الفتاة التي تنبأت بنهايتي الوشيكة في «شونبورنباليس»، وفي المقابل تقابلنا مع هاس، مع تلك المرة

التي لم أرها من قبل، جارميلا ، أخبرها هاس اسمي وقالت إنها تعرف أختي منذ سنوات عديدة في مدرسة السباحة، لأن المتدربين كانوا أغلبهم مسيحيين في ذلك الوقت، وقد تذكرت جارميلا أختي على أنها تلك اليهودية الفضولية، في ذلك الوقت كنا نعيش مقابل مدرسة السباحة، وكان أوتو قد دلنا على تلك الشقة، (هذه إذن هي القصة كاملة) ولهذا بدت أنها مسرورة بقدومي، وبدت حيوية هكذا، وأيضا غير سعيدة، بتلك الورطة التي تورطت بها، والتي أكدت أنها انتهت منها بالفعل. لم يرض كلامها طموحي، فكنت أرغب بأن أحرق الرسائل بنفسي، وأن أنثر رمادها فوق المدينة، -وفوراً لم أر أهمية لفعل ذلك- لكني وجدت نفسي مرتبطاً بتك المهمة التي وكلتها لي.

قالت القليل عن نفسها: أنا أبقى في المنزل أغلب الأوقات، ووجها يثبت ذلك، لا تحادث أحداً، تذهب بين فترة وأخرى إلى المكتبة لتجد شيئا جديداً تقراه، أو لترسل رسالة إلى مكتب البريد. وفي تلك الأثناء تكلمت عنك، (أم أنني أنا التي تكلمت عنك، من صعب معرفة ذلك حقيقة) عندما ذكرت لها كم بدوت مسرورة حين استلمت رسالتها من برلين، ذكرت أنها ترغب بزيارتك، قالت لم تعرف كيف أن الطريق للسعادة سهل هذه الدرجة، بدا كلامها بسيطاً ومريحاً، قلت لها إن الماضي ممكن محوه وقلت لها إن من الممكن دائماً للربيع أن يزهر حياتها، وقالت نعم، يمكن أن يحدث ذلك لو أن الناس معاً، وأنها في الوقت الحالي تتطلع فقط لرؤيتك، وقد بدت متأكدة من ضرورة قدومك أنت أيضاً إلى هنا، كانت تتحدث وتشير إلى أرض وكأنها تنقرها بيدها المتحمستين، هنا، هنا، هنا،..

ذكرتني بستيسا.مرة واحدة، عندما تتحدثان عنك، أحس أن كلتيهما بالجحيم، ويتحدثان عنك بغرابة أنت التي بالكاد تعيشين حياتك، لكن

جحيم جارميلا مختلف، فهي تبدو كم تلحظ الناس الذين يعانون، هذه هي جارميلا، أشعر أن على المرء أن يتساهل معها.

ودعنا بعضنا أمام باب منزلها، وقبل أن أصافح يدها كانت قد أضجرتني بحديثها عن صورة تود أن تريها لي، صورتك، وبالأخير توضح لي أنها كانت بيدها مع تلك الرسائل حين أحرقتها قبل مغادرة برلين، وأنها كانت قد بحثت عنها اليوم لتريني إياها لكن عبثاً.

ثم أرسلت لكم برقية مستعجلة أخبرك بها أن أوامرك قد تمت، وهل من شيء آخر تريدين أن أفعله لك؟ هل يرضيكِ ما فعلت؟

لا معنى من أن أستعطفك، بما أن رسالتي ستستغرق 14 يوما لكي تصلك، لكن ربما أن سؤالي سيكون تافه بجانب إلى الأمور الأخرى التي لا معنى لها والتي أذكرها لك، *لا تدعي خوفك يبعدك عني، في هذه الحياة المقلقة، (فلو انجرف المرء بعيداً، فقد انجرف بعيداً، ولا يد لنا بذلك)، لا تدعي الخوف يبعدك عني ولو كنت قد خيبت ظنك مرة، أو آلاف المرات، أو في هذه اللحظة، أو دائماً وأبداً، فهذا طلبي والذي لن أوجهه مباشرة لك، فانا لا أعلم لمن أوجهه، فهو ليس سوى تنفس مظلوم من صدر مظلوم.*

الأربعاء

رسالتك ليوم الاثنين، منذ صباح الاثنين أو مساء الاثنين، عندما كان تأثير الرحلة قد زال قليلاً، (بعيداً عن كل شيء كانت الرحلة في حد ذاتها راحة، وكأن المرء قد أمسك بخناقه، وأن كيانه اهتز لذلك، اهتز) منذ ذلك الوقت بدأت أغني أغنية لك بلا توقف، أغنية واحدة، أغنية مختلفة،

ودائما أغنيها نفسها بلا توقف، أغنية كالنوم بلا حلم، مضجرة حيث كنت أنام وأنا أغنيها، فلتكوني سعيدة لأنك لن تسمعيها، اسعدي فأنت محمية من رسائلي لوقت طويل.

آه، يا من تعرفون الروح البشرية، وماذا سأحمل ضد أن تقومي بتلميع حذائه؟ اذهبي ولمعيها له، ثم ضعيها في ذلك الركن وانتهي من الأمر، الموضوع هو أنك تظليل تلمعينها في عقلك أيضاً، وهذا ما يعذبني، (فهذا ليس محصورا بتلميع الأحذية).

(براغ، 19-23 أغسطس 1920م)

الخميس

بقيت آمل أن أسمع كلمات أخرى غير التي أرسلتها، مثل هذه مثلاً «أنت لي» ولم هذه العبارة تحديداً، فهي لا تعني أنك تحبينني، لكنها تعني لي القرب والليل.

نعم، كانت الكذبة هائلة وقد اشتركت فيها، وما كان أسوأ هو أنني بقيت بالركن مع نفسي، وكأنني بريء.

للأسف تظلين تطلبين مني مهاماً، كنت قد اهتممت بها مسبقاً، أليس عندك القليل من الثقة بي، أم أنك تحاولين زيادة ثقتي بنفسي؟ فهذه محاولة تبدو لي بغاية الشفافية. كتب لي «بك» أنه أجاب على رسالتك، منذ الأسبوع الماضي، لا يبدو أن لديه ناشر، لكنه سيأتي إلى براغ في نهاية أغسطس وسيبدأ بالبحث عن واحد حينها، سمعت إشاعة أن «أرينست

ويلس» مريض جداً، ولا يملك المال، وقد تم جمع مبلغ من المال له في «فرناسنباد»، هل تعلمين شيئا عن ذلك.

لا أفهم ما علاقة برقية جارميلا (والتي كانت قد أرسلتها لك قبل أن ألقاها) بي أو بغيرتي،بدا لي أنها سعدت بزيارتي، (وهذا في صالحك) ولكن رحيلي جلب لها السرور الأكبر (لصالحي ولصالحها هي).

على الهامش : هل راسلك لورين؟ وماذا قال المحامي؟

كان بإمكانك أن تكتبي كلمات أكثر عن مرضك، هل التقت العدوى في جومند في طريقك إلى المنزل من المقهى. بالمناسبة مازال الجو مصيفاً جميلاً هنا، حتى أن السماء أمطرت في جنوب بوهيميا. لقد شعرت بالفخر، فلقد عرف العالم أجمع أنني كنت عائداً من جومند.

الجمعة

عند قراءة الرسالة وهي ملاصقة للعين، لا يستطيع المرء أن يعرف المأساة التي تعيشين بها حالياً، فيتعين على المرء أن يبعد الرسالة قليلاً، لكن حتى هكذا تبدو القراءة مستحيلة.

لقد أسأت فهم كلامي عن المخالب، فقد كانت مجرد ملاحظة مبهمة، وما تقولينه، عن جومند صحيح تماماً، أذكر على سبيل المثال: سؤالك لي إن كنت مخلصا لك في براغ، أعلم أن نصف السؤال كان مزحة وبعضه جد، ونصفه لا مبالاة (هذه ثلاثة أنصاف لتزيده استحالة)، أراسلك بتفاصيل يومي كاملة، مازلت تسألين مثل ذلك السؤال، هل كان هذا السؤال ممكنا؟ ولكنك قمت بجعله أكثر استحالة، قلت لك : نعم لقد

كنت مخلصاً لك، فكيف للمرء أن يتحدث بأمر كهذا، وفي ذلك الوقت تحدثنا كثيراً وبدونا كغريبين.

اسم صديقي من فيينيس، ليس «جيتليس»، بالحقيقة هو ليس صديقي أصلاً، أنا لا أعرفه، فهو من معارف ماكس، والذي أتم الأمر كله، وهو ما سوف يقوم بالتنسيق له هنا عن طريق شركة إعلانات.

بالأمس وقت المساء أتت جارميلا لزيارتي، (لا أعرف كيف أحضرت عنواني الحالي) لم أكن بالمنزل لكنها تركت لك رسالة، وكلمات بالرصاص تطلب فيها مني أن أرسل لك الرسالة، ومع أنها تعرف عنوانك بالريف، لكن بدا أنها تثق بإرساله معي بدلاً من العنوان الذي معها.

لم أتواصل مع «فالستا»[1] بعد، لم أستطع أن أجبر نفسي على فعل ذلك، فبعد التاسعة أستطيع أن أهاتفها من المكتب، ولكن المحادثة ستكون سيئة بوجود كل الموظفين، (فلا ممر عندنا)،حيث أن عامل الهاتف يرفض أن يوصل المكالمة لي، كما أنني نسيت اسم عائلتها، وماذا سأفعل إن ردك والدك على الهاتف؟ أفضل أن أكتب لها رسالة، ربما باللغة التشيكية.

لم تذكري شيئاً لي عن المحامي؟

سينشر الإعلان للمرة الأولى يوم الأربعاء، هل ترغبين بإرسال أي تعليقات محتملة عنه إلى فيينا؟

(1) أخت ميلينا

الاثنين

حسنا، لم تستغرق الرسائل وقتا طويلاً، لقد استلمت الرسالتين من سالبورج، وأتمنى أن تسفر الأمور عن خير في جلجن، أؤكد لك أن الخريف قد حل هنا، وهذا مالا يمكن إنكاره. أحس أنني بخير، وأحس بسوء حالتي، كما تفضلين، أتمنى أن تستمر صحتي بالتحسن مع دخول الخريف، سيتبقى لنا أن نكتب عن جومند، ولربما هذا هو سبب شعوري بالسوء، سأكتب لك عن ذلك بتفاصيل كثيرة. سأرفق لك رسالة جارميلا، والتي رددت عليها شفهياً أنني سأكون سعيداً على توصيل رسالتها لك، وبكل سرور، وذلك إن لم تكن تتضمن شيئاً مستعجلاً، حيث أنني لم أتوقع أن أحصل على عنوانك بأقل من أسبوع، ولم ترد هي ثانية.

إن أمكن أرسلي لي تخيلا عن غرفتك.



(براغ، 26 أغسطس 1920م)

الخميس،

قرأت رسالتك المكتوبة بالقلم الرصاص أولا، وفي رسالة الاثنين، تنبهت إلى عدد من الفقرات التي تحتها خط، ثم تركتها جانباً قليلاً، إنني قلق جداً، ومن السيئ حين لا يستطيع المرء، أن يلقي بنفسه بين كلمات رسائلك، حتى لو كانت تتدفق كالمهاجم،عندها لكنت سأحمي نفسي، قبل أن أتحطم كلياً، لكن في مثل حياتي، لا وجود لموت فقط، وإنما أيضاً الأمراض.

وحين اقتربت على نهاية قراءتها، (ذكرت شيئا يماثل في نهايتها) وخطر ببالي إن لم يكن صعباً عليك أن تبقي هناك ؟ مزيداً من الوقت، حتى نهاية الخريف،ألا يمكن ذلك؟

وصلت الرسائل من سالزبوج بسرعة إن رسائل جلجن فقد استغرقت وقتا طويلاً، لكني تتبعت أخبارك هنا وهناك، كصورة رسمها بولجار، بالصحيفة، صورة البحيرة، تبدو حزينة جداً، محيرة، ومع ذلك مرحة، حسنا ليس كثيراً، إلا أن بها أخباراً عن سالبروج، عن الحفلة، الجو غير المستقر، وهذا ما ليس بمرح، وها أنت رحلت متأخرة نهاية الأمر، وطلبت من ماكس أن يخبرني عما يعرفه عن «فولفوجانج» وعن «جلجن»، حيث نشأ سعيداً هناك في صباه، يبدو أن الحال كان أفضل سابقاً، لكن ما أهمية ذلك. أتصفح مجلة التريبونا، باستمرار أحاول أن أجد شيئاً من كتاباتك، وأحيانًا أجد القليل من كتاباتك هنا وهنا، هل يزعجك حديثي عن المجلة؟ علما أنني أستمتع بقراءتها جداً، وثم من يهتم بالحديث عنها غيري، أنا أفضل قرائك؟ وحتى من قبل أن أعرف أنك تفكرين بي أثناء الكتابة، لطالما أحسستها تمس روحي، وكأنني أضمها إلى حضني، والآن وبعد أن اخترت ذلك، مازلت أشعر بقلق وأنا أقرؤها، فحين كتبت عن الأرنبة التي بين الحقول المثلجة، كدت أرى نفسي أنا هناك، أركض.

على الهامش: 100 يومياً، رخيص جداً، ألا تستطيعين أن تتحملي بقاءك هنالك فترة أطول، في جلجن، وولفجانج، سولزبرج، أو أي مكان آخر؟

على الهامش: أعتقد أن تدخل ماكس بسؤالك كان مناسباً، تصرف سيئ من «بلك» أن يحاول أن يختفي خلف ماكس، لم يكتب ذلك لي، لكنه وعدني أنه سيرد بطريقة ملائمة حين يعود إلى براغ.

قضيت ساعة مجدية مع «سوفنسيل» بخصوص التقرير، أعرف كيف أن تفاصيل الترجمة تغضبك، لكني أعرف أنه غضب نابع عن الحب، لكان شيئا جميلاً لو لم تغضبي في أعماقك، فهي تجعل القارئ يغلق عينيه محاولاً أن يلتقط أحاسيسك، وبالمناسبة، المادة التي تجذبك غريبة قليلاً، تلك التقارير الثلاثة «كلاوديل، لوندريل، والرسائل» كلها مرتبطة معاً بالنهاية، لا أذكر اسم مؤلفها، «فالديسلاف» أو شيء شبيه بذلك.

على الهامش: نعم أعرف أنني تخطيت شيئاً ما، ومن غير أن أقدر على نسيانه، شيء عالق بذهني، الحرارة؟ هل تقيسين حرارتك باستمرار؟

الآن أكملت قراءة رسائلك كلها، ولكني بدأت بالقراءة عند الفقرة التي تقول «لا أريدك أن ترد على ذلك» ولا أعلم ما سبق تلك الفقرة، لكنني اليوم ومع رسائلك التي تحاصرني، وتعززك بشكل كبير، أجدني أوافق عليها من دون أن اقرأها موافقاً على كل ما ذكر بها، حتى لو كان سيتخذ كإثبات ضدي في المحكمة العليا، أنا قذر ميلينا، أنا قذر، وهذا سبب أنني أثير ضجة حول النقاء، ومن يتغنى من الناس بالأصوات النقية، غير أولئك الذين هم أصلاً بالجحيم، وهو ما نظنه من غناء الملائكة في أناشيدهم.

على الهامش: لا أظن أنني سأسبح بعد الآن؟ صفي لي غرفتك أرجوكِ.

على الهامش: راسلتني جارميلا مرة أخرى، ثلاثة أسطر، أن رسالتها ليست لا مهمة ولا مستعجلة، وأنها تشكرني على كل شيء. أما بخصوص «فالستا» مازلت أنتظر ردك.

منذ عدة أيام قليلة عدت أتدرب على الخدمة العسكرية، أو للصحيح على المناورات، والتي تبدو أفضل شيء أقوم به الآن، كما تنبهت له منذ سنوات سابقه ففي فترة بعد الظهيرة أنام قدر استطاعتي، أمشي

لساعتين كاملتين، ثم أبقى مستيقظاً قدر استطاعتي، «لكن الغرابة في ذلك هو أن قدر استطاعتي، لا يكون طويلاً كفاية لي»، لا في الظهيرة ولا في المساء، وأبدو ذابلاً في طريقي إلى المكتب صباحاً. الكنز الحقيقي لي هو ذلك الذي ينتظرني في المساء، ففي الساعة الثانية، أو الثالثة أو الرابعة. لكنني هذه الأيام أنام في منتصف الليل، بدون تأخير، وأنام أكثر من منتصف الليل، ضاع الليل والنهار بطوله. وضعت أنا معه، لا يهم شيء من ذلك، فكوني في الخدمة الآن لشيء جيد، وحتى لو لم يكن هنالك نتائج، ولا أتوقع أن ينتج خير منه، فأنا بحاجة إلى عام مثل هذا لأحرر لساني، قبل أي شيء، ثم لأتحقق أن الأمر مضى، والسماح لي بأن أكون بالخدمة هو أمر جيد، حتى لو لم يسفر عنه نتائج جيدة، لكن كما قلت سابقاً، هو أمر جيد بحد ذاته، إلى حين يتدخل السعال.

طبعا لم تكن الرسالة بذلك السوء، لكني لا أستحق تلك الرسالة المكتوبة بالرصاص، هل من أحد في الجنة أو الأرض يستحقها؟

(براغ، 26-27 أغسطس 1920م)

مساء الخميس

لم أفعل شيئا اليوم سوى الجلوس بالأنحاء أقرأ قليلاً هنا، وقليلاً هناك، لكني فعلياً لم أكن أفعل شيئاً، لكني كنت أستمع إلى ألم بسيط في جبهتي، ظللت مشغولاً طول اليوم برسائلك، معذباً، عاشقاً، متوحشاً، خائفاً من كل شيء، خوف يتجاوز مقدرتي، لم أستطع أن أتجرأ وأقرأ الرسائل مرة أخرى، ولم أستطع حتى قراءة نصف صفحة بالمرة الأولى، لم لا

أستطيع أن أصدق أن حقيقة حياتي المتوترة ما هي إلا عدل أصابني ليبعدني عن محاولات الانتحار القاتلة. (حاولت مرة أن أضحك عليك، حين ذكرت أمراً مماثلاً لذلك) لماذا يقوم المرء متعمداً بأن يفك وثاق حياته ليخرج منها كالحيوان الهائج، (كيف له أن يحب تصرفاته اللاعقلانية، التي توحي بحيوانيته)، ليمتص جسده كل هذه الكهربائية الممزقة، الهائجة داخل جسده، حتى تكاد تحرقه.

لا أعرف ما أقصد بكلامي هذا، أحاول فقط أن أحكم سيطرتي على اللوم الصامت في رسائلك، وأن أحكم قبضتي عليها وكأنها مملوكة لي، ما أغرب شعوري هنا في هذه الليلة المظلمة وكأننا الآن معاً في عقل واحد، وأستطيع أن أصدق كل لحظة فيها، لحظة تلو الأخرى.

الجمعة

بدلاً من النوم، قضيت الليلة (رغماً عن إرادتي) مع رسائلك، وهذا لم يكن سيئاً حتماً، مع أنني لم أستلم رسائل جديدة، إلا أن ذلك لم يهمني كثيراً.

في مثل هذه الفترة يجب ألا أكتب لك كثيراً، ولعلك أدركت ذلك في قلبك قبل أن أدركه أنا، فالرسائل الآن تسبب الضعف لي أكثر من القوة التي تمدني بها، في السابق كنت أتجرع الرسالة كلمة تلو الأخرى، وكنت في ذلك الوقت (في براغ، وليس في ميران) أقوى بعشرات المرات، وأكثراً عطشاً بعشرات المرات.

تبدو الرسائل الحالية كثيرة الجدية، وأراجع نفسي مرات كثيرة وأعض على شفتي قبل أن أبدأ بقراءتها، ولا أكون متأكداً من شيء سوى

من ألم رأسي، وهذا لا يهمني فعلاً، وما يهمني فعلاً هو شيء واحد «لا تستسلمي للمرض ميلينا، لا تمرضي، لا ترهقي نفسك بالكتابة، (فكم يوماً مر عليك حتى تجاوزت رسالتي أمس، يا له من سؤال تافه، وكيف للمرء أن يتجاوزها بأيام؟)، يجب أن يكون المرض هو السبب، وطبعاً أتحدث عن مرضي أنا.

ولكن ماذا علي أن أفعل الآن، سأفعل ما أفعله الآن، ولكن كيف؟ لا أريد أن أفكر فيما سأفعل وكيف سأفعل. سأفكر فيك، فحينها فقط تكون رؤيتي أوضح، تلك الرؤية التي تبدين بها مستلقية على الفراش، كما كنت مستلقية بالمرج، في تلك الأمسية في جومند، (عندما كنت أحدثك عن صديق لي، ولم تكوني تعيرينني ذلك الانتباه)، وليست تلك الرؤية مؤلمة لي، فبالنسبة لي أجدها أفضل رؤية لي في الوقت الحالي، أنت مستلقية على فراشك وأنا تحت خدمتك لتمريضك، وأنصرف عنك وأعود مرة أخرى، لأضع يدي على جبهتك، وأذوب في عينيك وأنا أتطلع فيهما، وأحس بنظراتك تلاحقني وأنا أجول بالغرفة، بذلك الكبرياء الذي لم أستطع احتواءه أكثر، وهو أنني أعيش لأجلك، وهذا ما هو مسموح لي فعله، بهذه الطريقة فقط، يجب علي أن أبدأ بشكرك على تلك المرة حين وقفت بجانبي وأمسكتِ بيدي. ومازلت أتمنى أن يكون مرضك مجرد مرض عادي سيمر سريعاً، ليتركك أصح مما كنت عليه سابقاً، لتقفي مرة أخرى بعظمة، وأنا أزحف على الأرض، فجأة خشية أن أزعجك بضوضاء أو ألم غير مقصود، كل هذا لا يسبب لي العذاب، لكن ما يعذبني هي أن مرضك سيطول.

أرفق لك الإعلان، أعتقد انه سيكون من السهولة عليك أن تدركي معناه، وخصوصا إعلان (مدرسة فيينا للغة والأعمال)، الذي يبدو متروكاً ومهجوراً، على كلٍ الفاصلة بعد كلمة أستاذ، لم أضعها أنا، وأعلميني عما

تريدين تغييره فيه، لكي أعدله في الطبعة القادمة، أما النسخة الحالية فقد ظهرت في تاريخ 26 من هذا الشهر، وستظهر في الأول والخامس والثاني عشر من الشهر القادم.

تبين لي أن ماكس ليس قادراً على التوسط، لذلك الناشر الذي تحدثنا عنه، فحتى الآن يجب أن يظهر مخطط سياسي يهودي جديد قريباً، وقد تمت الموافقة عليه مسبقاً، ولكن بسبب قلة الأوراق وتكلفة الطباعة، تم رفضه مجدداً، ولذلك لن ينشر .

(براغ، نهاية أغسطس 1920م)

مازلت مصراً على ما كتبته، لا أستطيع منع نفسي، ولذلك علاقة بما يتعلق بك وكأن معاناتك تجلب لي الخير، ما زالت معاناتك تهمني، وليس لكي تسمحي لي بعرض المال عليك، ولكن بأن تسمحي لي المشاركة بشيء، ومن بعيد، ومن أبعد ما يمكن، (عندما تسمحين لي فعليا بذلك)، وصدقا لا يقلقني أنك يمكن أن ترفضينني، حيث لا يوجد سبب لتفعلي ذلك- لكن ما يقلقني هو أنك لن تذهبي إلى المصحة بهذه الحالة، والآن تبدين لي مثل ذلك البخيل، فمثلاً: معك 1000 من والدك، صحيح؟ أو 1200، على الأغلب منه، وأستطيع أن أرسل لك على الأقل 1000 شهرياً، غير معاشك، وهذا ما يقارب 8000 كرون نمساوي. والمصحة لن تكلفك أكثر من 250 كرون يومياً، وهكذا يمكنك أن تقضي الشتاء وبقية الخريف، في المصح. إن لم تريدي البقاء في هذا المصح الذي أنت فيه، لنجد غيره،

أعترف أنني غالباً ما أفكر بك، فأنا سعيد جداً لأنني أستنشق الهواء الذي تستنشقينه، ولكن ذلك لن يغير حقيقة ما قلته سابقاً.

وكدليل على هذا، سأرسل لك بطاقة مطبوعة إلى منزلك حين أكتب لك مرة أخرى.

(براغ، 28 أغسطس 1920م)

السبت

جميل جداً، جميل جداً، ميلينا، جميل جداً، لا يوجد شيء أجمل من رسالة يوم الثلاثاء، إلا السلام، والثقة والوضوح الظاهر فيها.

لم أفعل شيئا ذا قيمة اليوم، لم أجد شيئا يستحق أن أتغلب عليه، استلام الرسائل صار مختلفا هذه الفترة، لكن كتابة الرسائل لم تتغير فعلياً، مازالت تلك البهجة والحاجة لي بالكتابة لك حية في داخلي، وها أنا أصارع نفسي، لم الحاجة للرسائل؟ إذاً، على سبيل المثال، إذا كنت قد قضيت صباح الأمس، وظهره ومساءه أتحدث إليك، في محادثة بدوت فيها مخلصاً، وبريئاً وطفلاً صغيراً، وأنت بدوت طاهرة كالأم، (ولم أر يوماً أطفالاً أو أمهات مثلنا) وبدا كل ذلك صوابًا، كل ما علي معرفته هي لم لا تكتبين لي، لكي أتوقف عن رؤيتك مريضة في سريرك، في تلك الغرفة الصغيرة، والمطر الخريفي خارج نافذتك، أراك وحيدة، حرارتك مرتفعة، (كما كتبت مرة)، تعانين من البرد، (وكتبت ذلك أيضاً)، بتلك الليالي المرهقة، (وكتبت عن كل ذلك)، ولو لم يكن الأمر كذلك، فان الأمور ستكون جيدة، وأنا الآن لا أريد إلا الأفضل لك.

كنت عزمت على الرد على الفقرة الأولى في رسالتك، ولكني لا أعرف مضمون الفقرة الأولى من الرسالة السابقة، وهذه الأمور تعقدني، فالحل الوحيد لها هو التحدث مباشرة، كما يجري الحديث بين الأم وطفلها، ولربما هذه الطريقة الوحيدة لحلها، لعدم ظهورها سابقاً، لا أعتزم أن أفعل شيئاً بخصوصها لأن ألم رأسي يكاد يقتلني، فهل أصاب إله الحب رأسي بدلاً من قلبي، ولذلك لن أكتب عن جومند مرة أخرى. على الأقل لن يكون ذلك مقصوداً، يوجد الكثير لقوله، لكن في النهاية سنتفق أن أول ليلة لنا في فيينا لم يكن لها مثيل، لهذا، أجد أن لفيينا رفعة أكثر من جومند، لأنني وصلت هناك وأنا متعب ومتوتر، لكن حين وصلت جومند، شعرت - وهذا ما لم أشعر به من قبل- كم كنت أحمق حينها، واثقاً بشكل كبير، من أن لا شيء سيحصل لي بعد الآن، ذهبت إلى هناك وكأنني أمتلك المكان، غريب ذلك، ومع كل الصعوبات التي واجهتني كانت ثقتي بنفسي عالية لأعتبر نفسي المالك، وأعتقد أنها كانت أفضل عيوبي الذكية، في هذه الحالة وغيرها.

الساعة الآن 2:45، لم أستلم رسالتك إلا عند 2:00، والآن سأتوقف قليلا لأذهب لتناول الطعام.

وليس لأن للأمر أثراً علي، ولكن ومن أجل الصدق فقط، سمعت أن «ليسل بير» يمتلك فيلا في جيلجن، هل ذلك له علاقة بعذابك ؟

كانت ترجمة آخر فقرة ممتازة، كل جملة وكل كلمة، وكل -إن أمكنني قول ذلك- كل درجة موسيقية في القصة، كانت مرتبطة بالخوف، لقد كانت وبعد ليلة طويلة، قد فتحت جراحي كما كانت للمرة الأولى، وأعتقد أن الترجمة أصابت بإظهار ذلك، بتلك اليدين الساحرتين، يداك.

هل ترين ما يؤلمني باستلام الرسائل؟ حسناً، لا داعي لأن أقول لك السبب، فبين رسالتي ورسالتك اليوم ظهر تناغم غريب ونفس عميق ليظهر تلك الثقة الكبيرة. والآن علي أن أنتظر ردودك على رسائلي السابقة،وهذا ما يخيفني، وبالمناسبة، كيف لك أن تتوقعي استلام رسالتي يوم الثلاثاء، في حين لن يصلني عنوانك قبل الاثنين؟

(براغ، 28 أغسطس 1920م)

تبدين لي وكأنك قائد عربة، نعم يبدو ذلك مرحاً، فقد بدوت كقائد هزيل وقتها، ففي فينيس، فهناك أشخاص طيبون ، هنالك أطفال رغبوا أن يكبروا ليصبحوا قادة عربة، لكي يكبروا محترمين وأقوياء، لكي يقودوا عرباتهم، ويقفوا على المنصة، وينحنوا إلى الأسفل باتجاه الأطفال، ومعهم عصاة للضرب، وتذكرة لركوب العربة، لكن مثل هذه الاحتمالات تهددني، أود أن أصبح قائداً، حتى أكون سعيداً، فقد كنت أمشي بحذر بجانب العربات.

(حضر الشاعر لكي يخرجني من المكتب، اتركيه ينتظر حتى أنهي كلامي مع قائدة العربة هذه).

بدا لي كأن أحداً في المنصة الخلفية ينحني ويصرخ بي -ولم أفهم ما يقول، بسبب الإزعاجات- وقد كان يلوح بيديه بحماسة، وكأنه يريد أن يريني شيئاً، لكنني لم أفهم ما كان يريد، وفي تلك الأثناء بدأت العربة تبتعد، وبدت كل جهوده تذهب بلا جدوى، في الآخر فهمت ما كان يقصده: فزر الأمان الذهبي لحزامي لم يكن مغلقاً، وكان يحاول لفت انتباهي إلى ذلك.

تخيلت هذه الحادثة اليوم وأنا صاعد إلى العربة هذا الصباح بملل، وكأنني شبح مريض، وقد أعطاني القائد فكة لخمس كرونات، لكي يشجعني، (ليس تماماً، فهو لم ينظر إلي أصلاً، فقد كان يحاول فقط أن يدخل البهجة إلى الجو)، لقد قام بملاحظة طيبة لم أفهمها فعلياً، عن بعض الفواتير التي يتعامل بها، وقام رجل مهذب يقف بجانبي بالابتسام لي حين لاحظ صعوبة فهمي لما يقوله. وأنا لم أستطع الرد إلا بابتسامة مماثله، وبهذا تحسنت الأمور قليلاً، ولو بإمكاننا أن نشجع السماء الماطرة فوقنا في جلجن.

(براغ، 29-30 أغسطس 1920م)

الأحد

غلطة غير معتادة بالأمس، فقد كنت سعيدا جداً برسالتك (رسالة الثلاثاء) في ظهيرة الأمس، وعندما قرأتها مرة أخرى بالمساء، وجدت أنها تشبه سابقاتها، (فبسبب تعاستي حاولت التعلق بأي شيء)، لقد أثبتت غلطتي كم أني أفكر بنفسي، فقد انكمشت على نفسي محاولاً التمسك بذلك الجزء فيك والذي لا أستطيع الحصول عليه، وإلى أي حد أتوق أن أهرب بك إلى الصحراء، حيث لا يمكن لأحد أن يأخذك مني، فقد كنت قد عدت للتو إلى غرفتي من المكتب، وهناك كانت تنتظرني رسالتك، استلمتها بشغف وسعادة، فلم يبد أن بها ما سيزعجني أو ما هو مكتوب بخط عريض موجه ضدي، ولأن رأسي لم يكن يؤلمني حينها، فقد كان عقلي فارغاً كفاية لأتخيلك في الغابة، أو عند البحيرة، أو الجبال، ولكل هذه الأسباب، غيرها القليل أيضاً، لم يكن لها أي علاقة برسائلك وما وجهته لي من كلام خلالها، فبدت رسالتك للحظة تجلب البهجة، وعندها رددت عليها بحماقتي المعتادة.

الاثنين

أترين يا ميلينا كم أن المرء يفتقر القدرة على التحكم بأعصابه، إلى أي حد يمكن للبحر أن يتلاعب به، -وبدافع الحقد وحده- لا يبتلعه وإنما يتلاعب به.

طلبت منك مسبقاً ألا تراسليني يومياً، وكنت مصراً على طلبي، لأنني كنت خائفاً من رسائلك، وحين لم تكن تصلني رسالة منك كنت أشعر بهدوء عميق، وحين أعود إلى المنزل وأجد منك رسالة، أستجمع قواي -التي ما عادت تسعفني- ويا ليت هذه البرقيات التي أرسلتها لم تصلني، شكراً لك.

ومن بين التقارير التي قرأتها عن روسيا، فقد أصابتني هذه المقالة المرفقة بالصميم، وللتحديد أكثر، آلمتني جسدياً، وضغطت على أعصابي، وعلى دمي حقاً، لم أخذ ما كتب بها بجدية، لكنني كنت قد نوعت فيها كما ينوع بالأوركسترا، (مزقت نهاية المقالة، فهي تحوي اتهامات ضد الشيوعيين، وهذا لا يتفق مع المقالة).

ذلك العنوان بكلماته القصيرة، المزدحمة فوق بعضها، تبدو كابتهال، أو كمديح، ألا توافقينني رأيي؟



(براغ، 31 أغسطس 1920م)

الخميس

وصلتني رسالة يوم الجمعة،ألم تكتبي يوم الخميس رسالة؟، إذن فالأمر جيد، حيث أن رسائلك لا تضيع.

ما كتبته عني هو كلام ذكي بدهاء، ولا أود إضافة أي كلام عليه، فقط اتركيه كما هو، هنالك شيء واحد فقط، -شيء ذكرته أنت أيضاً- وهو ما أود التحدث عنه بصراحة، مأساتي أنني أعتبر أن كل الناس طيبين، وأنا للحقيقة أعتبر نفسي أطيبهم -في قلبي وعقلي- (دخل علي رجل منذ قليل وتفاجأ من الأشكال التي كنت أقوم بها في وجهي والتي تدعم كلامي)، جسدي للحقيقة لا يصدق أن أولئك الأشخاص سيظلون طيبين للأبد، أشعر بجسدي خائفاً وكأنه يزحف إلى أعلى الحائط بعيداً عن هذه المقاييس التي تشكل العالم.

لمرة أخرى سأقوم بتمزيق الرسائل، كرسالة ليلة البارحة، فقد كنتِ حزينة بسببي، (لربما بسبب أمور أخرى أيضاً،) قولي لي ما في قلبك مرة وعددا من مرات حتى يصفى قلبك.

ذهبت البارحة لزيارة الطبيب، وخلافاً لما ظننته لا يظن أنني أتحسن، لكن ما أعتقده أنني مستقر الحال، ويظن أنني يجب أن أرحل، وبعد أن وافقت على الرحيل قمنا باستثناء مصحات جنوب سويسرا، وأوصاني بالذهاب إلى أحد أفضل المصحات في النمسا، ومن دون شك، مصح جريمنستيم للدكتور فرانكفيرتر، ومصح وينير والد، لكنه لم يكن يملك عناوينهم حينها، إن أمكنك هل تستطيعين أن تبحثي لي عن عناوينهم ربما تسألين الدكتور أو الصيدلاني، أو من دفتر عناوين الهاتف -لا عجلة في ذلك- لكن ذلك لا يعني أنني سأسافر، هذه المصحات مخصصة لأمراض الرئة، غرف ممتلئة بعطاس وكحة، وحرارة ليل نهار، حيث أجبر على تناول الطعام، وحيث لا ينفكون عن حقني بالإبر في يديّ حتى تتشنجا، الأطباء هنالك يهود يطلقون لحاهم قساة القلب مع المسيحيين واليهود.

في أحد أواخر رسائلك كتبتِ لي شيئاً، (لا أجرؤ على أن أقرأ تلك الرسائل، حتى لو ألقيت نظرة عليها مراجعة على ما كتب فيها سأفهمه خطأ) عما كتبته عن حالتك بأنها تتجه إلى النهاية، كم كان من ذلك الكلام نابع من معاناتك؟ وكم منه كان تلخيصاً للواقع؟

قرأت رسالتك مرة أخرى وعدت إلى الرهبة المسكونة فيها، شيء ناقص فيها، ليس شيئاً واحداً وإنما عدد من الأشياء، تبدو رسالة ذكية، لكن من الصعب للمرء أن يلعب لعبة التحزير مع الأشباح.

هل رأيت «بلي» ؟ إلى ماذا يغدو الآن، أستطيع أن عرف أن كل ما يغدو له شيء غبي، مع أنه تركك بآراء متناقضة، وطبعاً هناك ما عنصر التشويق، من مجرد أنه يبعد خمسين ألف ميل ويرفض القدوم، وحتى لو أن أجراس سالزبورغ قد رنت لقدومه، فإنها ستتوقف عن الرنين بحذر.

(براغ، 1 سبتمبر 1920م)

الأربعاء

لا رسائل اليوم، أمر غبي، أبدأ الظن حين لا تصلني رسائلك، وحين أستلم رسالة أبدأ بالأنين، ولكن لي الحق بذلك، فكلا الحالتين شكوى حقيقية.

أتت جارميلا لزيارتي اليوم، هذه ثاني مرة أقابلها، لا أعلم تماماً سبب قدومها، جلست مقابل مكتبي، تكلمنا قليلاً عن هذا وذاك، ثم وقفنا ننظر من النافذة، ثم عدنا إلى المكتب، وجلست مرة أخرى، وثم غادرت. بدا هدوؤها مريحاً لي، كانت أقل ألماً من المرة الماضية،بدت محمرة

الخدود، ليست جميلة لذاك الحد، وخصوصاً حين كانت جالسة، حيث بدت بشعة جداً، حيث كانت قبعتها تغطي نصف وجهها، وللصراحة لا أعرف حقاً سبب قدومها، ربما شعورها بالوحدة هو السبب، وحيث أن لا شيء تفعله طوال اليوم، ربما ظنت أن قدومها لزيارتي يعتبر من اللاشيء الذي تقوم به طوال اليوم، كانت مقابلتنا تتسم باللاشيء، ولم أسعد لقدومها، وطبعاً في النهاية كان الأمر صعباً قليلاً، حيث أن النهاية تقربها لواقعها، وكأنها تتجه اللاشيء من جديد، لكنها حاولت إخفاء هذه حقيقة قدر الإمكان، وهي أنها ومن دون سبب ومن دون وقت محدد قامت بزيارتي لأنني قريب من مكان إقامتها. وأظنني إن كنت يوما ما بجوار منزلها، سأذهب إليها لأرى إن كانت بالمنزل، وربما سنذهب للتمشي قليلاً، وأظنني سأكون يومها سعيداً للخروج من الموقف. والآن وبما أنها زارتني مرتين، وهي ليست بالشخص الذي أود مهاجمته بكلماتي، وحتى لو من بعيد، «إذا ماذا علي أن أفعل؟» لو أن عندك فكرة جيدة أرسلي لي برقية بها، حيث أنني لن أستلم ردك بالرسالة إلا بعد مضي عشرة أيام.

كما أنها ذكرت -بذلك الصوت الضعيف- أنها استلمت رسالة منك، «هل ممكن أن رسالتك هي سبب قدومها» أم أن من طبيعتها أن تتجول حول العالم؟ لتضع بلمستها هنا وهناك؟ أم أن قدومها كان بسبب طلب منك؟

أرجوكِ اكتبي لي عن هذا، ولربما أنك ستنسين الإجابة هذه الأيام، وكما ذكرت البارحة «أعاني من صداع لا يحتمل»، كنت سعيداً بالجو صباح اليوم، أحسست كأنني أراكِ بجانب البحيرة، أما بعد الظهيرة بدأ الجو يصبح كئيباً.

(براغ، 2 سبتمبر 1920م)

الخميس

رسائلك من يوم الأحد، والاثنين، وبرقية أيضاً وصلتني، أرجوكِ ميلينا، احكمي بالصواب، أجلس هنا معزولاً، بعيداً كل البعد عن السلام، تتخبطني الخواطر، والخوف، لا شيء سهل، أكتب كل ما أفكر فيه، وحتى لو لم يكن لكلامي معنى، وحين أحادثك أنسى كل شيء حتى أنت، وحين أستلم رسالتين منك أبدأ أعي ما يحصل حولي.

سأتصل بـ «فلاستا» غداً، سأتصل بها من مركز الاتصالات المركزية، لا يوجد هنا مكالمات. ألم تستلمي رداً من والدك؟

لا أفهم سبب قلقك بخصوص الشتاء، إن كان زوجك مريضا جداً، ويعاني من مرضين مختلفين، وإن كان حقاً مرضاً حقيقياً فيجب عليه ألا يذهب إلى المكتب، وليس على الأقل كموظف دائم، ولا بد أنهم سيوافقون على انصرافه مبكراً. يجب عليه أن يرتب أمور حياته بشكل مختلف بسبب مرضه، وهذه سيسهل عليه حياته، على الأقل عليه أن يرتب الأمور الظاهرة التي تشكل عبئاً عليه.

أما أن تواجهي مشاكله وكأنها خطؤك، هذا ما أظنه أكثر الأمور التي لا معنى لها على وجه الأرض، على الأقل هذا ما أظنه أنا. لا أظن العتاب لا معنى له، فحين يكون المرء حساساً من أمر ما يبدأ يعاتب الجميع على كل شيء، (حتى حين لا يكون الأمر يستحق العتاب) أستطيع أن أفهم أن مثل عتابك يكون ظاهراً من القلب، في وقت يحفل بالإثارة والاضطرابات، لكن ما أود قوله حقاً·أن على المرء أن يناقش مثل هذه الأمور وكأنها أمور عادية، كما بالعمليات الحسابية، تظهر النتائج فيها حسب الأمور وتطبق

على الأيام التالية، وهذا لا أفهمه جيداً. طبعاً هو خطؤك، ولكن إن كان كذلك فهو خطأ زوجك أيضاً، ومن ثم خطؤك وخطؤه مرة أخرى، فحين يكون اثنان يسكنان سوياً، فاللوم يظل يتراكم حتى يقع يوما على عاتق صاحب الخطيئة الأصلية الرمادية. لكن كيف يكون بحثي بتلك الخطيئة يساعدني على تخطي اليوم؟ أو بذهابك لزيارة طبيبك؟

الجو ممطر خارجاً، تمطر ويبدو أنها لن تتوقف إطلاقاً، وهذا ما لا أمانعه حقاً، فأنا جالس بالداخل، جاف، يملؤني خجلي لأنني أتناول فطوري للمرة الثانية، أمام الرسومات التي تقف أمام السقالة خارج نافذتي، وتناثرت ألوانها على النافذة، وأنا أمسح بالزبدة على قطعة الخبز، على كلٍ كُل هذا من وحي خيالي، حيث أنه لا يوجد من يهتم بي بمئة مرة أكثر مما أفعل.

سمعت صدفة عن «ويس» وأنه ليس مريضاً، لكنه لا يملك المال- أو هذا ما كان عليه في الصيف- كما سمعت أنهم قاموا بجمع بعض المال له في «فرانسنزباد»، قمت بالإجابة عليه منذ ثلاثة أسابيع، بالبريد المركزي - إلى الغابة السوداء- وكان ذلك قبل أن أسمع عن وضعه، لكنه لم يرد علي، يقيم الآن هو وصديقته في بحيرة ستارنبيرج، والتي ترسل برقيات تبدو غامضة وخطيرة، (وهذا يعكس حالها) ولكنها ليست سعيدة (وكما هو حالها أيضاً)، تكلم معها باختصار منذ شهر، قبل أن تغادر براغ، (حيث حققت نجاحاً باهراً بالمسرح)، بدت تعيسة، بدت ضعيفة وغضه لكنها غير مكسورة، وكأنها تعبت من التمثيل، ذكرت «ويس» في أكثر من موضع وهذه كلماتها «هي في الآن في الغابة السوداء، أموره ليست على ما يرام، ولكننا سنذهب إلى بحيرة ستارنبيرج، وستكون الأمور أفضل هناك» .

نعم، «اللندوية -عربة بأربع عجلات» ستنشر في صحيفة «كمن» لم أقرأ الحلقة الثانية بعد، واليوم ستنشر الحلقة الثالثة والأخيرة.

علاقة جارميلا لا تبدو بالأهمية التي كانت عليها البارحة، أثارت زيارتها الثانية الخوف بي، وأنا إما أنني سأراسلها أو سأقوم بزيارتها، وكل لقاء لي معها، يقوي ظني العميق بأنها لا تفعل ما تفعله بسبب ضعف منها، وكأنها تقوم بمهمة محددة وليست مهمة بشرية.

(براغ، 3 سبتمبر 1920م)

الجمعة

ميلينا، وبسرعة، لم أستلم رسالة اليوم، أظل أقسم لنفسي أن ذلك لا معنى سيء له، ففي الليلة سابقة وللتحديد ليلة البارحة، قضيت حوالي الساعة وأنا أقرأ رسائلك الأخيرة.

الخطة بمحادثة «فالستا» الهاتفية نجحت، سألاقيها الساعة السادسة، مقابل –ربراستنيشنشوا– لم يكن بالأمر السهل، ولم يكن يوماً أن كانت المحادثات الهاتفية سهلةً علي، فقد كانت هذه المحادثة كتدريب على سوء الفهم، –لم أنا الغريب– أريد أن أحدثها أو أن أقابلها في مكان ما، بدا الأمر أنها لم تتنبه لذكري اسمك، ولكني لم أنتبه لذلك إلا متأخرا وكأنها كانت تحاول التخلص مني، وحيث فهمت الأمر على ما هو عليه، –وعلى الرغم من سعادتها العارمة– كان الأمر يهمها جداً، وبعد أن اتفقنا على المقابلة يوم السبت غيرت رأيها، ولذلك سنتقابل اليوم.

حين رأيت ماكس البارحة، رأيت رسالة من زوجك بخصوص التفويض، مكتوبة بهدوء، وكلمات هادئة، وفي مثل هذه الحالة أظن أن ماكس يستطيع المساعدة.

تلقيت حالاً بطاقة من «بيك» هو موجود براغ، لكنه لم يحضر لمقابلتي بعد، كتب لي قائلاً: «أظن أنك تعرف أن «ايرنسي وييس» بخير وأظنه في براغ»، وهذا ما لم أعرفه.

كتبت لي جارميلا البارحة ثلاثة أسطر اعتذار لبقائها عندي لساعة كاملة، على الرغم من أنها لم تزد عن النصف ساعة، وطبعا سأرد عليها الآن، تبدو الأمور جيدة، حيث أنها أعطت محادثة البارحة النقص الذي حواه.

ومن طرف آخر، لا أعلم إطلاقاً ما سأتحدث مع «فالستا» عنه، لكني لا أظن أن هنالك إمكانية أن نتحدث عن أمر مدمر أو حتى سخيف.

صحيفة سيئة، «التريبيونا»، مازال لا رد عن «كل الرجال».



(براغ، 3-4 سبتمبر 1920م)

مساء الجمعة

سأخبرك بأهم أمر مباشرة:

جرت الأمور على أحسن ما يرام، استقلينا الترام إلى شقة أخو خطيبها في «كلينست»، لم يكن أحد هناك، جلسنا معاً ما يقارب النصف ساعة وتحدثنا عنك، ثم حضر خطيبها، والذي انضم إلى محادثتنا مباشرة (وحيباً)، وكأن علاقاتك كانت معلومة له، والذي كان سبب نهاية الحديث، قمت بالحديث عما كان مهماً أن يذكر، وكم كان صعبا أن أسألها عن شيء، لكن الحديث كان مهماً جداً.

بدت هادئة، جادة، واضحة، لربما غائبة الذهن قليلاً، ليست متنبهة جداً. أولا، وعلى الرغم من كل شيء، كانت مطالبتي على الاحترام كبيرة جداً، ولكن غيابها الذهني كان واقعا بجدارة، للصراحة كنت خائفاً من أن تصبح شخصية جداً بخصوص مواضيع بذلك الخصوص،كوجهة نظر والدك مثلاً، لكن الأمر لم يكن كذلك، ربما سبب شرودها هو خطبتها، وبعد ذلك بقليل رأيتها مع خطيبها يتحدثان بالشارع بحديث جاد جداً يميل إلى الشجار.

قالت أول الأمر إنها كانت ستراسلك مباشرة، (وكل ممن أحدثه بشأنك يقول نفس الشيء) لكنها لم تعرف عنوانك، ومن ثم صدفة رأته على أحد الأظرف التي أرسلتها (لوالدك)، ولكنها لم تعرف إن كان ذلك هو التصرف الصحيح أم لا، (في تلك اللحظة بدت مترددة لدقيقة، سواء بسبب شرودها أو بسبب إحساسها بالذنب).

قامت بوصف والدك بنفس الطريقة التي تصفينه بها، والذي يبدو أنه يناظر أكثر بخصوصك أكثر من السابق، ومن باب المقارنة، يبدو أنه يخاف عليك كثيراً، لا يرغب بأن يرسل لك مالاً إضافياً غير مصروفك الشهري، (لكني لا أظن أن سيقتطع شيئا من مصروفك)، فهو يحس أن لا حاجة لأحد به وأن لا فائدة ترجى من أحد.

بعد رسالتك ظنت «فالستا» أنه من الممكن له يساهم في بقائك في المصح لثلاثة أشهر، وأجاب بنعم، هذا يبدو الشيء الصحيح. (حاولت تقليد كلماته بخصوص هذا الموضوع) لكنه لم يناقش الموضوع مرة أخرى وذهب إلى إجازة.

لم أعرف ما كان طلبه الأخير، وحين سألتها عن ذلك، أجابتني بثلاثة أسطر من الرسالة، وحين قاطعتها بسؤال أجابت أنه لا يقصد أن

عليك أن تعيشي معه، -على الأقل ليس في البداية. وحين لاحظت أن هذا هو جوهر رسالته، اعترفت وقالت «نعم وقع الرسالة بـ «جيسنسكي»، والتي تضمنت كل شيء. وعن قصد»، وهذا ما لم أكن أرغب أن أصدقك به- كلمسة مميزة.

وحين طلبت مني أن أصف لها وضعك، وبصيغة أخرى نصحتني بأن أصف وضعك، وكأنها تحقق نتيجة ببالها، قلت شيئاً أخاف أن أعترف لك به.

لا وقبل أن أكمل، يجب أن تعرفي أن وصفي كان سيئاً بقدر ما بدا الأمر، لكنني أظنه شيئاً جيداً، كما ظهر على «فالستا»، وفق ذلك أم أتهم روحاً، ليس بالبداية، أنا لا أصوغ ذلك وكأنها وجهة نظري، وكيف لي أن أفكر بأن أوجه اتهامات، وعلاوة على ذلك أنا شخص أفضل من ذلك بكثير، ليس ذلك ما أعنيه، أنا فقط أتوتر وأظهر ذلك بكلمات بلاغية، لأنني وبحديثي، وبالأخص الكلام المقصود منه - فمن السهل للمرء أن يوجه اتهامات عن قصد غيره، لا أظن أن ذلك ما حدث معي، وعلى الأقل لو كان هنالك احتمال لحدوثه فقد قمت بتصليحه مباشرة، وبالمناسبة لم تكن هي فعلا متهمة، لكن أظن أن شرود ذهنها ما جعلها كذلك.

وكجزء من ذلك أظن أنني نجحت بتوصيل فكرة أنك سينقصك المال، وهذا ما ليس سهلاً فهمه، قامت «فالستا» بالحساب -كما فعل غيرها-، فراتب زوجك الكبير،عشرة آلاف كرون من والدك، وعملك، وطلباتكم المتواضعة وأنتما اثنان فقط، لم سيكون لك حاجة بمالٍ إضافي؟ قالت «فالستا» شيئا بدا كأنها تستحضر ما يقوله والدك لا أدري حقا «إرسال المال لا معنى له، آه ....ميلينا والمال...» وقد قمت بلّي ذراعها خطابياً، وأظن أن ذلك جرى جيداً.

وعلاوة على ذلك، أظن أنهم أساءوا فهم أمورك الداخلية، وهذا ما لم أفهمه أنا، -فكلاهما- تماماً، والدك وفالستا، يظنان أنك ستتركين زوجك لتذهبي إلى براغ ومن دون لغط، والحقيقة ظنوا أنك قد هممت على فعل ذلك منذ وقت، إلا أن ما يحبط خططك هو مرض زوجك، وهنا أحسُّ أنني يجب ألا أتدخل لكن إن كان هذا ما يظنه والدك، فماذا يريد أيضاً؟ ففي هذه الحالة فإن الأمور تجري كما يشاء. وأخيراً طلبت مني النصيحة، وأخبرتها أنني أظن أن فكرة المصحة جيدة جداً، لكنني تذمرت قليلاً منها، (لربما بسبب الغيرة، فهي قريبة من اقتراحي لميران) لأنك لا ترغبين بترك زوجك بسبب مرضه. «أرى طريقاً أخرى للمساعدة» قلت، «ترك الأمور كما هي، ومن دون التركيز على كل شيء، لكن زيادة المساعدة المالية أو المصروف الشهري، أو مثل ذلك، فلو لم يكن المرء يرغب بإرسال المال، فبجميع الأحوال سيصرف المال، وهنا يدخل احتمال آخر، (وهذه فكرتي بالكامل،وقد تزعج ميلينا كثيراً، إن علمت أنني اقترحت ذلك، فأظنها ستغضب جداً مني، ومن جهة أخرى لو افترضنا أنك أنت فالستا تسألينني فعندها سأقترح .. أليس كذلك؟) قسيمة هدية لقضاء أيام مع وجبات في ويسير هان».

وهنا قررت فالستا الكتابة لك من دون إعلام والدك أيا من أخباري -أو هذا ما فهمته- وسوف تتحدث معه بعد أن تراسليها، أعطيتها عنوانك في فيينا، (والذي تذكرته بلحظتها بعد أن كانت نسيته) لا أعرف العنوان في جلجن، (مع أنني قرأت جزءاً منه في ظرف الرسالة الموجه من زوجك) وكما أنني لا أعلم كم ستبقين هناك، وطبعا لم أعطها رقم صندوق البريد خاصتك.

أظن أن الأمور جرت بتفاؤل، وأنها ستتحسن لك، (على الرغم من أنني تعبت منها قليل) فأنا لا أظن أن المال مهم فيها، أحس أن الاهتمام

مازال مرسوما على وجها، (ربما بسبب شرودها) عندما بدأت حساب المبالغ، من غير ظنها أن الأمور ستحل، وكم ستكلف الوجبة في «ويسير هان» أظن أن ذلك سبب حقداً بي وظلماً ساحقاً، فلو كنت مكانها أراقبني، كنت سألحظ أموراً فضائحية، إنها وكما قلت - صديقة ممتازة غير أنانية. وهذا كل شيء، قد أتذكر تفاصيل أخرى لو سألت عن شيء.

أتت سيدة «مهجولة» لمقابلتي ظهر اليوم، (ووفقاً لكلام والدتي والتي ليست متأكدة من اسمها)، طالبةً نصيحتي في أمر ما، وحسب وصفها ظننت أنها جارميلا، أمي «حامية نومي»، كذبت وبكل بساطة بعدم وجودي في المنزل، على الرغم من أنني كنت على بعد خمس أقدام عنها.

عمت مساءً، حتى الفأر الصغير الواقف على زاوية الباب بجانب الحمام يذكرني أن الوقت أصبح منتصف الليل، أرجو ألا يكدر صفوي مروره في أنحاء الغرفة طوال الليل. يا لها من حياة! لقد مضى الأسبوع هادئاً جداً.

السبت

ولكي لا أخفي عنك شيئاً، قرأت لفالستا عدداً من الأسطر من رسائلك الأخيرة، ونصحتها بأن ترسل المال لك مباشرة.

وبقدر ما كان الفأر معنياً، لم أسمع شيئا طوال الليل، لكن حين أزحت البطانيات اليوم صباحاً عن الكنبة، شيء قاتم بذنب وقع، واختفى بسرعة تحت السرير، ومن دون شك كان هو الفأر، أليس كذلك؟

ولو كان الصرير والذيل الطويل من مخيلتي، فأنا لم أجد شيئا تحت السرير، (بقدر ما تجرأت على اختلاس النظر).

رسالة الأربعاء كانت مرحة؟ أنا لست متأكداً من هذا، أنا لا اصدق الرسائل المرحة بعد الآن، كنت على وشك القول: أنا لا أصدق أي رسائل بعد اليوم، فحتى الرسائل الجميلة منها تحتوي على دودة.

كن لطيفاً مع جارميلا،هذا واضح، لكن كيف؟ هل يجب أن أذهب لزيارتها لأن السيدة المجهولة أرادت نصيحتي بأمر ما، وحتى مع نقص الوقت الكافي لنومي وراحتي، أنا أهابها- وكأنها أحد ملائكة الموت، ولكن لا أحد من الملائكة العلويين يمدون أيديهم إلى البشر، هي من نوع أقل من هذا،على المرء أن يتجرع المسكنات بسببها.



(براغ، 5 سبتمبر 1920م)

الأحد

هل ما كتبته هو حقا ما يهمك ميلينا؟ أم أنه إخفاء للحقيقة؟ فقد كتبت عنه مسبقاً، في إحدى آخر الرسائل الموجهة لي وأنا بميران، وهذا ما لن أجيب عنه بعد الآن.

روبنسون قد كلف بأمر ما، كان عليه أن يذهب بتلك الرحلة الخطيرة، واجه تحطم سفينته، وأموراً أخرى، أنا علي أن أفقدك فقط لأصبح مثل روبنسون، لكنني سأكون روبنسون أكثر منه، فمازال هو يملك الجزيرة، وأيام الجمعة، وأشياء أخرى وأخيراً السفينة التي ستبحر به بعيداً والتي حققت كل أحلامه، .أما أنا فلن يظل لي شيء، حتى اسمي، حيث أنني قدمته لك أيضاً.

وهذا ما يجعلني متعجباً بخصوصك، لأن الاستقلالية تفسر كل شيء. فإما أن تكون ممتازة، وأن تكوني لي، وهي في جميع أحوالها ممتازة، أو أن أفقدك، والتي ليست بالضرورة شيء سيء حيث أنني لن أحصل على شيء، وبعيداً عن الغيرة، والألم، والقلق، بعيداً عن كل شيء. فمن الكفر أن يبني المرء حياته على شخص واحد، ولهذا يبدأ الخوف في مثل هذه الحالات، ليس الأمر وكأنني أخافك، لكن الخوف من هلاك الحياة التي آملها معك، ولهذا ذلك الوجه الجميل الذي تملكينه فيه كثير من الألوهية، -وهذا ما يكفيني لأبدأ به-.

والآن قام سامسون بكشف سره لدليلة، ولشعره، والذي كانت تنزعج منه، وها هي الآن جاهزة لقصه، لكن عليها أن تبدأ ، يكون الأمر على ما يرام لو أنها لم تملك سراً مثله.

لثلاث ليال، لا أنام جيدا بسبب واضح، وأنت تقومين بذلك بأحسن حال؟

إجابة سريعة، إن كان ذلك يعتبر جوابا، وصلتني البرقية، أتت على غفلة مني، (ومفتوحة أيضاً) ولم أكن أيضاً على علم بها لأترقبها - وكم كنت بحاجة لها اليوم، كيف عرفتِ؟ حدسك، دائما ما تراسلينني حين أحتاجك.



(براغ، 6 سبتمبر 1920م)

الاثنين

لا رسائل

بقدر ما يعنني أمر تقرير ماكس، فهو يعتمد على ما إن كانت هذه فكرتك أم فكرة لورين، على اعتقادي ما زال الأمر محتملاً، لكن ليس كتقرير قيادي، وإنما بصفحة التسالي، بالمناسبة، هناك العديد من التقارير السياسية التي تعرض يعمها الملل.

أرسلت لكم العنوان البارحة، كارل مير، برلين، ليزنبربيجر، شارع رقم 32

كانت برقيتك جيدة جداً، فلم أذهب لرؤية جارميلا، لكن لرغبتك بذلك ذهبت، ولقد كانت هي السيدة المجهولة التي حضرت منذ يومين، وحتى أنها لم تقل ما كانت تريده، كانت تريد أن ترسل لك رسالة وكانت تريد معرفة إن كان بإمكانك أن تحفظيها بعيدة عن متناول زوجك، (ولم ذلك؟) والآن وبعد أن فكرت لم تعد تريد إرسالها، ويمكن أن ترسلها لاحقاً إن أرادت، وفي تلك الحالة ستقوم إما بإرسالها لي، أو تحضرها لي-وهذا ما لم أفهمه-، لكن الأمر كان أنني شعرت بملل كبير، (وكان الأمر بعكس إرادتي)، وكأنه أمر قمعي كغطاء التابوت، وكانت مغادرتي كخلاص لها.

الآن استلمت بعضاً من الرسائل، (رسائل من يوم الأربعاء إلى الجمعة)، ورسالة من «ووش» موجهة لي باسمي «فرانز»، كيف له أن يعرف أن اسمي فرانز؟)، أشكرك على العناوين، سأكتبهم لاحقاً، أنه صحيح، لأبقى قريباً منك، وإلا لن يكون لي الكثير لأفعله عدا الاستلقاء في المصحة، وأن آكل، وأن أنظر إلى سماء الشتاء.

بدءا من اليوم لن أكون وحدي في المكتب، لا أحبُّ الأمر بعد أن كنت وحدي طول تلك المدة، وحتى لو للسؤال، كان الشاعر هنا لساعتين وغادر بدموعه، كان غير سعيد بسبب ذلك، فما كان منه إلا البكاء.

طبعا لا تراسليني إن كان الأمر لك أمراً روتينياً، وحتى لو رغبت بذلك، وحتى لو كان عليك أن تراسليني، لكن ماذا سيبقى بعد؟ ماذا سيبقى بعد ذلك؟

سأرفق شيئا لتلك الصغيرة المشاكسة.

نعم، سأراسل ستيسا

(براغ، 7 سبتمبر 1920م)

الثلاثاء

سوء الفهم دائماً وأبداً، وهذا أصعب من سوء الفهم العادي، ميلينا، وحتى لو بدا لك أنك فهمتِ ما هو ظاهر، لكن ماذا هناك لنفهمه أو لا نفهمه، مازال سوء الفهم يلاحقنا، حدثت مرة أو مرتين في ميران، فبالنهاية لم أكن أطلب نصيحتك كما لو أنني اسأل شخصاً يجلس مقابلي، أنا أحدث نفسي من خلالك، أنا أطلب من نفسي المشورة، كما لو كأنني كنت نائماً وأنت أيقظتني.

وكجزء من ذلك، ولا يوجد الكثير لنقوله، علاقة جارميلا الغرامية منتهية، كتبت لك عن ذلك البارحة،أظن أن الرسالة بالطريق إليك، بالمناسبة، الرسالة التي كتبتها لي سلمتها لي جارميلا.

لا أعرف كيف لي أن أسألها عن ذلك، أنا لا أعرف ما تريدين، فمن الصعب علي الآن أن أكلمها أو أراسلها ؟

فهمت من برقية البارحة أنك لا تريدينني أن أراسل ستيسا بعد الآن، أتمنى أنني فهمت ذلك جيداً.

تحدث البارحة مع ماكس مجدداً بخصوص الصحيفة، فلأسباب سياسية لا يستطيع نشر مقالك، لكن أخبريني لم تريدين شيئاً يهودياً وربما أستطيع أن أكتب أو أرسل بعض الأفكار.

لا أعرف إن فهمت العلامات التي وضعتها على التقرير الخاص ب «بولسيفييم» وماذا كانت رؤية الكاتب، فبحسب فهمي أظن أن ذلك كان أفضل مدح وجد إلى الآن.

عنوان «جوانتيز» في حالة أنك لم تستلمي الرسالة : كارل مير، برلين، ليزنبربيجر، شارع رقم 32، علماً أنني أرسلته لك، وهذا ما يشتتني.

كنت البارحة مساءً مع «بربرام»، من الأيام الخوالي، تحدث عنك برقة وطيبة، وليس كأنك خادمة، مع أنني وماكس تعاملنا معه بطريقة سيئة، عرضنا عليه أن يقضي الليلة معنا، وتحدثنا باستمرار لما يقارب الساعتين عن هذا وعن ذاك،وفجأة تعاركنا معه (وقد كنت أنا من أراد العراك)، بسبب أمر يخص أخاه، لكنه دافع عن نفسه بذكاء، وقد كان حديثه صعب النقض، حتى أن استدعاء أحد من ماضيه لم يكن ليفيد، لكن محاولاتي لم تنتهِ بعد.

إن كان أحد أخبرني ليلة أمس، (في حوالي الساعة الثامنة، نظرت إلى الشارع، مقابل الممر اليهودي، كان يقف ما يزيد عن عشرة آلاف روسي- يهودي مهاجر، ينتظرون السكن، كانت الملجأ ممتلئاً جداً كما كان أيام التشريد، وهم بانتظار تأشيرة الدخول الأمريكية، وبعد ذلك بحوالي الساعة الـ12 ونصف، رأيتهم جميعاً نائمين، كلٌّ بجانب الأخر، وحتى أنهم كانوا نياماً على الكراسي، هناك شخص يسعل، و ذلك يتقلب، وغيره يحاول المشي بحذر بين الناس، كانت المصابيح مضاءة طوال الليل، فلو كان أحد أخبرني عما سأراه الليلة، كنت سأتمنى لو كنت طفلاً يهودياً من الشرق،

أقف هنالك على الجانب من دون قلق، يقف والده يتحدث مع أحد ما في منتصف الردهة، وأمه التي لم تترك شيئا إلا ولبسته تنتظر تفتيش ما حزموه معهم للرحلة، وأخته تتحدث مع الفتيات وتمرر أصابعها على شعرها الجميل، وفي أقل من أسبوع سيكونون في أمريكا، طبعا الأمر ليس بمثل هذه السهولة، طبعاً كانت هنالك حالات من الإسهال، وأناس آخرون يقفون خارجاً يكيلون التهديدات، وحتى هنالك متشاجرات بين اليهود أنفسهم، وكان هنالك اثنان يتصارعان بالسكاكين. فلو كان المرء صغيراً، يفهم كل شيء بسرعة ويحكم عليه بسرعة، ما كان سيحدث حينها؟ وكان هناك العديد من الأولاد الصغار يركضون في الأنحاء، يتسلقون على الأسرة، ويزحفون تحت الكراسي، ويتمددون بانتظار الخبز، الذي كانوا يفرقونه على بعض طالما أنه ما زال قابلا للأكل.

(براغ، 10 سبتمبر 1920م)

الجمعة

وصلتني برقيتك للتو، أنت على صواب، فالطريقة التي اهتممت بها بالموضوع كانت غبية وغير مجدية، لكن لم يبدو أن هنالك حلاً آخر، فنحن من نعيش في جو من سوء الفهم، فأسئلتنا تتلاشى بسبب الأجوبة التي لا قيمة لها، الآن يجب علينا أن نتوقف عن الكتابة لبعضنا، ونترك المستقبل للمستقبل.

وبما أنني مسموح لي فقط أن أحادث فالستا هاتفياً، وليس كتابة، لن أستطيع أن أخبرها ما تريدين قبل الغد.

(براغ، 14 سبتمبر 1920م)

الثلاثاء

وصلتني اليوم رسالتان، وبطاقة مصورة، ترددت في أن أفتحهما، فإما أن تكوني طيبة إلى حد الخيال، أو متحكمة عصبية، وكأن كل شيء يتحدث بداية، والباقي للباقي.

أعيد وأقول: نعم أنت على حق، ولو كنت (وهذا مستحيل) فلو كنت أوكلت لي أمراً متهوراً، عنيداً، أحمق طفولياً، معتد بنفسه، ومختلف عما فعلته لك بكلامي لفلاستا، كنت سأفقد أعصابي، ولن يكفيني حينها أن أرسل برقية فقط.

قرأت البرقية مرتين، مرة سريعة حين وصلتني، ومرة أخرى بعد عدة أيام حين مزقتها. من الصعب أن أصف أول مرة قرأتها فيها، فكل الأمور تبعثرت، فما كان واضح هو أنك تودين ضربي، وقد بدأتِ بسرعة بذلك، وهذا ما فاجأني.

لا، اليوم لا أستطيع أن أكتب لك بالتفصيل، ليس لأنني تعب على وجه التحديد، لكن لأنني أحس بأنني ثقيل، أشعر أنني أمر بحالة من اللاشيء التي وصفتها لك مسبقاً.

أنا على ثقة أن من الصعب الفهم إن كنت أظن نفسي على خطأ حين قلت ما فعلت، وإن كنت كذلك فقد استحققتُ الضرب منك، لا، كلانا مذنبان، ولا أحد منا مذنب أيضاً.

وبعد أن اطلعت على التفاصيل بروية، لا أظن أن بإمكانك أن تشرحي موقفك لفلاستا، بالرسالة التي أرسلتها لك في فيينا، ذهبت

للبحث عنها في شقة والدك حين استلمت برقيتك، في الأسفل كانت هنالك ملاحظة مكتوبة عليها «مدخل الدرج»، وكنت قد أخذتها لأصعد إلى الأعلى، فتحت الباب لي خادمة جميلة، لكن فلاستا لم تكن موجودة، كنت على ثقة بأنها ليست في المنزل لكن كان علي المحاولة، وحاولت معرفة متى ستعود، (وحسب ما هو مكتوب على باب الشقة، فإن والدك محرر في «مجلة رياضية»)، وفي اليوم التالي بقيت أنتظرها مقابل المنزل، أعجبتني هذه المرة أكثر من المرة السابقة، بدت ذكية، متقدة، لها وجهة نظر، ولم أقل لها أكثر مما كتبته لك في البرقية.

على الهامش: أستطيع أن أبدد مخاوفك بخصوص والدك المرة القادمة.

أتت جارميلا لزيارتي منذ ثلاثة أيام، فلم تسمع أخبارك منذ مدة، لم تكن تعرف شيئاً عن الفيضان، وأتت لتسأل عنك، جرت الأمور بسلاسة، لم تطل في زيارتها، نسيت أن أخبرها عن طلبك بمراسلتها، لكنني كتبت لها رسالة عن ذلك.

لم أمعن قراءة رسائلك، وسأرد عليك حين أفعل.

والآن وصلتني البرقية، حقاً حقاً، والآن ما عدت تردين انتقادي؟

لا، لا تستطيعين أن تكوني سعيدة بذلك، هذا مستحيل، فهذه برقية اللحظة كما كانت سابقتها،والحقيقة ستكون هنا أو هناك، حين يستيقظ المرء صباحاً، يظن أن الحقائق موجودة بجانب السرير، وكأنها نعش مفتوح يتدلى منه أزهار ذابلة.

أنا لا أجرؤ على قراءة رسائلك، أستطيع تهجئتها فحسب، لا أستطيع أن أحتمل الألم الذي تحضره لي، ميلينا، مرة أخرى أتحسس شعرك، هل أنا

وحش شيطاني، شرير على نفسي على قدر ما أنا عليك، أم من الأفضل أن أقول إن الشيطان يتعقبني؟ أو يسيرني؟ ولكني لا أستطيع أن أعترف أنه عمل الشيطان، وذلك يظهر فقط حين أراسلك فأفكر به وأكتبه لك.

وإلا فان الأمر كما ظننت، فحين أكتب لك يجافيني النوم، قبل أن أبدأ الكتابة وبعدها، فحين لا أكتب لك أنام لعدة ساعات نوماً متيقظاً، وحين لا أكتب لك لا أكون تعباً، حزيناً، ثقيلاً، وحين أراسلك أشعر بقلق وخوف. يبدو أن كلينا نبحث عن العطف، أنا أطلب منك أن تسمحي لي بالزحف إلى مكان ما، وأنت تسألينني - ويبدو أن الأمر سيان لنا.

ولكن كيف يكون هذا صحيحاً، أنت تسألين، ماذا أريد؟ وماذا أفعل؟

يبدو الأمر كالتالي، أنا - حيوان في الغابة، كنت في ذلك الوقت بعيداً عن الغابة، كنت مستلقياً في خندق وسخ، (اتسخ فقط بسبب وجودي به، طبعاً)، وحين رأيتك في الفضاء القريب، أجمل ما وقعت عليه عيناي، نسيت كل شيء، نسيت نفسي تماماً، ووقفت، واقتربت، (يتملكني القلق، لكني كنت حينها حراً)، واقتربت أكثر، حتى وصلت لك، بدوت طيبة جداً، جثمت بجانبك وكأنه حق لي، وضعت وجهي بين يديك، كنت فرحاً جداً، فخوراً، حراً، عظيماً، وكأنني في منزلي، مرة أخرى، وكأنني في منزلي، لكني نسيت أنني مجرد حيوان، جزء من الغابة، أعيش في الطلق منتظراً نعيمك، وكأنني أقرأ مصيري في عينيك، وكأنني نسيت كل شيء، كان بإمكان ذلك أن يستمر، مع أنك كنت تصفعينني بيديك الحانيتين، فقد كنت على علم بما لا أعرف عن هذه الغابة، وكأنها منزلي وجزء مني. وبعدها تأتي الضرورة لنتناقش عن الخوف، الذي يعذبني، (لكن أنت، كنت بريئة)، لتضعي يدك على عصب حساس، بدت المشاعر تزداد داخلي،

أي حيوان قذر كنت قبلك، كنت أشتتك، ودائما أقف في طريقك. سوء الفهم هذا الذي أوضحه ماكس لي، في جومند بدا واضحاً جداً، ثم ظهر الفهم وسوء الفهم بخصوص جارميلا، ومن ثم تصرفي غير اللائق مع فالستا، والعديد من الصغائر هنا وهناك. تذكرت من كنت، وعلمت أن عينيك لن تخدعاني بعد اليوم، وكأنني بكابوس، (وكأنني أسكن في منزلي وهو ليس بمنزلي)، لكن لي بدا الكابوس حقيقياً، كان علي أن أعود إلى الظلام، لم أحتمل البقاء تحت الشمس، كنت مخنوقاً، حقاً كحيوان ضال، بدأت بالركض سريعاً، طالما استطعت بعيداً عن كل شيء، أفكر «فقط لو استطعت أن آخذها معي» ويعود تفكيري ليقول مجددا «لكن ألا يوجد ظلام حيث تكون؟» اسأليني كيف أتماشى مع هذه الحياة، بأجوبتك.

(براغ، 14 سبتمبر 1920م)

كنت قد أرسلت رسالتي لك حين استلمت منك رسالة، وهنالك شعور دفين، شعور بالخوف الذي يشعرني بالغثيان، ليس لأنني مصاب بالغثيان لكن لأن معدتي ضعيفة،كسهولة أن تقولي، «حين يكون المرء وحيداً، يكون النقص محتملاً كل دقيقة في اليوم، فالأزواج، وحتى لو لم نكن نحتملهم، أليست أعينهم موجودة لأن علينا أن نمزقها، وقلبنا موجود لنفس السبب؟ في نفس الوقت لا يبدو الأمر بذلك السوء، فهذه مبالغة وكذب، كل شيء مبالغ فيه، الشيء الوحيد الحقيقي هو الشوق، والذي لن يستطيع أحد أن يبالغ فيه، ولكن حتى الحقيقة في الشوق ليست حقيقية جداً، فهي مجرد تعبير عن كل شيء آخر، وهذا كذب، يبدو أن كلامي مجنون، ومشوه لكنه حقيقي.

وعلاوة على ذلك، ربما ليس هذه حباً حين أقول أنك أحب شيئاً عندي، فأنت السكين التي أغرسها في داخلي، هذا هو الحب.

وبالمناسبة،أنت تقولين نفس الشيء، «يفتقدون القوة للحب» ألا يكفي هذا للتمييز بي «الرجل» و«الوحش»؟

(براغ، 15 سبتمبر 1920م)

الأربعاء

لا وجود لقانون يمنعني أن أكتب لك لأشكرك على رسالتك، والتي ضمت أجمل ما يمكن أن يكتب لي «أعرف أنك ....»

من جانب وعلى ما يبدو وكأنك على وفاق معي منذ أمد أننا يجب أن نتوقف عن الكتابة لبعضنا، وقد كان ذلك وقتياً حين ذكرته، وكان عليك أن تقولي أنت كذلك أيضاً، وبما أننا متفقان، لا فائدة من أن نكتب لم لا فائدة من أن نكتب. فالشيء السيئ الوحيد الناتج عن ذلك فهو أنني لن أتمكن بعدها من الكتابة لك، (فعليك الآن أن تتوقفي عن السؤال في مكتب البريد)، أو أي احتمال من أن أرسل لك بطاقة بريدية من غير كلمات، وهذا ما سيعنيه أن رسالة تنتظرك في مكتب البريد، ستمر ومن دون أن تطلب منك الكتابة لي حين يكون ضرورياً.

لم تذكري أي رسالة من فلاستا، علماً أنا اقترحت اقتراحاً مطروحاً من والدك بأن تزوري مصحة تختارينها بنفسك، لعدة أشهر، لم يرد أحد على إعلانك، (وهو ليس بشيء غريب، فالمصحات في تشيكا غير مرغوبة)،

يمكن أن توافقي على العرض، وكلامي ليس نصيحة لك، فمجرد الفكرة تبدو سعيدة.

لا شك أنني أخطأت في أمر فلاستا، لكن ليس بالخطأ الذي يظهر حيث تذكرينه بخوف، كبداية، لم أذهب لهم كمتسول، ولا كبديل عنك، ذهبت كغريب يعرفك حق المعرفة، وكمن له وجهة نظر في حالك بفيينا، وكمن من استلم رسالتين حزينتين منك، أعترف أنني ذهبت إلى فلاستا من أجلك، ولكن فعلياً من أجل والدك أيضاً، الجوهر في مقابلتي لهم كان واضحاً على الرغم من عدم ذكره صراحة، كان والد ميلينا لن يحصل على نصره بعودتها طوعياً، وتواضعاً، ومقتنعةً، وهذا لا مجال للتساؤل فيه، لكنني على ثقة من أنها ستعود إليه بعد ثلاثة أشهر من الآن، مريضة جداً، وهذا ما ليس بنصر وليس هذا بالشيء الذي يجب أن نسعى إليه، أليس هذا صحيحا؟

كان هذا من جهة واحدة،وكان الأمر الآخر عن المال، لقد تصورته كما بدا لي، ففي خضم تلك الرسالتين، والتي ستلغي أيا مما أقول، وأشعر أنني كل مرة أزور حقيقة لفلاستا، أقربك إلى فيينا أكثر، (لم يكن الأمر كذلك، هذا هو المحامي اليهودي الذي يتكلم، كلماته سريعة جداً، لكنها حقيقة نوعاً ما)، فلم أقل تقريبا شيئا مماثلا لـ«ينفق زوجها أغلب معاشه على نفسه، وهذا ما لا نقاش فيه، ميلينا لن تحصل على الكثير منه، إنها تحبه على هذا الحال، ولا تود تغيير شيء فيه، بالحقيقة، يعجبها الأمر على ما هو، فهي مجبرة على تحمل الأمور الأخرى، وحتى زوجها إلى حد ما، وكذلك وجبات طعامه»، وبما أنه لا يكسب ما يكفيه وحده، بسبب الاقتصاد السيئ في فيينا، فكيف يكون بسيطاً عليها أن تكفي متطلباتها المادية، وأن تكون سعيدة أثناء ذلك، وهذا ما كان حالها العام الماضي، ففي النهاية، فحين تركت المنزل كانت مدللة، من غير خبرة، لا تعلم مطلقاً قوتها وما يمكن أن

تحتمله، كلفها ذلك سنتين (وهذه ليست مدة طويلة) حتى اعتادت على حياتها الجديدة، وقبل أن تعتاد على حياتها المنزلية وحدها: قامت بإعطاء دروس خصوصية، التدريس في المدرسة، الترجمة، الكتابة، ولكن كما قلت، هذا ما لم يحدث إلا منذ عام فقط، السنتان السابقتان لذلك كانت تستدين المال، وتحولت حياتها إلى ديون، وهذا ما كن مستحيلاً أن يدفع من راتب زوجها وحده. ومع ذلك سبب ذلك لهما الألم والعذاب، وكان من الصعب عليهما أن ينظما أمورهما، وبأن يبيعا ما كان لديهما، فقد أجبرت على العمل القاسي، (ولم أخجل من ذكر أنك عملت في حمل الخشب، والأمتعة والأدوات الموسيقية)، حتى سقطت مريضة، وهذا ما كان الوضع عليه».

أنا لا أقول وداعا، فلا وداع، إلا الجاذبية التي تنتظرني، والتي تجذبني إلى الأسفل، وكيف لها أن تفعل ذلك، بما أنك مازلت حية.

(براغ، 18 سبتمبر 1920م)

لا تستطيعين، ميلينا، أن تفهمي ماهية الأمر، أو ما كان عليه، أنا لا أفهمه، أنا أنتفض وعلى وشك الانفجار، تستطيعين أن تعذبيني حتى أفقد أعصابي، ولكن ما هذا الأمر، وماذا علي أن أفعل، لا أعرف، أنا أعلم ما يحتاجه الأمر الآن، الظلمة، والهدوء، والزحف إلى البعيد، وعلي الخنوع فقط، فلا أستطيع غير ذلك. فهو مجرد انفجار وسيمر بسلام وقد مر بسلام، لكن القوة التي أصدرته هي ما ترتجف في داخلي، قبله وبعده، في أعماقي، فذلك يهدد حياتي، وجودي، وإن توقفت، أتوقف، إنها الطريقة

التي أشارك فيها بالحياة، وإن توقفت أتوقف عن الحياة، ببساطة وبسهولة، كما لو أغمضت عينيك، ألم يكن ذلك موجوداً دائماً، منذ تعارفنا، وحين سرقت لمحة مني ألم تكن موجودة حينها؟

لا يستطيع المرء أن يقلب الصفحة ويمحو ما حدث ويقول: مر الأمر بسلام، فأنا لا أشعر إلا بهدوء وسعادة، وممتن بوجودنا معاً، وهذا ما لن أستطيع قوله، ومع أنه يبدو حقيقياً، (فالامتنان حقيقي، والسعادة مرتبطة بأمور معينة، لكن الهدوء لم يكن يوماً حقيقياً)، ولكني سأكون خائفاً، وأبقى خائفاً وحدي.

ذكرت الخطوبات وأموراً أخرى: طبعاً كان الأمر بسيطاً، لا ألم به، لكنه فعال، وكأن الشخص عاش حياة فاسقة،وحين تم القبض عليه عُذب عن كل الفاسقين، ووضع رأسه تحت الملزمة، ومسامير تطرقه، وحين تخنق عليه بالمسامير، يكون المرء مجبرا على أن يقول: «نعم سأتمسك بحياة الفسوق، أو كما تريد سأتركها» وسيظل المرء يصرخ بلا توقف «لاااا...» حتى تنفجر رئتاه.

يحق لك أن تصنفي فعلي تحت مثل هذا الفعل والأمور أخرى أيضاً، ففي الآخر، أستطيع أن أظل نفس الشخص وأن أظل أعيش نفس الحياة، لكن الفرق الوحيد، أن لي خبرة بالحياة، لا أنتظر حتى أبدأ بالصراخ، حتى يضربوني بالمسامير لأعترف، أنا أبدا بالصراخ متى ما رأيت المسامير، وبالحقيقة أبدأ بالصراخ متى ما ظهر شيء بالأفق، ومن هناك تبدأ معرفتي بالأمور، وليس كتنبيه لي، فلا تنبيه يوضح ما سيحصل. ولكن هناك اختلاف آخر أيضاً، أنت تستطيعين أن تتحملي الحقيقة كما لا يفعل غيرك، ويستطيع المرء أن يحدثك بالصراحة لمصلحته ومصلحتك، وبالحقيقة يستطيع المرء أن يميز الحقائق من خلالك.

لكنك كنت على خطأ بالاستهزاء برجائي لكي لا لا تتركيني، فبهذا الخصوص، لم أكن مختلفاً حينها عما أنا عليه الآن، كنت أعيش متلهفاً نظرة منك، (هذا ما ليس غريباً عنك، فبنظرة منك يعبدك المرء)، لم أكن أقف على أرض صلبة، وهذا ما كان يخيفني كثيراً، لكني لم أكن أعي ذلك، لم أكن أعرف كم كنت أطفو فوق الأرض، وهذا لم يكن جيداً، ليس لك، وليس لي، فكلمة واحدة حقيقية، كلمة حقيقية واحدة لا مفر منها كانت كافية إلى أن تعيدني إلى الأرض قليلاً، وكل كلمة تقربني إلى الأرض قليلاً، حتى لم يعد هنالك ما يكفي من الوقفات، وها هو المرء يصطدم بالأرض، ومع ذلك كان الأمر بطيئاً جداً، أنا لا أعطي أي أمثلة على «الكلمات الحقيقية» لهدف ما، فلا أظن إلا أنها ستزيد الارتباك ولن تكون صحيحة جداً.

أرجوكِ ميلينا، جدي لي طريقة أخرى لأراسلك بها، إرسال البطاقات المزورة غبي جداً، وكما أني لا أعرف ما نوع الكتب التي علي أن أرسلها لك، وكما أن استمرار ذهابك إلى مكتب البريد لتفقد الرسائل لا جدوى منه، أرجوكِ فكري بطريقة أخرى.

(براغ، 20سبتمبر 1920م)

الاثنين مساءً

إذن ستذهبين يوم الأربعاء لمركز البريد ولن يكون هنالك رسائل بانتظارك، نعم سيكون هنالك رسالة يوم السبت، لم أستطع أن أكتب لك وأنا في المكتب، حيث كان يجب أن أعمل ولكني لم أستطع العمل لأنني كنت أفكر فينا، ظهر اليوم لم أستطع أن أقوم من فراشي، ليس لأنني كنت

متعباً وإنما لأنني أحسست بثقل، تظل هذه الكلمة تخطر ببالي، فهي الكلمة الوحيدة التي تصف حالي، هل تفهمينها؟ إنها شيء كالثقل، وكأن القارب أضاع وجهته ويقول للموج: «أنا ثقيل جداً على نفسي، ولكني خفيف جداً عليك» لكن الأمر ليس كذلك أيضاً، فلا أستطيع وصفه.

لكن أساساً، لم أكتب لك لأن لدي شعوراً غامضاً أن هنالك أموراً أخرى، -ولها تلك الأهمية- فقد وددت أن أكتب لك، وكان كل الوقت الذي في العالم لن يكون كافياً لي لأستجمع قواي وأفعل ذلك، وهذا ما هو عليه الحال حقيقة.

وبما أنني لا يسمح لي أن أتحدث عن الحاضر، وهنالك ما هو أقل مما أتكلم عنه في المستقبل، فأنا حرفيا الآن قد تسلقت على فراش المرض (فراش مرض بري من بعيد)، فأنا ما زلت أتشبث به، وكأنني أرغب إلى أن أعود إليه، خلافاً على حقيقة أنني أعرف ما يعنيه هذا السرير.

ميلينا، ما كتبته عن الأشخاص، «الذين يفتقدون القوة للحب» كان صحيحاً، وحتى لو لم تفكري كثيراً فيه حين كتبته. فربما أن قدرتهم على الحب تتجرد فقط برغبتهم بالحب، وأظن أن ذلك ضعف إضافي في هؤلاء الأشخاص، فحين يقول أحدهم لمحبوبته: «أنا أعتقد أنك تحبينني» فهو بالحقيقة يكون مختلفاً عما بدا، ويختلف قليلاً وكأنما يقول: «أنا محبوب منك» وهؤلاء ليسو فعلاً أحباء وإنما نحويون.

«النقص الزوجي» كان سوء فهم في رسالتك، لم أرغب بأن أقول أكثر من «أنا أعيش بقذارتي، وهذا شأني، لكن أن أجرك إليه هو أمر مختلف تماماً، وليس تجاوزاً عنك، فهذا عرضي، فلا أظن تجاوزي عن أحد سيحرمني نومي، بقدر ما سيؤثر الأمر على الشخص الآخر، إذن الأمر لم

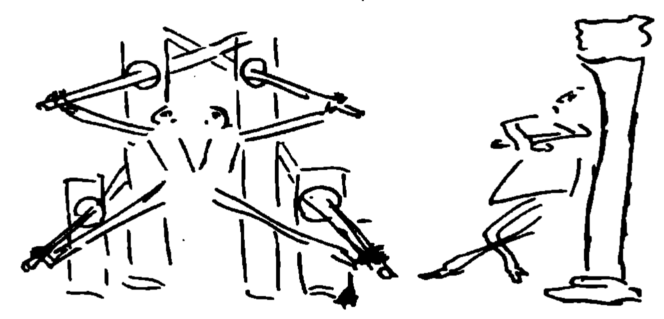
يبدُ كما فهمته، بالإضافة إلى أنك تزيدين تنبهي لقذارتي، وفوق كل هذا التنبه يجعل خلاصي صعبا جداً، لا يبدو وكأنه مستحيل،(يبدو مستحيلاً في كل الأحوال، لكن هنا الاستحالة تزداد)، هذا ما يجعل جبهتي تنحرق، وهذا هو خطؤك، ميلينا، خطؤك بلا شك.

لكنه كان خطأ، وأنا نادم جداً لأني قمت بمقارنات لأمور قديمة في رسالتي الأخيرة، لنمحها سوياً، وكأنها لم تكن.

إذن أنت لست مريضة ؟

(براغ، سبتمبر 1920م)

طبعا ميلينا، لك ملكية هنا في براغ، ولا أحد يحاول أن يتحدى ذلك إلا الليل، والذي يصارع من أجله، لكنه يصارع لكل شيء، لكن أي ملكية! أنا لا أحاول أن أقلل من شأنها أكثر مما هي عليه، إنها شيء كبير جداً، تكفي لتحوي قمراً كبيراً داخل غرفتك، ولن تكوني خائفة حينها من الظلام، ظلمة من دون دفء الظلام.



إذن هل ترين كيف أقيد نفسي، كما يظهر في رسمتي، فهناك أربع مواضع، وأقطاب تشغيل تتجه إلى المنتصف، حيث تثبت أيدي الجانحين، أقطاب للأرجل تشغل من الخارج، وحين يثبت الشخص، تشد الأقطاب للخارج حتى يتمزق المرء من منتصفه، والمخترع يتكئ على العمود، ويداه ورجلاه متعانقتان، في الهواء، وكان الأمر كله كان من اختراعه، ومع أن الأمر كان بأنه رأى الجزار في محله، يخرج أحشاء الخنزير.

كوني أسألك عن إن لم تكوني خائفة هو لأن الشخص الذي تكتبين عنه لا وجود له، ولم يكن موجوداً يوماً، فلم يكن الشخص الذي قابلته في فيينا موجوداً، ولا حتى في جومند، ولكن إن كان كذلك، فربما بات ملعوناً، وهذا مهم لمعرفته -فان حدث وتقابلنا- فذلك الرجل من فينيا وحتى من جومند، سيظهر مجدداً، وبكل براءة، وكأن شيئا لم يكن، فذلك الشخص المختبئ خلف نفسه، غير معروف للآخرين، ولا حتى لنفسه، فلا يظهر أمام الناس، ولكنه حقيقي أكثر من أي شيء آخر، (لم لا يتسلق ويظهر نفسه؟) هل سيظهر مجدداً ويدمر كل شيء مرة أخرى.

(براغ، سبتمبر 1920م)

نعم، «ميزيه كوه» كان هنا، جرت الأمور بسلاسة، فبجميع الأحوال لا أود الكتابة عن الآخرين بعد الآن، فالكلمات تختلط برسائلنا ويبدأ فيها الملام، ولكن ليس هذا هو السبب لم لن أكتب عنهم مرة أخرى، (فبالنهاية لا دخل لهم باللوم الناتج، فهم يمرون بممر الحقيقة ومن يريد يستطيع اللحاق بهم)، ولا أريد أن أعذبهم بذلك، في حال اعتبرنا ذلك

تعذيباً، لكن يبدو لي وكأن لا مكان لهم هنا بعد الآن، فالمكان معتم هنا، مكان معتم لا يجد أحد فيه طريقه إلا سكانه وبصعوبة بالغة.

وهل ظننت أن الأمر سيمر بسلام؟ عرفت أنه لن يفعل.

حين كنت صغيراً وكنت أتصرف بسوء، ومع أنه لا شيء حقاً سيء بالقدر الذي نعتقده، ولكنه سيء بقدر ما ظننته كطفل، (فبالحقيقة لم يكن معروفاً كسوء يشهد عليه، وإنما سيء كفاية ليشهد كم أن العالم أعمى ونائم)، كنت أستغرب كيف أن الأمور تمر من دون تغيير، والبالغون، الكئيبون، ظلوا يمرون حولي بلا تغيير، وبقت أفواههم مغلقة بلا كلام، وكان الأمر طبيعي، وهو ما نال إعجابي من الأسفل منذ نعومة أظافري، وهذا ما جعلني أن أستنتج بعد أن كنت متفرجا ، أنه لا يمكن لمثلي أن يقوم بعمل سيء، وبجميع الأحوال، وإنما كان تصرفاً طفولياً مني أن خفت من ذلك، وها أنا أستطيع أن أبدأ مجدداً من حيث توقفت أول مرة صدمت فيها.

وبعد ذلك تغير مفهومي عن الأمور المحيطة بي، فبداية كنت أظن الآخرين يدققون في الأمور، وأنهم يعبرون عما يشعرون به بوضوح، لكن لم تكن عيناي حادتي النظر، إلا أنني مؤخراً أصلحت ذلك، لكن في الأمر الآخر، كنت مازلت مندهشاً من رباطة جأش الأشخاص، وهم في الصميم كانوا كذلك، ولكن ذلك لم يكن كلفاً كإثبات يمكن أن يفيدني. حسناً، لم يلحظوا شيئاً، لم يلحظوا أنني كنت جزءاً من حياتهم، فحسب ما كان يهمهم، فلم يجدوا عيباً بي، وهذا ما كان عليه وجودي، أسلوبي، الذي قادني خارج عالمهم، فلو كان ذلك هو مثل النهر، فعلى الأقل كان مجرى قوياً ما قادني خارج عالمهم.

لا، ميلينا، أرجوكِ ابحثي عن طريقة أخرى للكتابة، لا يجب علينا الذهاب إلى مركز البريد عبثاً، ولا حتى المراسل الصغير، أين هو؟ أيجب

عليه، ولا حتى تلك السيدة المسؤولة في مكتب البريد يجب أن نسألها من غير ضرورة، ولكن إن لم تستطيعي إيجاد طريقة أخرى فلا مفر لي إلا بتحمل ذلك، لكن على الأقل حاولي إيجاد طريقة أخرى.

حلمت البارحة بك، لا أذكر التفاصيل جيداً، إلا أننا كننا نندمج معاً، مرة أكون أنت ومرة تكونين أنا، وبالنهاية اشتعلت بك النيران، تذكرت أن النار يمكن إطفاؤها بالقماش، فأحضرت معطفاً قديماً وغطيتك به، لكن التحول كان قد بدأ ولم تعودي موجودة، ولكن أصبحت أنا الذي اشتعلت به النيران، وأنا نفسي من كنت أحاول إخماد النيران بالمعطف، لكن محاولاتي لم تنجح، ومع ذلك، وما أكد خوفي السابق أن أمرا كهذا لن يخمد النار، وبعد ذلك أتى رجل الإطفاء وبعدها تم إنقاذك، لكنك بدوت مختلفةَ عن السابق، بدوت كشبح، مرسومة بالطبشورة في الظلام، وبدأت تحسين أنك تفقدين الحياة بين يدي، أو أنك لم تكوني مسرورة جداً لإنقاذك، لكن هناك بدأ التحول، فبدوت كأنني أنا من أضعف بين يدي أحدهم.

حضر منذ قليل «باول أدلر» هل تعرفينه؟ لو أن الزيارات تتوقف، يبدو الجميع أحياء جداً، خالدين جداً، لربما ليس في الطريق الصحيحة للخلود، لكنهم غارقون في حياتهم، وأخاف منهم بسبب ذلك، وبعيداً عن الخوف أحب أن أقرأ عينيه، في محاولة مني لمعرفة أمانيه، وبعيداً عن الامتنان، أود أن أقبل قدميه إن خرج من دون أن يطلب مني أن أرد له زيارته، فأنا وحدي حي، ولكن حين يحضر زائر فهو يقتلني بحق، ولكن فقط لينعشني بطريقته الخاصة، لكنه ليس بتلك القوة، يجب علي أن أذهب لزيارته يوم الاثنين، مجرد التفكير بذلك يجعل رأسي يدور.

(براغ، سبتمبر 1920م)

لماذا، ميلينا، لماذا تكتبين عن مستقبل يجمعنا وهذا ما لن يكون عليه مستقبلنا؟ أم أن هذا سبب كتابتك عنه؟، وحتى حين تحدثنا عن ذلك و نحن في فيينا ذات مساء، أحسست وكأننا ننظر إلى أحد نعرفه جيداً، لكننا لم نعرفهم بمناداتهم بعضهم بتلك الأسماء الجميلة، لكن لم يكن هنالك رد، وكيف له أن يجيب، وهو لم يكن موجوداً معها، ولا حتى قريباً منها.

أشياء قليلة أنا متأكد منها، أولها: أننا لن نعيش يوماً معاً، في شقة واحدة، جسد لجسد، نتشارك طاولة واحدة، ولا حتى في نفس المدينة، أكاد أقول الآن أنني على ثقة بأنني لن أكون قادراً على أن أستيقظ لأذهب صباحا إلى عملي، (فيجب علي أن أبقى وحيداً، أراني أحمل نفسي، وكأنني أحمل صليباً ثقيلاً، يشدني إلى الأسفل ضاغطاً على بطني، وعلي أن أبذل الكثير لأجثم وأرفع الجثة قليلاً عني)، وهذا صحيح، أيضاً، أنا واثق أنني لن أستيقظ، لكن إن كان استيقاظي يتطلب قوة أكثر مما يستطيعه البشري، فهذا ما يمكن لمثلي أن يتحمل، أستطيع أن أرفع نفسي بهذا القدر، بالكاد.

لكن لا تأخذي كلماتي عن الاستيقاظ حرفياً، فليس الأمر بذلك السوء، فاستيقاظي غدا أمر محتوم كما هو أمر عيشنا معاً، بالمناسبة، ميلينا، ستوافقين حين تفحصين نفسك وتفحصينني ونتبع الأصوات في البحر الفاصل بين فيينا وبراغ، بوجود تلك الأمواج العاتية.

وبقدر ما هي قذارتي، لم علي أن أخفيها، ملكي الوحيد، (وربما أنها ملك لغيري أيضاً - وأنا لا أعرف)، من تواضعي؟، هذا ربما يكون السبب الوحيد المقنع.

تصوري للموت يشعرني بالغثيان؟ أنا فقط خائف جداً من الألم، وهذه إشارة مخيفة، أن ترغب بالموت لا بالألم، هذه إشارة مخيفة، وإلا فيقوم المرء بمحاولة للموت للتحرر، كحمامة من الكتاب المقدس، ولا يجد أي اخضرار، فيعود هائماً إلى تابوته المظلم.

قمت بإرسال الكتيبات عن المصحتين، لا يمكن أن يحتويا شيئاً مفاجئاً، أو أقله ليس بالنسبة للتكلفة، أو بعدها عن فيينا، وبهذا الخصوص، تجدين تشابهاً بينهما، كلاهما غال جداً، ما يزيد عن 400 كرون يوميا، أو 500 كرون، وحتى هذا السعر متغير، تبعد ثلاث ساعات عن فيينا بالقطار ونصف ساعة أخرى للوصول لها بالعربة، وهذا بعيد جداً، تقريبا ببعد جومند، لكن بالقطار المحلي. بالمناسبة، تظهر مصحة «جرمنستين» أقل كلفة، وإن كنت مضطراً، مجبراً على ذلك، سأختارها.

هل ترين ميلينا كيف أنني أهملت كل شيء آخر، فأنا لا أفكر إلا بأمري، أو بالأرض التي تجمعنا، حيث تصرخ رغباتي ومشاعري بأن أمرنا محسوم، لم أشكرك لإرسالك المجلات لي، حيث أبدعت في مقالاتك مرة أخرى، سأرسل لك مجلتي، لكن ربما ترغبين مني أن أضع لك بعض الملاحظات، وبهذه الحالة سأقرؤها مرة أخرى وهذا ليس سهلاً، أستمتع كثيراً بقراءة ترجماتك لأشخاص غيري، ألم تكن مقالة «محادثة تولستوي» مترجمة من الروسية؟

بالنهاية، ولتشعري أنك استلمت شيئاً مني، وهذا ما سيضحكني بشدة، «أتقصد أنها لا تعرف أي فيلم تحضر؟». - كمزحة منه مقتبسة من مجلة كرتونية.

(براغ، سبتمبر 1920م)

إذن أُصبتِ بالزكام، حسناً، لن أضطر إلى أن أعاتب نفسي لأنني أحظى بمتع أكثر هنا، (أحيانا لا أفهم ما يعنيه الناس حين يقولون متعة، أحس وكأن القصد فيها هو عكس الحزن).

كنت قد اقتنعت أنك لن تراسليني مرة أخرى، لكني كنت إما متفاجئاً أو حتى حزيناً بسبب ذلك، ليس حزناً يفوق كل الأحزان، لكن لأنه لا يوجد في العالم وزن يمكن أن يحمل جسدي الضعيف، ولست متفاجئاً لأنني لم أكن سابقاً سأتفاجأ لو أنك قلتِ لي «لقد كنت صديقة جيدة معك حتى اللحظة، والآن يجب أن أتوقف وأتركك»، بصراحة كل شيء يبدو مفاجئاً، يبدو مفاجئاً للحظة، فالمرء يستيقظ كل يوم صباحاً،وهذا ليس مفاجئاً بحد ذاته لكنه تصرف نابع من فضول لمعرفة ما قد يسبب الغثيان له.

هل تستحقين كلمة جيدة، ميلينا؟ لا أظن أنه يحق لي أن أقول لك، وإلا كنت سأفعل.

سنتقابل أقرب مما كنت أظن، «وأنا أكتب عن -مقابلتك- وأنت تكتبين: -العيش معا- ومع ذلك، مازلت أعتقد أننا لن نعيش معاً يوماً، ولن نكون قادرين على (وأجد إثباتات ذلك في كل مكان، حتى في الأمور التي لا علاقة لنا بها، كل شيء ينطق بنفس الكلام)، و«قريبا» وليس «أبدا» مازالتا تعنيان إطلاقا.

تبين أن مصحة «جرميستين» جيدة، الفرق بالسعر ما يقرب الـ 50 كرون يومياً، كما أن بالمصحات الأخرى عليك إحضار كل متعلقات راحتك،

(نعالين، مخدات، بطانيات، وأنا لا أملك أي من هؤلاء) أما في «جرميستين» فيمكن استعارة هذه الأشياء، أما في مصحة «وينير وولد» عليك دفع مبلغ أمانات لاستلامها، أما في «جرميستسين» فلا دفع، جرميستين تبدو أفضل كثيراً، وبأمر أخرى أيضاً. لن أغادر بعد، فللصراحة شعرت بتعب كبير لأسبوع تقريباً، (حرارة، وثقل بالنفس، كنت أخاف أن أقوم عن الطاولة، كما سعلت كثيرا ولكن ظننت أن ذلك نتيجة مشيي طويلاً، أحس بتحسن الآن، وهذا ما جعلني أظن أن لا أهمية لذهابي للمصحة.

الآن معي الكتيبات، في «وينير وولد» أقل سعر لغرفة مع شرفه هو 380 كرون، أما في «جرميستين» أغلى سعر للغرفة هو 360 كرون، كم يبدو السعر غالياً جداً، الفرق بينهما كبير، طبعاً كليهما سيتم حقني، وهذا سيكلفني كثيراً، سأكون سعيداً لو ذهبت إلى الأرياف، أو حتى سأسعد أكثر لو بقيت في براغ، وأتعلم صنعه يدوية، فآخر شيء أتمنى حصوله هو ذهابي إلى المصحة، ماذا يمكن لي أن أفعل هناك؟ هل سيقوم الطبيب بحشر رأسي بين ركبتيه ويبدأ بحشو الطعام في فمي ليصل إلى حلقي حتى أختنق؟

ذهبت لأرى المدير أيضاً، كان قد ناداني، يبدو أن «أوتلا» حضر لرؤيته الأسبوع الماضي من غير علمي، ومن دون إرادتي تم فحصي من دكتور الشركة، ومن دون إرادتي سأعطى إجازة مرضية.

«كيوبيك» لا عيب فيه، تظنين أن شيئا خطأ لأنك لا تستطيعين تخيل أن اللغة الألمانية سيئة بلا جدوى،لكنها سيئة حقاً.

ولكي أريك قصدي، كنت أقرأ بعض الكلمات خطأ، كنت أقرأ كلمة صداع - صراع، وشيء من هذا القبيل، فبالحقيقة لا أحد يستطيع العمل على الجبهة إلا المهرج، ويمكن له أن يعمل من الداخل وهذا معنى كلمة

«متوتر»، فلا يمكن أن تترجم الكلمات ترجمة حرفية، فيجب التفريق بين الخادمة والزوج، وحتى لو كانا بالألمانية بنفس المعنى مع اختلاف بسيط.

كتبت عن «رسائل الأشباح» ولكنها حقاً موجودة، ولا تلبس الشراشف البيضاء.

(براغ، سبتمبر 1920م)

كنت مستلقيا على الكنبة لساعتين، خائفاً أفكر بكل شيء إلا بك، هل نسيت ميلينا، أننا نقف بجانب بعضنا البعض، نتفرج علي وأنا ملقى على الأرض، وفي هذه الحالة أكون أنا من أتفرج وكأن لا وجود لي.

بالمناسبة، يلعب الخريف معي لعبته الخفية، فأكون أحياناً دافئاً، وأحياناً أخرى بارداً جداً، ولكني لن أهتم بذلك فلا سوء به، وبالحقيقة، كنت أفكر بأن أمر إلى مصحة مباشرة من فيينا، لكن فقط لأن رئتيّ أسوء مما كانت عليه في الصيف، -وهذا شيء متوقع-، وأي شيء مثل الحديث خارجاً صعب علي، وله عقبات غير محمودة، لو كان علي مغادرة هذه الغرفة كنت لأرغب أن أرمي نفسي على الكرسي الهزاز في «جرميستين» بأسرع ما يمكن، لكن يمكن أن تكون الرحلة جيدة لي، وحتى هواء فيينا، والذي لم أعتقد يوماً أنه أنقى هواء في الكون.

«مصحة وينير ويد» قد تكون أقرب، الفرق بالمسافات ليس كبيراً، فالمصحة خارج المدينة، فهي تبعد عن المحطة نصف ساعة بالعربة، فلو كان

سهلاً لكنت أخذت الطريق إلى «بادين» -مخالفا التعليمات- سأكون قادراً أن أسافر مباشرة من «جرميستين» إلى «وينير نستاد» وهذا ما لن يشكل فرقاً كبيراً ليس لي أو لك.

كيف يحدث هذا ميلينا؟ كيف مازلت غير خائفة مني، كيف لا أشعرك الغثيان، أو شيء من هذا القبيل؟ هل يوجد قاع لإخلاصك، لقوتك!

أنا أقرأ الآن كتاباً صينياً «كتاب الأشباح»، والذي أذكره لأنه يتحدث عن الموت، رجل يكاد يفارق الحياة، يحس بتلك الحرية التي تتيحها الموت، ويقول «أمضيت حياتي أحارب الشهوة، محاولاً أن أضع حداً لها»، ثم يسخر منه تلميذ ويقول: «دائماً ما تتحدث عن الموت، ولكنك لا تموت» فيرد المعلم قائلاً: «في النهاية سأموت، لكنني أغني أغنيتي الأخيرة، وأغنية رجل أطول من أغنية آخر، مع أنه الفرق بينهما مجرد كلمات قصيرة»

هذا حقيقي، ومن غير العدل الضحك على مغني الأوبرا في بداية أغنيته والذي يغني من الآلام مستلقياً على خشبة المسرح، فنحن جميعا نستلقي على المسرح ونغني لسنوات طويلة.

قرأت أيضاً «رجل المرآة» يا لها من قصة حيوية، يظهر فيها المرض في موضع واحد، لكن حيويتها تزداد في كل موضع، وحتى المرض بها مفرط القوة، قرأتها كاملة بنهم طوال ظهيرة واحدة.

ما الذي يعذبك الآن «هناك»؟ كنت أظن سابقاً أنني عاجز عن مساعدتك، لكنني الآن عاجز، وتبدين مريضة طوال الوقت.

(براغ، 22 أكتوبر 1920م)

ميلينا، استلمت تلك الرسالة من فلاستا، تبدو مبعثرة، ومخيبة للظنون قليلاً، مصممة لأن أعذبك بها حين نفذت وسائل تعذيبي، كنت أنوي أن أعيد الرسالة لفلاستا، لكن ذلك بدا غبياً جداً، حيث أنها تحمل رسالتي، إن الأمر كذلك، فقد كنت ذكياً جداً بعدم فعل ذلك، ليس بالضرورة ذكياً، لكن الحقيقة خوفي من التورط بمشكلة هو ما قيدني، على كل، لا يبدو الأمر سيئاً جداً، فقط مجرد خطأ صغير في كتب أخطائي.

اليوم الجمعة، استلمت رسالة من «إيلوفي» كانت متوقعة جداً، وكأنها محاولة للتدخل في علاقتنا، كنت سأحاول إيقافها لو عرفت عنها مسبقاً، «إيلوفي، متواضع جداً، هادئ، كما يكون اليهود في الحزب اليميني، كان زميلي في أحد الصفوف الدراسية، لو أحدثه منذ سنوات طويلة ، وهذه أول مرة أستلم منه رسالة!».

الآن صارت مغادرتي إلى المصحة محتمة، فسعالي والثقل في نفسي يجبرانني على ذلك، وكما أنني واثق أنني سأنزل في فيينا، حيث سنرى بعضنا.

(براغ، 27 أكتوبر 1920م)

أسعدتني جداً بتتبع رحلات القطار، والتي درستها كخريطة، على الأقل شيء واحد مؤكد، ومع أنني أعرف أنني لن أغادر قبل أسبوعين، حيث مازال على القليل من العمل في المكتب، ردت علي المصحة بموافقتها

على استقبالي، وساد صمتها عن وجباتي النباتية. ماذا أيضاً؟ أنا أخطط للرحلة بتحمس، أخطط هنا وهناك، أشجع من حولي هنا وهناك، حتى يكون الجميع جاهزاً، لكن لن أكون قادراً على جمعهم بسبب الطفل الباكي، ماذا أيضاً؟ أنا خائف من السفر، فمن هنالك سيتحملني في الفندق، فسعالي عال جداً كسعال البارحة، «لأول مرة منذ سنوات، كنت في الفراش الساعة الـ 9:45»، واستغرقت في النوم، لكنني استيقظت حوالي الساعة الثانية عشرة من السعال الذي استمر حتى الواحدة، لن أحلم بالنوم في سيارة يوماً، علما أنني قمت بذلك السنة الماضية وبلا مشاكل.

هل قرأت جيدا؟ «ليتا» لا أذكر الاسم، لا يبدو الأمر كذلك ميلينا، فهذا الشخص الذي يراسلك هو من تعرفت عليه في ميران، بعد أن كنا جسداً واحداً، لم نعد نتحدث لنتعرف على بعضنا، ومرة أخرى تفرقنا.

أود أن أتحدث أكثر عن هذا، لكن الكلام يخنقني ولا أستطيع أخراجه.

«ربما أنت على حق، ربما الآخرون سيترجمون بشكل أفضل» أعيد هذه الجملة هنا، حتى لا تضيع في مكان غير رسمي. بالمناسبة «استلمت رسالة من «إيلوفي» يوم الجمعة، وغريب أن مقال «قبل القانون» ستنشر يوم الأحد.

ليس هذا خطئي، على الأقل ليس تماماً، وما علاقتي إن كان الإعلان لم ينشر يوم الأحد، اليوم الأربعاء، وقبل أسبوع سلمت الإعلان لمكتب الإعلانات، «وكنت قد استلمت رسالتك قبلها بيوم»، إن كان المكتب قد تصرف بالإعلان بالشكل الصحيح، وكما وعدوا، فقد كان من المفترض أن يصل إلى فيينا يوم الخميس وينشر يوم الأحد في الجريدة، وحزنت حين لم أره في يوم الاثنين، والبارحة أروني ملاحظات من المكتب، أنها وصلت

ومتأخرة جداً، وبما أنها كان يجب أن تنشر يوم الأحد، وقد كان ذلك متأخراً جداً بذلك الأحد، إذن سينشرونه الأحد المقبل.

(براغ، 8 نوفمبر 1920م)

نعم كان هناك تأخر طفيف، وأعتقد أنه بسبب ضياع إحدى رسائلك، إذن نشر الإعلان البارحة، ظهر وكأنك أردت «التشيكية» في المتصف تماماً، ولكن كان ذلك غير ممكن، وإنما فضلوا أن يضعوا فاصلة غبية بين كلمتي «التدريب» وال«المدرس»، بالمناسبة، تصرفت مع مكتب الإعلانات بلا حق، أتيت من هناك الآن وأعترف أنه من الصعب معرفة الطبيعة البشرية.

سببت للمرأة العاملة هناك ما يلي :

1- عدا عن واقع أنني أعطيتهم إعلانات كثيرة، فقد حاسبوني بخصم كبير بأكثر مما هو مسموح، ولم يحاسبوني كما كان يجب عليهم.

2- إن خطأهم كان تأخر صدور الإعلان.

3- إنهم لم يعطوني أي إيصال على المدفوعات الأخيرة، وهذا ما يمكن أن يكون سبب تأخر الإعلان، أو حتى نسيانه.

4- إنها لم تعطني أي اهتمام قبل أسبوعين حين أكدت لها أن يظهر الإعلان قبل يوم 8 نوفمبر، وبالقلم العريض، - لكن للحق كان المكتب مليئاً يومها بالناس.

ولذلك ذهبت هنالك اليوم مقتنعاً أن الإعلان لم يظهر، وكنت على وشك المبالغة بعدم استحقاق المبلغ، وأنهم لن يصدقوني وسينتهي بي الأمر ذاهباً إلى مكتب إعلانات آخر، وهناك سيغشونني أكثر.

وبدلاً من ذلك، ظهر الإعلان، صحيحاً، وكما أردته أن يكون، وحين بدأت بطلب إعلانات أخرى، قالت لي الفتاة أن لا حاجة أن أدفع المزيد الآن، وأن المبلغ سيستحق بعد ظهور الإعلان، أليس هذا رائعا؟ يقرر المرء أن يعيش قليلاً، على الأقل فترة الظهيرة، على الأقل حتى أنسى ما حدث.

(براغ، منتصف نوفمبر 1920م)

سامحيني ميلينا، ربما لم أكتب لك كثيراً آخر فترة، فقد كنت مكتئباً لحجز غرفة في المصحة، (والذي يبدو أنه لن يحدث) أنا أنوي حقا الذهاب إلى «جرميستين» لكن مازال هناك ما سيؤخرني وهو ما يفوق قدرتي (أنا الذي لم أكن أرغب قبلاً بالذهاب) وقد وجدت من اهتم بي لفترة طويلة، والآن علمت أن وهذا عكس ما أقرته المصحة، احتاج إلى سماح بالإقامة من السلطة المحلية، وهم على الأغلب سيوافقون عليها، ولكن طبعا ليس قبل أن أرسل لهم الاستمارات.

أمضي أغلب وقت الظهيرة خارجاً في الشارع، أتمرغ في الكراهية المضادة للسامية، سمعت اليوم الفائت أحداً ينادي على مجموعة من اليهود «مجموعة الجربان» ولذلك من الطبيعي لي أن أترك مكاناً يكرهونني به لهذا الحد، «الصهيونية أو الوطنية ليست في صميم أعماق كل اليهود» . فالبطولة

في البقاء شبيهة لبطولة الصرصور الذي لا يمكن لأحد القضاء عليه أو إخراجه حتى من الحمام.

نظرت لتوي من النافذة، تجمعات من الشرطة، الدرك بأسلحتهم وبنادقهم، لتفريق الحشود، وهنا بالأعلى نافذة العار التافه لمن يعيشون تحت الحماية.

كنت أؤخر هذه الرسالة لبعض الوقت، لم تطاوعني نفسي على إرسالها، فقد كنت منغلقاً على ذاتي، وكما أنني لا أستطيع إلا أن أفكر بشيء واحد وهو لم لا تكتبين لي؟

قمت بإرسال المستندات المطلوبة للموافقة على إقامتي، وهو شيء مفروغ منه، ككل شيء آخر(حجز الغرفة، وجواز السفر)، ستمر الأمور بسرعة وسآتي، تود أختي مرافقتي في فيينا، قد توافيني هناك، تود الذهاب إلى فيينا في رحلة ليوم أو اثنين قبل موعد ولادتها، والذي مازالت حاملاً به في الشهر الرابع.

أما عن «ايرنستين» وما كتبه لك، فهو أحنك مما ظننت، في ضوء هذا يسرني أن أعبر له عما أشعر به نحوه، ولكن بما أنني لن أراه بعد اليوم سيكون ذلك صعباً، شعرت بسلاسة معه، على الرغم أن لقاءنا لم يتعدَّ الربع ساعة، لم أشعر أبدا أنه غريب عني، مع أننا لم نتحدث عن أمور مهمة، كان شعوري كشعور أحسست به باتجاه طفل صغير كان يجلس بجانبي في المدرسة، شعور بالراحة بجانبه وليس غريباً، كنت طيباً معه، فكان لا غنى عنه عندي، كنا متحدين ضد كل التهديدات في المدرسة، كنت أتصرف براحة أكثر مما أفعل مع غيره، أظن أنها كانت علاقة مثيرة للشفقة، كما هي العلاقة مع «اي» لم أشعر بتغيير في القوة معه، فهو يعبر بسلاسة وسهولة

ويضع كلماته في مكانها، ولو وضع يوما مُحدِث في كل زاوية على الطريق، لم يكونوا ليقربوا يوم الحساب، مع أنهم سيجعلون الأيام لا تطاق.

هل تعرفين «تانيا» المناظرة بين القسيس الروسي وتانيا؟ إنه -ولا معنى لذلك- محاولة لمساعدة العاجزين، نشاهد موت تانيا تحت كابوس المناظرة.

أما عن «اي» أنا متأكد من أنه قوي جداً، فما قرأه جهراً البارحة كان جميلاً جداً، توقعت منه قراءة عدد من صفحات كتاب «كراوس»وكما قلت، بدا يقظاً، نشطاً جداً. بالمناسبة، بدا أن «اي» يزداد وزناً، بدا هائلاً، بصراحة جميلاً، كيف فشلت في ملاحظة هذا!، ويعرف عن النحفاء أكثر من كونهم نحفاء، لكني أعتقد أن مثل هذه الملاحظة كافية لأغلب الناس، مثلي أنا.

تأخرت المجلات، سأشرح لك لم حين أجد الوقت لذلك، على كل سيصلون قريباً.

لا ميلينا، لا نملك ذلك الاحتمال بكوننا معاً، ذلك الذي أحسسناه في فيينا، ولا بأي شكل من الأشكال، ولم نملكه حينها: كنت أنظر خارج سياجي، أرفع جسدي بيديّ، وثم وقعت إلى الخلف، تمزقت يداي تماماً، لا بد من وجود احتمال أخر، فالعالم مليء بالاحتمالات، لكني لا أعرف ما هي حتى الآن.



(براغ، منتصف نوفمبر 1920م)

هذا هو حالي أنا أيضاً، أفكر أحياناً: يجب علي أن أكتب لك عن هذا وذاك، لكن لا أستطيع، وكأن الرقيب «بيركنز» يمسك يديّ، وحين يتركهما للحظة أستطيع أن أكتب لك كلمات بالخفية.

بالحقيقة أشعر أن اختيارك لمواضيع ترجماتك يشعرني أن لدينا الذوق نفسه، نعم، التعذيب مهم جداً لي، فالاحتلال الوحيد يعذبني، لماذا؟ لنفس السبب الذي لـ «بيركنز» وبتفكير، ومهنية، وبضوء العادات، لإخراج الكلمات الملعونة من الفم الملعون. عبرت عن غباء ما ذكرته مرة بالتالي «لا يساعد إطلاقا أن نميز الغباء»: «فالحيوانات تنتزع السوط من سيدها وتجلد نفسها لتصبح سيدة نفسها، من دون أن تدرك أن هذا الحلم مخلوق بسبب عقدة جديدة في حلم السيادة»

التعذيب مزرٍ أيضاً، طبعاً، وبالآخر، فألكساندر لم يعذب المعضلة حين لم تحل معه.

يبدو أن الأمر من عادات اليهود، «الفنكوف»، وهي مجلة تطبع ضد اليهود، أصدرت مقالاً رائداً عن أن اليهود يدمرون ويفسدون كل شيء وحتى ....، كشبق الجلد من العصور الوسطى، للأسف لم تشرح الأمر كثيراً، وإنما ركزت على كلمات أجنبية، وأنا فعلاً مثقل كثيراً للذهاب إلى مكتبة الجامعة، ولكني حقا أرغب بمعرفة وجه الشبه بين اليهود وتلك الحركة من العصور الوسطى، والتي يبدو وكأنها بعيدة عنهم. ربما أحد معارفك يعرف شيئاً عن هذا.

أرسلتُ لك الكتب، وقد أكدت لك أن ذلك لا يزعجني، وبالحقيقة هذا أكثر شيء واقعي وذي معنى قمت به منذ مدة. مجلة «اليس» خارج الطباعة ولن يعاودوا الطباعة حتى رأس السنة، فأرسلت لك «شيكوف» بدلاً عنها، ومن جهة أخرى، طبعة «بابيكا» سيئة جداً، هل رأيتها؟ أظن أنك لم تشتريها يوماً، لكن فعلت ما وجب علي كما طلبت.

أرسل لك كتاب القوافي لسد حاجتك الحالية، ولكني سأبحث لك عن كتاب للتهجئة والاختصارات.

هل استلمت الرسالة التي شرحت لك فيها لم تأخر إصدار الإعلان؟

هل قرأت أكثر عن الحريق في المصحة؟ على كل، الآن ستصبح «جرميستين» أكثر ازدحاماً وعجرفة. كيف سيستطيع «هـ» زيارتي هناك؟ فأنت كتبت لي أنه في ميران.

أمنيتك بألا أتقابل مع زوجك ليست أقوى من أمنيتي، لكن إن رغب بزيارتي، (وأعتقد ذلك سيكون صعباً عليه)، فمن المستحيل تقريباً أننا سنلتقي.

تأجلت رحلتي مرة أخرى، بسبب أعمال علي أن أنجزها بالمكتب، هل ترين أنا لا خجل من أن أكتب «أن علي أمور أفعلها» طبعاً، فهذا عمل مثل غيره، ففي حالتي أكون شبه نائم، قريباً من الموت أكثر من النوم. «الفنكوف» صحيح جداً، الهجرة، ميلينا، الهجرة.

(براغ، نوفمبر 1920م)

تقولين يا ملينا إنك لا تفهمين الأمر، حاولي فهمه بأن تسميه مرضاً، هذا أحد مظاهر المرض والذي يدّعي الأطباء أنهم اكتشفوه، أنا لا أسميه مرضاً، وأعتبر العلاجات أخطاء لا فائدة منها، كل هذه الأمراض المزعومة، حزينة كما يبدو، كالمسائل الإيمانية، مثبتة في أرض الحقيقة للأرواح المنكوبة. وبناء على ذلك، والطبيب النفسي يعتبر أعراض الدين كأعراض المرض، طبعاً، وبهذه الأيام أكثرنا لا نتمسك بالأمور الدينية في مجتمعنا، فالطوائف عديدة ومحصورة بالأشخاص، أو أنها تبدو كذلك من وجهة نظرنا.

مثل ذلك تلك المراسي المثبتة على الأرض الصلبة، ليست ملكاً للإنسان، فهي منعزلة قابلة للتقلب، فأحوالها متقلبة، تنصاع لأوامر الإنسان، وتظل تطبق وتطبق أوامره، (تساعد في تشكيل جسده) في هذا الاتجاه، وهذا ما نأمل أن يشفى.

أما في مثل حالتي، على المرء أن يفكر بثلاث دوائر، دائرة داخلية (ا) و(ب) و(ج)، حيث تفسر الدائرة المركزية أ للدائرة ب ولماذا على المرء أن يعذب نفسه ويتشكك منها، ولم عليه أن يرفض؟ (ليس رفضاً، لأن ذلك صعب جداً، وإنما وجوب رفضه)، ولما لا يكون له الحق أن يعيش؟ (ألم يكن يوجين مريضا جداً)، ومن منا لن يكون سعيداً لو أشرقت الشمس من أعلى عين الإسكندر، لكن يوجين كان قد ألح عليه بأن يأخذ الشمس، تلك الشمس المرهقة، الإغريقية، التي تشتعل جنوناً، كان هذا الحوض مليئاً بالأرواح، أما عن الدائرة (ج)، فهي الشخص الفاعل، فلا شيء عنده مفسر، فدائرته تتلقى الأوامر من ب، أما (ج) يصبح عنيفا تحت الضغوطات، ويتصبب العرق منه خوفاً بارداً، (وهل من نوع آخر من العرق يتصبب فوق الجبهة، والخدين، والصدغين وفوق فروة الرأس أو باختصار من كل جمجمته)، هذا هو حال (ج)، وبهذا يكون فعل (ج) نابعاً من الخوف وليس الفهم، وكأنه يصدق أن (أ) فسر كل شيء، و(ب) فهم ما شرحه (أ)، وأوصل كل شيء له بالضبط.

(براغ، نوفمبر 1920م)

أنا لا أفتقر إلى الإخلاص ميلينا، مع أن خط يدي بات يصبح أكثر وضوحاً وصراحة، هل هو كذلك؟، قد وصل إخلاصي لك إلى أقصى حد،

(تسمح به تعليمات السجن)، والتي باتت تزيد تراخياً في صرامتها، لكنني أعجز عن الثبات على خطاها، فالثبات لي مستحيل.

إن ما يميزني عن غيري، وإن كانت حقاً لا تميزني عن معارفي، علما أنها تزداد كثيراً في حالتي، فكلانا يعرف طباع اليهود الغربيين، وأعتبر نفسي مثلاً عليهم، أعلم أن بهذا نوع من المبالغة، فليس لي حق أن أطلب حتى ثانية من الهدوء، لا حق لي بذلك، وعلي أن أعمل جاهداً لأحصل على كل شيء، ليس الآن وفي المستقبل، بل علي أن أكتسب الماضي أيضاً، وفوق هذا، يكون غيري قد اكتسب ما أسعى له بالوراثة، وهو ما علي أن اكتسبه أيضاً، وأعتقد أن هذا من أصعب ما علي إنجازه.

وعندما تلف الأرض إلى اليمين -لا أعلم إن كانت تفعل هذا-، يكون علي أن ألف إلى اليسار، لكي أعوض ما فاتني من الماضي، وحيث أنني لا أملك مثل تلك القوة للالتزام بالالتزامات، فلا أحتمل أن أحمل الدنيا على كتفي، فأنا لا أحتمل ثقل معطفي، وهذا الضعف الذي أنا به، لا يستحق حقاً أن أتباكى عليه، فأي قوة يمكنها أن تحتمل كل هذا، إن أي محاولة مني للاستمرار بهذا الطريق بحالتي هذه جنون، وسيكون عاقبته الحتمية جنوني، ولهذا أنا لا أثبت على خطى واحدة، كما تقترحين، لا أستطيع أن أمضي وحيداً في الطريق الذي أوده، حقيقة لا أستطيع حتى أن أمضي فيه، ما أستطيع فعله هو أن اهدأ ولا أرغب بغير ذلك ، ولا أريد أي شيء آخر.

إن الأمر لا يتعدى حقيقة أنني لم أكن يوماً ذلك، كما أن شخصاً عليه كل مرة قبل أن يخرج للتنزه أن يغتسل ويمشط شعره، - وهذا وحده فعل مرهق- بل عليه أيضاً أن (بما أنه يفتقر لما هو ضروري لنزهته) أن يخيط ثيابه أيضاً، وأن ينظف حذاءه ويصنع قبعته، وأن ينحت عصاه التي يتكئ عليها

حين يمشي، وهو طبعا لن يكون قادرا على فعل كل هذا بشكل جيد جداً، فلعله يتماسك لعدة شوارع، لكن وقبل أن يبلغ «الجرابن» تسقط الأشياء مشتتة على كل ناحية، ويقف وهو عار وسط الأشجار، وهنا يبدأ العذاب وهو يجري عائداً، (إلى ساحة ألتسيير) وفي النهاية ربما يندفع وسط في حارة اليهود.

لا تسيئي فهمي،ميلينا، أنا لا أقول أن الرجل ضاع، لكنه سيضيع لو ذهب إلى جرابن، حيث سيخزي نفسه ويجلب العار للعالم.

تسلمت رسالتك يوم الاثنين، وأجبت عليها في الحال يوم الاثنين.

سمعت أن زوجك ينوي الذهاب إلى باريس، هل هذا تطور للخطة القديمة؟

(براغ، نوفمبر 1920م)

وصلتني رسالتان اليوم، طبعا أنت على حق ميلينا، فلا أكاد أجرؤ على قراءة رسائلك خجلاً من رسائلي، فرسائلي صادقة، أو تحاول أن تكون كذلك، تخيلي ما كان شعوري حين وصلتني رسالتك، لو كانت رسائلي كاذبة، الجواب سهل: كنت سأجن، وبهذا لا أفعل شيئاً عميقاً بأن أكتب الحقيقة، بل هو شيء صغير جداً، أحاول دائماً أن أعبر لك عما لا أستطيع، أن أشرح ما لا يشرح، أن أخبرك عما يختلجني من دون أن تعاني من معرفته، إلا أن هذه المشاعر ما هي إلا خوف يتملكني، ويكون حقيقتي، وهذا ما ذكرته لك مراراً، إلا أن الخوف قد كبر، وبات يمتد لكل شيء حتى

للأمور التافهة، الخوف من ألا أتفوه بشيء، لعل هذا الخوف ليس خوفاً بحق، لكنه شوق إلى شيء أكبر من كل ما يبعث الخوف في قلبي.

«ارتد كل شيء علي» هذا لا معنى له، لكنني من يجب أن يلام، فهو بسبب قليل من الصدق مني، قليل جداً، وأغلبه كذب، كذب بسبب خوفي من نفسي وخوفي من الناس، وقد كسرت هذه الجرة قبل أن تذهب إلى النبع بوقت كثير.

ومن الآن سأعض على لساني، حتى أجبر نفسي على نطق الصدق، فالكذب مخيف، لا عذاب عقلي أسوأ منه، ولهذا السبب أحاول أن أستعطفك، أرجوكِ دعيني أصمت، ودعي كلماتي تتوقف على فينا.

تقولين «ارتد كل شيء علي» لكن ما أراه فعلياً هو أنك تعذبين نفسك، وأنك كما تدعين تجدين السلام في الشارع، بينما أنا جالس هنا في هذه الحجرة الدافئة، بملابسي البيتية، ونعلي، هادئ بقدر ما يسمح لي عقرب ساعتي، (فلا بد لي من معرفة الوقت).

لا أستطيع أن أقول متى سأغادر حتى أستلم تصريح الإقامة، حيث أن الإقامة أكثر من ثلاثة أيام تتطلب تصريحاً من السلطات المحلية، وقد كنت قد قدمت الطلب منذ أكثر من أسبوع.

لما لا تريدين المجلات بعد الآن، أرسلت لك كتيبات، وقصاصات من الـ «كبيك»، من أين تعرفين تلك الفتاة؟ أعرف قريبتين لها تعانيان من نفس المرض، وما يخيفني حقاً أن مرضهما لا يشفى، سيكون الأمر أسوأ لو أن الفتاة غارقة في بؤسها، في مصحة «جرميستين» هناك عيادات خاصة بذلك المرض.

«ارتد كل شيء علي» أظل أفكر بهذه الجملة، فهي تبدو خاطئة، بقدر ما تعبر عن الإمكانية المضادة.

ليس هذا خطئي ولا خطأ غيري، فمنزلي من أهدأ المنازل وهذا ما يناسبني.

أرفقت لك قصاصة، عن ليفين حيث توفي في حادث إطلاق رصاص في ميونيخ، أليس كذلك؟

(براغ، نوفمبر 1920م)

اليوم هو الخميس، وحتى يوم الثلاثاء كنت عازماً على الذهاب إلى المصحة، على الرغم من التردد الذي ينتابني كلما فكرت بذلك، وأعتقد أن تأخير مغادرتي له علاقة بذلك، ومع ذلك، توقعت أن الأمر سيكون سهلاً، ويوم الثلاثاء وصلتني معلومة من شخص أنه لا داعي لأنتظر تصريح إقامتي في براغ، فبإمكاني الحصول عليها من فيينا، وعلى هذا يكون الأمر مفتوحاً أمامي، قضيت فترة الظهيرة ممداً على الأريكة أعذب نفسي، وفي المساء كتبت لك رسالة، لكني لم أجرؤ على إرسالها، ظننت أنني قادر على ذلك، لكني لم أستطع لأقضي الليل أتلوى من العذاب.

تلك الشخصيتان اللتان تسكنان في داخلي، أحدهما يريد الرحيل، والآخر خائف من الرحيل، وكل منهما هو جزء مني، يا لهما من وغدين يتصارعان بداخلي! لأنهض صباحاً وأنا في أسوأ حالاتي. لا أقوى على الرحيل، فمجرد فكرة أن أقف أمامك ترعبني، لا أتحمل الضغط الناتج عن ذلك.

تبدو خيبة الأمل واضحة من رسالتك، تسبب إحباطاً كبيراً في داخلي، وهذا ما يبدو أيضاً في رسالتي هذه، تقولين أن لا أمل لك، لكن تملكين الأمل في أن تتركيني وحدي.كيف لي أن أعبر عن مشاعري، كيف أشرح هذا الأمر ؟ فلا أستطيع شرحه حتى لنفسي، مع كل هذا، فهذا ليس الأساس، فالشيء الأكيد هو استحالة مقدرة أحد أن يعيش في محيطي، مستحيل، وقد بتِّ تدركين هذا، مع أنك لا تريدين تصديقه؟

(براغ، نوفمبر 1920م)

مساء السبت

لم أستلم الرسالة الصفراء بعد، وحين أفعل سأعيدها لك من دون فتحها.

سأكون مخطئا جداً إن ظهر أخيرا أن فكرة توقفنا عن مراسلة بعضنا البعض هي فكرة جيدة، لكني لا أظن أنني مخطئ بذلك. سأتحدث عن نفسي فقط: *ما تمثلينه لي يا ميلينا، يتجاوز العالم الذي نعيش فيه، شيء لا تعبر عنه الرسائل والكتابات التي كتبتها لك، فلم تجلب لنا تلك الرسائل إلا العذاب، ولو لم تسبب العذاب لسببت ما هو أشد منه، فهي تفعل إلا أن ترتب يوما كيومنا في جومند، أو تخلق سوء تفاهم جديد، وإذلال لم يكن بالحسبان، أتمنى أن أراك بالوضوح الذي كنت عليه يوم رأيتك في الشارع، فالضوضاء الناتجة عن الرسائل باتت أشد من الضوضاء الناتجة من الشارع.*

ولكن هذا ليس حتمياً حقاً، إن ما هو حتمي عجزي، الذي تزيده الرسائل سوءاً، وما يستجد عليه من عجز باتجاهك، وأيضاً عجزي باتجاه

نفسي، ألف رسالة منك، وألف رغبة في قلبي لن تقنعني، (وما هو أكثر وضوحا من هذا هو الصوت الذي يبدو سبب عجزي، أن كل الأمور تقبع في الظلام، وقد كان صوتك هو ما يرجوني للسكوت). والآن يبقي كل ما يخصك لا يقال، رغم وجوده في الرسائل، وأيضاً موجود في الرسالة الصفراء، وأفضل من ذلك فهي تظهر في البرقيات، والتي طلبتِ مني إعادتها لك، ولك الحق في ذلك)، ويوجد أيضاً تلك الفقرات التي تخيفني، والتي أتجنبها كما يتجنب الشيطان المكان المقدس.

غريب لقد أردت أنا أيضاً أن أرسل لك برقية، ولقد داعبت هذه الفكرة منذ وقت،حتى ظهر اليوم بالفراش، ومساء اليوم، لكنها كانت مجرد سطر واحد «سؤال عن أمر محدد، وتأكيد على الفقرات التي خططت تحتها في الرسالة الأخيرة»، وأخيراً، بدت وكأنها ناقصة تفتقر الصدق والثقة، ولذلك لم أرسلها.

ها أنا أجلس كئيباً لقراءة الرسالة، ولا شيء أخر غيره، حدقت فيها حتى الساعة الواحدة والنصف ظهراً، وسرحت فيك من خلالها، أحسست وكأنني رأيتك، بدا حلماً واقعياً، شعرك ينسدل على وجهك، وأنا أرفعه عن وجهك، أتحسس وجهك وجبينك بيداي، وها أنا أضع وجهك بين راحتي.

الاثنين

أردت أن أمزق هذه الرسالة، ألا أرسلها، وحتى ألا أرد على البرقية، فالبرقيات باتت تتصف بالغموض، لكني استلمت البطاقة والرسالة، هذه البطاقة، وهذه الرسالة، ولكن حتى حين تواجهت معهما، ميلينا، وحتى لو كان لساني ممزقاً، كيف لي أن أصدق أنك تحتاجين رسائلي الآن، أنت لا

تحتاجين إلا للهدوء، فكما قلت مراراً أنت بشبه غيبوبة، وهذه الرسائل ما هي إلى نوع من العذاب، وليدة من العذاب، العذاب الذي لا شفاء منه، فهي لا تخلق إلا العذاب، العذاب الذي لا شفاء منه، ما فائدتها؟ - وها هي تزداد سوءا حتى في الشتاء-؟.

الصمت بات الوسيلة الوحيدة ليتمكن المرء من أن يعيش هنا أو هناك، في حزن، حسناً، وما المهم في هذا؟ إنها تجعل المرء ينام كالطفل، لكن العذاب هو أن تدفع محراث في نومك، وفي النهار ـ وهذا يفوق الاحتمال.

على الهامش : إن ذهبت إلى المصحة طبعا سأخبرك.

(براغ، نهاية شهر مارس 1922)

لقد انقضى وقت طويل منذ أن كتبت لك، سيدة ميلينا، وأنا أكتب لك اليوم كنتيجة لأمر، فلا يجب علي أن أعتذر عن عدم مراسلتك، فأنت بت أكثر الناس معرفة كم أني أكره الرسائل، وكل سوء الحظ الحادث في حياتي، ولا أود أن أتذمر منها، بل أود أن ألفت نظرك على أمر لاحظته كنصيحة، بإمكان المرء أن يقول، من الرسائل أو من إمكانية كتابة الرسائل، لم يستطع أحد أن يخدعني، لكن الرسائل هي من فعلت ذلك، وليس فقط رسائل الآخرين، بل ما فعلته رسائلي أنا بي، وسوء حظي، الذي بات أسوأ حظ ممكن وهو ما لن أتكلم كثيراً عنه، لكنه سوء حظ في كل شيء.

إن السهولة في كتابة الرسائل -ومن وجهة نظري الخاصة- إن *السهولة في كتابة الرسائل قد جلبت الدمار إلى أرواح الناس، كتابة الرسائل*

هي لحظات من تلاقي الأشباح فهي استحضار لشبح المتلقي وشبح المرسل ليتجسدا في كلمات الرسالة، وأحياناً في سرب من الرسائل، تتداخل سراً في كلمات الرسالة التي نكتبها لتكون شاهدة على ما جاء فيها. كيف استطاع أحد أن يتصور أنه سيتواصل مع احد عن طريق الرسائل؟ يستطيع الفرد أن يفكر بأحد من بعيد، ولكن يمكنه أن يتمسك إلا بمن هو قريب منه، وما غير ذلك فهو فوق قوة البشر.

كتابة الرسائل من جهة أخرى، هو أن يتعرى الشخص أمام الأشباح، والتي تنتظر ذلك بتلهف، فالقبلات المكتوبة لا تصل إلى وجهتها، فالأشباح تتشربها وهي في طريقها إلى هناك، وبهذه الطريقة تتغذى الأشباح وتتكاثر، يحس المرء بذلك لتبدأ معاناته، محاولاً التخلص من الطاقة الروحية بين الناس، وليصبح التواصل حقيقياً بين الناس، ولتطمئن الأشباح،اخترع الناس القطارات، والسيارات، الطائرات، - لكن لم يعد ذلك يفيد بعد الآن: فهذه اختراعات نتجت بعد التحطم،ويبدو الطرف الآخر فيه أكثر هدوءاً وقوة، وبعد الخدمة البريدية، اخترعت الأشباح البرقيات، الهواتف، الاتصالات اللاسلكية، وهكذا لن تجوع الأشباح، ولكن نحن من سنهلك.

أستغرب لأنك لم تكتبي عن ذلك بعد، ليس لمحاولة نشر شيء أو لمنعه، بل لأن الأمر أصبح متأخراً جداً، ولكي نخبر الأشباح أننا صرنا نعرف بوجودها.

كما يمكن للمرء أن يعرف بوجودهم من الاستثناءات، فهم أحيانا يسمحون لرسالة أن تمر بدون تدخل،وتصل إلى يدنا وكأنها صديقة لنا، فتجدها بين يديك خفيفة ودودة، وإن كان يبدو كذلك فقط، ومثل هذا الأمور تكون أخطر، وعلى المرء أن يحذر منها من غيرها، لو كانت ضرباً من

الخداع فهي تمثل الخداع الكامل. ما حدث معي اليوم هو سبب كتابتي لك، استلمت رسالة من صديق تعرفينه أنت أيضاً، لم نكن قد تراسلنا منذ مدة، وهو أمر شديد الحساسية والإدراك، وقد ذكر أن الرسائل تعمل كحبوب لعلاج لأرق، فبأي حال تجدها حين تصل للناس، جافة، مستفزة، خاوية، لحظة واحدة من الفرح ليليها عذاب طويل. فحين يبدأ المرء بقراءتها وينسى نفسه، يستيقظ النوم عن عينيه ويطير إلى خارج النافذة، ولا يعود إلا بعد أمد طويل، ولهذا لم نعد نكتب لبعضنا، لكنني أغلب الأوقات أفكر في صديقي، وحتى تفكيراً عابراً، فكل أفكاري باتت عابرة. ليلة البارحة، فكرت فيه كثيراً، لساعات وساعات، أمضيت أغلب ساعات الليل بالفراش، (تلك الساعات العددية التي لها قيمة كبيرة عندي، فهي عدائية جداً)، ظللت أردد نفس الكلمات مرات ومرات في تلك الرسالة الخيالية، أمور بدت لي في حينها مهمة جداً. وفي الصباح استلمت رسالة منه، تحوي أموراً على مدى شهر، أو لشهر مضى، أحس صديقي بضرورة حضوره لرؤيتي، وملاحظات تزامنت بشكل غريب مع أمور أعرفها.

هذه الرسالة ما حثتني على الكتابة لك، وطالما أنني بدأت، وكيف لي أن لا أكتب لك؟ سيدتي ميلينا، وأنت الشخص الذي أستمتع بالكتابة له (وبقدر ما يمكن للكتابة أن تمتعني، وهو ما سأضيفه من أجل الأشباح التي تحيط بطاولتي بانتظار ولهفة).

مضى وقت طويل منذ وجدت لك مقالاً في الصحيفة فيما عدا مقالات الموضة، -وبعض الأمور الأخرى- بدوت أخيراً هادئة وسعيدة، وتحديداً في آخر مقال لك في الربيع، ولكن الصراحة أنني لم اقرأ المجلة منذ أكثر من ثلاثة أسابيع -سأحاول أن أجد نسخاً عنها- فقد كنت في «سبندلميل».

(براغ، سبتمبر 1922)

عزيزتي السيدة ميلينا

أعترف أنني حسدت شخصاً ما يوما حسداً بالغاً، لأنه كان محبوباً، ولأن أحداً ما اهتم به، محمي بالعقل والقوة، ولأنه كان يستلقي بسلام بين الأزهار، أنا سريع الحسد دوماً.

أعتقد أنني كنت على حق حين أرفقت ما هو من مجلة التريبونا - والتي لا أقرؤها إلا من حين إلى آخر-، حيث ظهر أنك أمضيت صيفاً طيباً، فقد وجدت مرة مجلة التربيونا في محطة «بلانا»، وكانت إحدى السيدات تتحدث مع أخرى، وهي تمسك بالمجلة، توجهها نحوي، وحينها استعارتها أختي منها، وإن لم أكن مخطئاً، كانت لك مقالة مرحة جداً فيها، تتحدث عن منتجعات المياه المعدنية في ألمانيا، ومرة كتبت عن بهجة الحياة الصيفية في مناطق السكك الحديدة النائية، وكانت هذه أيضاً مقالة جيدة، هل كانت هي نفس المقال؟ لا أظن ذلك، وكالعادة، حين تظهرين في مجلة «نارودني ليستي» وتتركين خلفك مدرسة اليهود للموضة، وقد أعجبت جداً بمقالتك عن واجهات العرض. وأيضاً ترجمتك لتلك المقالة عن الطهاة، لماذا؟ لأن عمتك كانت غريبة، ففي أحد المرات كتبت مقالاً عن كيفية إلصاق طوابع البريد بشكل صحيح، وأن علينا ألا نلقي شيئا من النافذة، وهذه أمور بديهية، ومع ذلك فهي صراعات يائسة، أحياناً، لو انتبه المرء للقي انتباهاً جميلاً ومؤثراً، يزحف إلى داخله. وإن وجب القول، لا يجب عليها أن تكره الألمان لهذا الحد، فالألمان رائعون، وسيقولون كذلك، هل تعرفين قصيدة ايشندورف: «أيتها الوديان الواسعة، أه أيتها الأعالي» أو قصيدة «يوستينوس كيرنير» «عن نشر الخشب»، إن كنت لا تعرفينها سأكتبها لك يوماً.

سيكون لدي الكثير لأخبرك عن بلانا، لكن الآمر مفروغ منه الآن، «أوتلا» كانت رقيقةً معي، بغضّ النظر عن كون لديها طفل جديد، رئتاي تتحسنان، على الأقل هناك، لم أذهب إلى الطبيب بعد مع أن لي أسبوعين هنا، لا يمكن للأمر أن يكون بالغ السوء فمثلا كنت قادراً على -يا للغرور المقدس- قطع الخشب لساعة كاملة أو أكثر ومن دون أن أتعب، وكنت سعيداً جداً أثناء ذلك، على الأقل في ذلك الوقت، أمور أخرى كالنوم والاستيقاظ كانت لي أسوأ من عادتها.

وماذا عن رئتك؟ تلك المخلوقة الفخورة، القوية، الرزينة؟

استلمت لتوي تلك الرسالة الرائعة من صديقك «ماريس»، منذ عدة أشهر مضت، التقيت به بالشارع (حيث أصادف أغلب معارفك)، سألني بحماسة إن كان يجب عليه أن يرسل لي كتبه، وقد تحمست جداً ورجوته أن يفعل، وفي اليوم التالي وصلتني كتبه وأشعاره مع ملاحظة قلبية «لصديقي منذ سنوات طوال»، وبعد ذلك بأيام، وصلني كتاب آخر منه عن طريق البريد، وفعلت أسهل شيء ممكن، فإما أن أدفع وأستلمه أو أشكره عليه، (وبالمناسبة كان الكتاب «بوليسنج ستيرا» جيداً جداً، أتوقع أن يعجبك؟)، وهنا أتت الدعوة التي لا يمكنني رفضها، سأرسل له المال مع ملاحظة على الإيصال، متمنياً أن تحفزه على إعادة المبلغ.

هل للهر مكان في الصورة؟ ولماذا ؟ أليست خرمشته على الوجه كافية.

ك

(براغ، يناير – فبراير 1923م)

عزيزتي السيدة ميلينا

أظن أن على المرء ألا يتحدث كثيراً عن المخلصين، وما يترتب على ذلك، إلا بالقدر الذي يمكننا الحديث فيه عن الخيانة في الحروب، فهذه أمور لا يمكن للمرء أن يفهمها جيداً، ولا يمكنه في نهاية الأمر إلا أن يخمنها، إنها أمور لا يستطيع المرء فيها إلا أن يتعلق بأمة كاملة، وليس بفرد، فللمرء أثر على الأحداث، فمن دون أمة لا تبدأ الحروب، وهنا يظن المرء أن من حقه الحديث والمناقشة، حسن تكون الأمور محسومة من السلطات العليا، ولما كان للمرء التأثير على الأحداث، لم يجلب لنفسه إلا الضرر، بكلمة واحدة منه. حتى ولو كانت تلك الكلمات عشوائية، غير مترابطة، كما الكلام الذي ينطقه النائم، في عالم يمتلئ بالجواسيس، وفي مثل هذه الحالات على المرء أن يهدأ وألا يتأثر بالاستفزاز.

وكل شيء في حياتنا استفزازي، حتى العشب الذي نجلس عليه، بجوار القناة، -وبلا مسؤولية منه- في حين أكون خائفاً لو جلست عليه أن أصاب بنزلة برد، والمدفأة مشتعلة جانبي، أتمدد في فراشي مغطى بملاءة دافئة وبطانيتين وفوقهم لحافين من الريش، ومن ثم يأتي شخص يقول كيف للمرء أن يؤثر في العالم الخارجي، وهنا ما يميزني عنك هو مرضي، في كلماتك المتواضعة المخيفة، فلو تحدثت مع شخص أخر عن مرضي لن يصدقني أحد، علماً أن كل كلامي عن المرض ما هو إلا مزحة سخيفة.

سأبدأ قريبا بقراءة «دوناديه»، هل يجب علي أن أرسلها لك قبل أن أقرأها، فيمكن للمرء أن يحقد على من يملك كتابا كهذا ويخفيه، فقد كنت يوماً حقوداً ضد عدد من الأشخاص، لأنني وكما ظننت، كنت قد شككت

في حصولهم على كتاب «صيف الهنود»- قدم ابن «اوسكار بوهم» مرة راكضاً إلى المنزل من مدرسة قريبة من فرانكفورت لأنه لم يجد كتابه هناك، وخصوصاً كتابه المفضل «ستالكي وشركاه» لـ «كيلبلينج» الذي قرأه ما يقرب الـ 75 مرة، ولو كان الأمر ينطبق على كتاب «دوناديه» فسوف أرسله، علماً أنني لا أرغب بقراءته.

لو كانت صفحات التسلية لي في المجلة، ما كنت قرأت مقالات الموضة، أين كانت هذه المقالات يوم الأحد السابق؟، أتمنى أن تشيري إلى التواريخ، سأبحث عن قصة «الشيطان» لاحقاً حين أخرج، فمازلت أعاني من بعض الآلام.

جورج كايزر، لا أعرف الكثير عنه، ولم أرغب بمعرفة الكثير عنه، مع أنني أرغب من أن أشاهد بعضاً من أدائه على المسرح، منذ سنتين، أثر أداؤه بي بشكل كبير، قرأت المقال في صحيفة «تاترا»، وخاصة الدفاع المستميت الذي أعلن فيه عن حقه الغير قابل للجدل في الحصول على ملكية أجنبية، مقارنا وضعه في ألمانيا بوضع لوثر في التاريخ الألماني، وطالب أن حدث وأدين أن تنكس الأعلام في ألمانيا لأجله. وهنا وبجانب سريري تحدث عن ابنه الأكبر (فلديه ثلاثة أبناء) وعمر كبيرهم عشر سنوات، والذي لم يسمح له بدخول المدرسة، وهو لم يعلمه أيضاً، وبذلك كان طفله مازال غير قادر على القراءة والكتابة، ومع ذلك، كان الطفل يمتلك موهبة رسم، فكان يجول في الغابات طوال اليوم، وقريبا من البحيرة (يعيشون في مكان ناءٍ في منزل ريفي في جرانهيد خارج برلين)، وحين قلت لـ «كايزر» قبل مغادرته، «حسنا هذا أمر جيد لفعله» أجابني: «أنه الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله، فكل شيء غيره بلا قيمة»، غريب ولم أسعد لرؤيته بتلك الحال، فقد بدا نصف مجنون، ونصف رجل أعمال من برلين،

غير مبالٍ وسعيد. لم أحس أنه متأثر جداً، إلا أنني في أوضاع أخرى وجدت أن ما كان حدث معه أثر عليه بالصميم، «كرجل وجد وظيفة في جنوب أمريكا، وثم عاد مريضاً، ليقضي ثماني سنوات متمدداً على الأريكة، من غير أن يفعل شيئاً، ومن ثم يذهب إلى مصحة ويبدأ بالتعافي»، أظهر وجهه انشطاراً، أملس فارغاً، بعينين زرقاوين لامعتين وفارغتين، تبدوان كتفاصيل وجهه، بينما ينتفض جسده إلى الأمام والخلف بسرعة، ويبقي ما بقي من أجزاء في وجهه بلا حراك، كما لو أنها مشلولة، وفي الحقيقة يختلف انطباع ماكس عن هذا، فهو يعتبره مبهجاً وصديقاً وفياً، ويمكن أن يكون هذا هو سبب ضغطه على «كايزر» لزيارتي، وها هو الآن استولى على حيز الرسالة، وأنا الذي كنت أرغب بقول الكثير غيره.

للمرة القادمة.

(براغ، يناير – فبراير 1923م)

عزيزتي السيدة ميلينا، قرأت كتاب «الشيطان»، يا له من كتاب بديع! لا يبدو كما يظنه المرء، ولا حتى محاولاً اكتشافه، بسبب وجود شخص شجاع لا يمكن تصوره، وهذا حتى لا يمكن تصوره، شخص في آخر سطوره يرى أكثر من مجرد الشجاعة والمعرفة، لكنه يبقى يتصف بالشجاعة اللامتناهية، لا أستمتع بالمقارنة، لكنها تفرض نفسها علينا، فما يعرضه على القارئ هو مثل الأزواج، أو حتى كطفل من الزواج، أحدهما يهودي، يتصف بتدمير الذات، تقدم للزواج من تلك اليد الملائكية العظيمة، (لا تظهر الملائكة فيها بوضوح، فهي مقيدة على الأرض بسبب

قيود الزواج، لكن ذلك كان من الصعب عليه أن يراه مسبقاً، حيث أنه أكبر من تصورات أعين البشر)، لكن ومع الحب العظيم من صاحبة اليد الملائكية، والتي تحب اليهود، وكأنها تزوجت من كل الطائفة اليهودية، خوفاً عليها من أن تهلك، والآن الطفل المولود من هذا الزواج، ينظر حوله، وأول ما يراه هو الشيطان الذي يسكن الأرض، شبح عظيم لم يوجد قبل أن يولد هذا الطفل، لكن مع هذا كان غير مرئي لوالدي الطفل. فبالعموم، فاليهود الذي يتواصلون معهم -كنت على وشك أن أكتب سعداء- لم يعرفوا بحقيقة شيطانه، فلم يعودوا يلاحظون مثل هذه الأمور، فهم يرون أن العالم كله شياطين، ومن أعمال الشيطان، أما عن تلك الملائكة؟ ماذا عليها أن تفعل طالما أنه ليس سيئاً، فما لها به إن لم يتحكم به الشيطان، يرى الطفل الشيطان يقف بجانب موقده دائماً، وهكذا يبدأ الصراع بين الوالدين بسبب الطفل، صراعات عديمة الجدوى بمحاولتهم التخلص من الشيطان، مرة تلو مرة ترفع الملائكة من شأن اليهود، حتى يتعلموا الدفاع عن أنفسهم، ومرة تلو مرة يسقطون إلى الأسفل، والملائكة تحاول إنقاذهم محاولة ألا يمتصهم الشيطان. فلا سبب لمعاتبة كلا الطرفين، فكلاهما كما هما، أحدهما يهودي والآخر ملائكي، وهنا يبدأ الطرف الملائكي بنسيان تراثه العالي، فالشعور بالأمان بات تجبراً. يمكن تلخيص حوارهما كالآتي، علما أنه لا مفر من أن اليهودي سوف يحرف كلام الملائكة كلما كان ذلك ممكناً:

اليهودي: إن كان هناك أي شيء عليه أن ينتقم لنفسه في هذا العالم، ويحاسبنا على علاقاتنا الروحية.

الملائكة: السبب الوحيد الصائب لأي شخصين ليرتبطا بالزواج هو إن كان مستحيلاً عليهما ألا يفعلا

اليهودي: حسنا، ها هي الحسابات.

الملائكة: حسابات؟

أو

اليهودي: أي كذب يخبئه المرء في أعماقه، لا يمكننا أن نعرف إلا القشور الظاهرة.

الملائكة: لكن لم لا يعد الأشخاص بعضهم أن لن يصرخوا على بعضهم حين يحرقوا الخبز،...الخ

اليهودي: تعني أن على المرء أن يكذب حتى في الظاهر، لكن لا يجب طلب مثل هذا الشيء، على كل، كان سيفعل ذلك منذ مدة،إن أمكنه ذلك.

أو

الملائكة: إما أن تتقبل مصيرك .... بتواضع .... أو أن تبحث عن مصيرك.....

اليهودي: البحث يحتاج إيماناً.

وبمثل هذه النهاية، تقوم الملائكة بدفع اليهودي إلى الأسفل، وتتحرر منه.

مقال رائع محفز، ينير الضوء على أفكار هادفة، وتصيبها حقاً، من منا لم تصفعه الحقيقة يوماً، وأعتقد أن أغلب الناس قد انحنى للأسفل، من منا لم يضربه الواقع أثناء حلمه، وكان في حلمه يقول: وبقدر ما تبدو هذه الطلبات تافهة، هي ليست تافهة حقاً، لا يوجد زواج غير سعيد، هناك أناس لا يكملون بعضهم، لأنهم خلقوا من أناس غير كاملين، فالطبيعة البشرية لم تكتمل بعد، فمن منا لم يمزق قبل الحصاد. إرسال أشخاص كهؤلاء إلى الزواج هو كتعليم الجبر لطلاب الصف الأول، فبقدر تفتح

عقل من هم أعلى سناً، تبدو لهم الحسابات الجبرية أسهل مما هي على طلاب الصف الأول، بالحقيقة، يكون الأمر لهم كواحد ضرب واحد، لكنها هنا تشتت عالم الطفل، أو حتى عوالم أخرى، لكن يبدو أن اليهودي هو من يتحدث هنا، وعلينا أن نسكته بشيء ما.

وثم وصلتني رسالتك، فالأمر غريب هذه الأيام بكتاباتي، عليك أن تصبري علي، ومتى لم تصبري؟ منذ سنوات لم أخاطب روحاً، وكان يفترض أن أكون ميتاً، لم أشعر بضرورة التواصل مع أي أحد، كان الأمر وكأنني لم أعد في هذا العالم، لكني لست من عالم آخر أيضاً، كان الأمر وكأنني رميت تلك السنوات التي طالبت بها بالكثير، لكني بالحقيقة كنت أنتظر أن أسمع أحداً يناديني، حتى ناداني مرضي من الغرفة المجاورة، وركضتُ إليه، وبدأت آلفه أكثر فأكثر، لكن الغرفة معتمة جداً، ومن الصعب معرفة إن كان من يناديني هو المرض.

على كل، صارت الكتابة والتفكير ثقلاً علي، أحياناً حين أريد الكتابة، تجول يداي على الصفحة وتتركها فارغة، وهذا ما يحدث الآن، من دون ذكر التفكير (فمرة تلو مرة أظل أبهر بتفكيرك النير، وكأن يديكِ مليئتان بالحكمة تظهر بالأفق، وتنير الصعاب)، على كل كنت صبورة جداً معي، هذا البرعم يتفتح ببطء، وهو فعلاً برعم، لأن الأمور الصغيرة تسمى البراعم.

بدأت بقراءة «دونديه» لكني قرأت القليل فقط، لن أتطرق للحديث عنه، لقد نال الثناء لبساطته، مثل البساطة التي تجد الترحيب في ألمانيا وروسيا، الرجل العجوز ساحر، لكنه يفتقر القوة التي تمنع المرء من تجاوزه أثناء القراءة، فما قرأته حتى الآن (فأنا مازلت في ليون) يبدو لي من خصائص فرنسا، أكثر مما هو من فيليب، تجدين انعكاسا بسيطا لـ «فلوبير»، مثل

البهجة الحاصلة على ركن الشارع، (هل تذكرت تلك الفقرة) أما الترجمة بدت من ترجمة شخصين، أحدهما كان جيداً جداً إلى حد معين، والآخر سيء جداً إلى درجة تفقدك فهم الأحداث، (ثمة ترجمة لـ«لفولف» ستنشر قريباً)، ومع ذلك أنا أستمتع بقراءتها، لقد أصبحت قارئاً على الرغم من بطئي، فضعفي بأن أكون حذراً جداً أمام الفتيات الصغار يمنعني من تصديق وجود كاتبات نساء، لأنني لا أظن أحداً سيجرؤ على الاقتراب منهن، يبدو لي الأمر وكأن الراوي صنع دمية أسماها «دوناديه» فقط ليصرف النظر عن «دوناديه» الحقيقية التي لا تشبه ما يكتبه وموجودة في مكان آخر. وبعيداً عن كل هذا السحر الواقع منها أظن أن عهد الفتيات قادم، ولو قيل أن ذلك لم يحدث، لكن هذا هو توقعي، والذي اخترع مفتاح للموسيقى، وطبق على الواقع، وهنالك كتب تجسد هذه الأحاسيس إلى نهايتها.

لا أعرف قصة «على الطريق السريع» لكني أحب تشيكونف جداً، أحيانا أعشقه بجنون، وليس هو فقط، بل أيضاً «ويل أوف ذ ميل» وأي كتاب لستيفينسون، فقط لكونه مفضلاً عندك.

سأرسل لكتب «فرانزي» أنا متأكد من أنك لن تحبي كتبه أبداً، إلا مواضع معينه فيها، وهذا ما يفسر مقولتي إن الكتاب الأحياء على علاقة مع كتبهم، وبسبب وجودهم يحاربونهم ومن أجلها، أما بالحقيقة فالحياة للكتاب تبدأ بعد موت مؤلفه، أو بالأغلب بعد وفاته بفترات، فأولئك الرجال التواقون يحاربون من أجل قصصهم وحتى بعد موتهم، لكن حينها فقط يترك الكتاب وحده، ويبدأ يستمد القوة من ضربات قلبه، وهذا سبب لما كان معقولاً على «مايربير» مثلاً،أن يذعن لضربات القلب هذه قبل أن يترك تركته للأوبرا، وهذا بسبب الثقة التي أحس بها، وهناك عنه المزيد، وإن لم يكن مهماً، فما يمكن أن يقال، ومثلاً عن رواية «فرانتسي» فالكتاب

للكاتب الحي هي غرفة نومه في آخر الشقة، ومخصصة للقبلات إن أراد التقبيل، ومختصة للإزعاجات إن كان هذا ما يريد، قد لا يكون حكماً أن قلت إن أعجبتني الرواية -أو أعجبتك أنت- وربما تقولين عكس هذا.

سأقرأ اليوم أكثر في رواية «دوناديه» لكني لا أتقدم كثيراً في فهمها، كما لا يمكنني اليوم أن أتقدم في فهمها، فشقيقتي تتحدث مع الطاهية في المطبخ، وطبعاً أستطيع أن أقاطعهما بسعلة خفيفة، لكني لا أرغب بفعل هذا، فهذه الفتاة -أتت للعيش معنا منذ عدة أيام،عمرها 19 سنه، قوية جداً- وكأنها أكثر المخلوقات تعاسة على وجه الأرض، ومن دون سبب، هي فقط غير سعيدة لأنها غير سعيدة، وتحتاج إلى تعزية من أختي -وهي بالمناسبة دائماً كما يقول والدي تفضل الجلوس مع الخدم- فكل ما سأقوله عن الكتاب سيكون غير عادل، لأن كل الاعتراضات تأتي من النواة، ولا أقصد نواة الكتاب. إن ارتكب أحدهم جريمة البارحة، وحين يصبح البارحة اليوم السابق للبارحة، لن يكون قادراً على قراءة جريمة غير محلولة اليوم، لو يهمه كل شيء مرة واحدة، فهي مؤلمة، مملة، لا حياة فيها، فعدم الوقار والتهريج، الارتباك، والسحرية المثيرة، التي تتصف بها الرواية، لا أريد شيئاً من هذا. عندما أغوى رافييل دوناديه كان ذلك أمراً مهماً لها، لكن ماذا يفعل المعلم في غرفة الطالب، وهنالك ذكر لشخص رابع، القارئ، وبهذا تصبح الغرفة الصغيرة كأنها غرفة محاضرات في كلية الطب، أو الصيدلة، ومع هذا لا يوجد الكثير من الأحداث في الرواية - إلا اليأس.

أظل أفكر في مقالك، بشكل غريب جداً، أستطيع أن أتصور أن هنالك زيجات - لنكمل ما سأقوله تخيلا بعلاقة حقيقية : يهودي - يهودية، أعتقد أنه لا توجد زيجات تقوم على أساس اليأس حين يكون المرء وحيداً، وأعتقد أن الملائكة توافقني على ذلك، فما الغرض من الزواج إن كان هربا

من اليأس؟ إن دمجنا وحدة شخص مع وحدة آخر، لن يكون الناتج وفاقاً، وإنما ستكون سجناً، فكل منها ستعكس وحدتها على الأخرى حتى في أشد الليالي ظلمة، وإن ارتبطت الوحدة بالأمان، سيكون الأمر أسوأ من الوحدة بحد ذاتها، (ستكون وحدة رقيقة، فتية، طائشة). ليفترض تعريفاً واضحاً صارماً بأن الزواج يعني أن يكون المرء آمنا.

في هذه اللحظة أسوأ شيء هو -وإن لم أكن توقعته- أنني لا أستطيع أن أكتب هذه الرسائل بعد الآن، ولا حتى المهمة منها، فالسحر الشيطاني لكتابة الرسائل بات يدمر ليالي، وأكثر مما هي مدمرة أصلاً، يجب أن أتوقف، لن أستطيع الكتابة بعد الآن، أoooه، فأرقك مختلف عن أرقي، أرجوكِ دعينا لا نكتب بعد الآن.

بطاقة بريدية من دوبريتشوفيتشي

السيدة ميلينا بولاك

فيينا VII

شارع ليرشنفيلدر 113 /5

شكراً جزيلاً على تحياتك، أما بالنسبة لي، قدمت إلى هنا لعدد من الأيام، كانت حالتي تسوء في براغ، لكن الأمر لا يعد كرحلة، وإنما محاولات لفرد جناحي غير الملائمين.

ك

بطاقة بريدية من دوبريتشوفيتشي

السيدة ميلينا بولاك

فيينا VII

شارع ليرشنفيلدر 113 /5

آمل أن تكوني استلمتِ رسالتي من دوبريتشوفيتشي، مازلت هناك لكنني سأعود إلى منزلي بعد يومين أو ثلاثة، فالمكان غال جداً، (كما أنهم لا يردون الباقي بشكل صحيح، فمرات يزيدونه وأحياناً ينقصونه، ومن الصعب التأكد من ذلك فالنادل سريع جداً وحذر)، القليل من النوم، مكان جميل إلى حد الخيال، وبقدر ما يمكنني أن أرتب لرحلات بالمستقبل، فهذا المكان سيجعلنني أرغب بالمغادرة، وحتى المسافة فهو على بعد نصف ساعة عن براغ، لكن بالدرجة الأولى أخشى من التكلفة، فهو مكلف جداً، يبدو مناسباً لشخص يرغب في قضاء آخر أيامه قبل أن يموت، حين لا يهم شيء آخر، وما أخافه بالدرجة الثانية، الجنة والنار، وبعيداً عن كل ذلك العالم مفتوح أمامي.

تحياتي القلبية

ك

بالمناسبة هذه ثالث مرة منذ تعارفنا -وبكلمات قليلة- قمت بموضوع معين بتحذيري، أو تهدئتي، أو كيفما يستطيع المرء أن يعبر عنه).

لم اختفيت آخر مرة تقابلنا فيها (بشكل غريب)، لم أسمع عنك حتى أوائل سبتمبر، وهو ما أثر علي بشكل سيء. وفي أثناء ذلك حدث معي أمر رائع في يوليو، وأي شيء عظيم قد يحدث!، ذهبت إلى «مرتيز» في: «بالتك»، بمساعدة من أختي الكبرى، بعيداً عن براغ وعن الغرف المغلقة، بداية شعرت بتحسن، وثم ظهرت فرصة في مورتيز أوجدت إمكانية أن أذهب إلى أهاجر في أكتوبر، تحدثنا عن ذلك - وهذا ما لم يكن بالحسبان، كان شيئاً خيالياً، خيالياً كما يبدو لشخص مقتنع أنه لن يغادر سريره بعد اليوم، وان لم أكن أستطيع مغادرة سريري لم لا أحاول الهجرة، وفي مورتيز، كنت قرابة مخيم صيفي ليهودي الفولك، أغلبهم من يهود الشرق، انجذبت لهم كثيراً، كانوا دوماً في طريقي، وحينها بدأت أخطط للذهاب إلى برلين، لم تكن هذه العطلة واقعية بقدر واقعية خطة هجرتي، لكنها أصبحت حقيقة، وطبعا كان مستحيلاً علي أن أعيش في برلين وحدي، وليس فقط في برلين، وبدأت الأمور تحل واحدة تلو الأخرى، وفي منتصف أغسطس، ذهبت إلى براغ وعشت ما يقارب الشهر مع أختي الصغرى في «شلسين»، وهناك سمعت عن الرسائل المحروقة، شعرت بيأس حينها، وكتبت لك بعدها مباشرة لأخفف من عبئي، لكني لم أرسل لك الرسالة، لأنني لم أسمع منك شيئا حينها، ومن ثم أحرقت الرسالة قبل أن أغادر إلى برلين، وحتى هذا اليوم لا أعرف شيئاً عن تلك الرسائل الثلاث التي تحدثتِ عنها، فقد كدت أجن بسبب عاري، لم أعرف أي رسائل هذه، ولم لم أكن قد يئست، لم أترك شيئاً يقودني لهم إلا وتتبعته لكن لم يجدِ ذلك نفعاً، ولم أستلم رسالة في «مرتيز».

وثم في نهاية سبتمبر رحلت إلى برلين، وبعد فترة قصيرة استلمت رسالتك من إيطاليا، حزمت أمتعتي بكل ما تبقى لي من قوة، أو بالأصح، أكملته منهكاً القوة كما يكون المرء في الجنازة.

وأنا الآن هنا، لا تبدو الأمور في برلين بالسوء الذي توقعته، فأنا فعلياً أعيش في الريف، في منزل ريفي حوله حديقة، وهو ما يجعلني أعتقد أنني لم أملك يوما شقة أجمل منه، وكما أنني متأكد من أنني سأفقده قريباً، فهو جميل جداً علي، (وللأسف هذا ثاني منزل أسكنه منذ وصولي). حتى الآن لا يختلف الطعام هنا عن طعام براغ، هذا ما أقوله، طعامي، ونفس الشيء أيضاً عن صحتي، وهذا كل شيء، لا أجرؤ على كتابة المزيد، وما كتبته كثير أصلاً، فأشباح الهواء تبتلع كلماتي بحناجرها بنهم. أنت تكتبين أقل من هذا في رسائلك، هل وضعك جيد؟ محتمل؟ هذا ما لا استطيع معرفته، فالمرء لا يستطيع معرفة أسرار الآخر، وهذا هو معنى الخوف.

بطاقة بريدية من برلين - ستيجليتز

السيدة ميلينا بولاك

فيينا VII

شارع ليرشنفيلدر 113/ 5

عزيزتي ميلينا، لوقت طويل كان جزء من الرسالة مستلقياً هنا جاهزاً لك، لكن يصعب عليَّ إكمالها، فالأحزان والآلام القديمة قد وجدت طريقها إلي، هاجمتني وطرحتني أرضاً. كل شيء يحتاج مني جهداً، كل ضربة من القلم، وكل ما أكتبه يبدو لي مهماً جداً، مقارنته بقوتي، وحين

أكتب لك «مع تحياتي» أجد هذه الكلمات قوية جداً لتواجه شارع ليرشنفيلدر البري، الصاخب، الوحشي، الرمادي، حيث أتوقف عن التنفس، وهكذا أتوقف عن الكتابة، أنتظر أوقاتاً أفضل أو أحياناً أسوأ. أما عن أموري فأنا بخير، ويعتنون بي جيداً، إلى أقصى الحدود الدنيوية. فما يهمني بالحياة الآن -وإن يكن أشد تأكيداً- هي تكاليف المعيشة. لا تصلني صحف براغ، وصحف برلين غالية جداً، - ما رأيك بأن ترسلي أحيانا لي قصاصات «ناردوني ليستي» تلك التي طالما أسعدتني، بالمناسبة : عنواني الجديد للأسابيع القليلة القادمة هو: شتجلتس، شارع جرونفاليد13، زايفيرت.

والآن مع أرق تحياتي

فبالنهاية ما أهمية أن هبطت الأشباح أمام باب حديقة منزلك، ربما تكونين أشد قوة منهم.

ك


تمت

L E T T E R S   T O   M I L E N A

رسائل



فرانز كافكا رسائل إلى ميلينا

«كتابة الرسائل لحظاتٌ من تلاقي الأطياف، فهي استحضارٌ لطيف المتلقّي وطيف المرسل ليتجسّدا في كلمات الرسالة، وأحيانًا في سرب من الرسائل تدخل سرًّا في كلمات الرسالة الّتي يكتبها المرء»، قال فرانز كافكا لميلينا جيسنسكا.

لم يكشف **كافكا** عن جوهره من قبلُ كما فعل في رسائله إلى **ميلينا**، والّتي بدأت كمراسلاتٍ عمليّة بينهما، لتتطوّر لاحقًا إلى شغف «رسائل حبّ». كانت **ميلينا** امرأةً موهوبةً جذّابةً في الثالثة والعشرين من عمرها، ومترجمةَ أعمال **كافكا** إلى اللغة التشيكيّة، وكانت قادرةً على أن تميّز عبقريّته الفذّة الواضحة في حبكات قصصه وشخصيّات قصصه المعقّدة. أمّا، بالنسبة إلى **كافكا** ابن السادسة والثلاثين، فقد كانت «كشعلة نارٍ لم يرَ مثلها يومًا»، فأمامها فقط كشف عن حميميّته، وهي وحدها مَن ائتمنها على مذكّراته بعد انتهاء علاقتهما الغراميّة.

تبدو كلمات **كافكا** في رسائله إلى **ميلينا** أكثر حميميّة، وطهارةً، وألمًا عمّا هي في أعماله الأخرى، كشهادةٍ على وجوده البشريّ، وانتظاره الدائم للمستحيل؛ وهذه ترجمة جديدة لكتابه الكلاسيكيّ الرائع هذا.




الأهلية
الأردنّ، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص.ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 ◆ منشورات 2017
الغلاف: ® ☎ 95297109 7 00962